

# أحاديث

في الدين والثقافة والاجتماع



حسن بن موسى الصفار

# أحاديث

في الدين والثقافة والاجتماع

المجلد الأول

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ  
وَجَادِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ  
عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[سورة النحل: الآية ١٢٥]

الحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد  
خاتم الأنبياء وتمام عدة المرسلين وعلى  
آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين

## تقديم

العلامة الدكتور الشيخ عبدالهادي الفضلي<sup>(١)</sup>

يضم هذا الكتاب ألواناً شتى من محاضرات ثقافية عامة ألقاها الأخ العلامة الخطيب الشيخ حسن الصفار أيام الجمع في مسجده الذي يقيم فيه الجماعة بالقطيف. وقبل أن نكون مع الكتاب ومؤلفه أود أن أشير إلى ما يعرب عنه عنوان الكتاب وهو (حديث الجمعة)<sup>(٢)</sup> من ظاهرة ثقافية عربية وجدت مع بدايات التأليف العربي، ومشت تشكل لوناً من ألوانه المختلفة، وتتغير كلما اقتضت عوامل وظروف التطور ذلك، شأنها في هذا شأن الأنماط الأخرى للتأليف في بيئتنا الثقافية العربية.

هذه الظاهرة هي التي كانت تعرف عند بداية النشأة بـ (الأمالي) - جمع إملاء - . وجاءتها هذه التسمية من واقعها العملي في الوسط الثقافي، حيث كان الأستاذ - في الغالب - يدون مادة أماليه على الورق، ثم يقوم بإلقائها على طلابه المتحلقين تحت

---

(١) فقيه ومفكر إسلامي من أبرز العلماء في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، من مؤسسي الحركة الإسلامية في العراق، درّس في كلية الفقه في النجف، وجامعتي الملك عبدالعزيز في جدة، والجامعة الإسلامية في لندن، له الكثير من المؤلفات في الفقه والثقافة الإسلامية، اختيرت بعض كتبه كمناهج دراسية في كثير من المعاهد الدينية والجامعات.

(٢) العنوان المقترح للكتاب قبل اعتماد العنوان الحالي.

منبره وحوله، وهم - بدورهم - يقومون بكتابة ما يمليه عليهم، وربما أملى الأستاذ من محفوظاته، أي من غير أن يستخدم الورق.

وكانت مادة الأمالي - في البدء - تقتصر على الحديث الشريف، ثم توسع العلماء فيها فراحت تشمل علوم اللغة العربية وآدابها، وعلوم الشريعة الإسلامية وأحكامها، والمواعظ والحكم، وألواناً أخرى من التاريخ الإسلامي وسواه. ومن أشهر هذه الأمالي مما هو موجود في مكتبتنا العربية:

- أمالي أبي علي القالي.
- أمالي الشريف المرتضى.
- أمالي ابن الحاجب النحوية.
- أمالي أبي السعادات ابن الشجري.

وفي الوقت نفسه، ومن جانب آخر كانت تسمى هذه الظاهرة بالمجالس، لأن العالم يقوم بالإملاء أو الإلقاء في مجالس موقوتة، من حيث الزمان، ومن حيث المكان.. ومنها:

- مجالس الأبرار ومسالك الأخيار، للشيخ أحمد الرومي، وهي (على مئة مجلس في شرح مئة حديث).
- مجالس ثعلب النحوي البصري.
- مجالس أبي سهل النوبختي.

وقد تأخذ المادة الملقاة الاسم معاً، فيقال لها: الأمالي، ويقال لها: المجالس، كما في ما كان يلقيه الشيخ الصدوق حيث أصبح يعرف بأمالي الصدوق، ومجالس الصدوق، التي ناهزت مئة مجلس، وكان يلقيها يوم الجمعة.

وكانت هذه المجالس أو الأمالي تلقى في المساجد غالباً. وعندما دخل المذيع (الراديو) إلى البلاد العربية، وأسست دور الإذاعات العربية،



وجد إلى جانب تلك المجالس المسجدية، التي لا تزال قائمة، برامج إذاعية تحت عنوان (حديث).

وهو نمط من التطور في هذه الظاهرة الثقافية.

وشارك فيها غير واحد من العلماء العرب آنذاك، منهم:

- الدكتور طه حسين، فقد كان يلقي حديثاً كل يوم أربعاء عن طريق إذاعة القاهرة في الأدب العربي، ثم جمعت أحاديثه تحت عنوان (حديث الأربعاء)، ونشرت بثلاثة أجزاء، وأصبحت من مصادر الأدب العربي.
- الدكتور محمد مهدي البصير، الذي كان يلقي حديثاً إذاعياً كل أسبوع مرة في الأدب العراقي في القرن التاسع عشر الميلادي عن طريق إذاعة بغداد، ثم جمعت أحاديثه، وسميت (نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر)، ونشرت، وهي اليوم من أهم مصادر الأدب العراقي في القرن التاسع عشر الميلادي.

والآن يضيف الأخ الصفار إلى أعماله في رفع مستوى أبناء مجتمعه ثقافياً:

- مجلسه ليلة السبت في داره بالقطيف، وهو ملتقى ثقافي عام.
  - أحاديثه يوم الجمعة، وهي التي بين يدي القارئ الكريم.
- والهدف من إلقاء هذه الأحاديث الأسبوعية هو التثقيف والتبليغ. التثقيف، لأنه مسؤولية كل حملة الفكر يتوخون منه رفع مستوى أبناء المجتمع ثقافياً.

ومن المفروغ منه أن خطب صلاة الجمعة، والأحاديث الأسبوعية - سواء كانت مما يلقي يوم الجمعة أم في غيره من أيام الأسبوع - لها دور فاعل في رفع مستوى الوعي الثقافي عند أبناء المجتمع، ودور مساهم في بناء شخصية الفرد الثقافية، وزيادة مخزون رصيده الثقافي.

أما التبليغ - وأعني به التبليغ الديني - فهو أهم واجب من واجبات العالم الديني والخطيب الديني، فعن طريقه ينشّد المسلم عاطفياً بدينه، ويرتفع إلى مستوى رسالته في هذه الحياة.

وقد أثبتت تجارب التثقيف والتبليغ أن نجاح من يقوم بذلك مرهون بمدى قدرته على ربط الفكرة بالواقع، ومقدار معرفته بنفسيات مستمعيه ودرجات وعيهم الثقافي. وهذا ما نستطيع أن نلمسه - وبوضوح - في أحاديث هذا الكتاب الذي بين يدينا. إن الشيخ الصفار من أولئك القلة الذين جمعوا بين رسالتي المسجد والمنبر، فقد تخرج في الحوزة العلمية بعد إتمام دراسته للعلوم الإسلامية، وشغل منصب العالم الديني في بلده القطيف.

وهو من أنشط العاملين في هذا المجال، وبخاصة أولئك النفر القليل الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة، وقد أفاد هذا - بالإضافة إلى دراسته الحوزوية - من قراءاته المتنوعة والمتعددة، وإنك لتلمس هذا واضحاً في مؤلفاته ومحاضراته. ويعد في خطابته من الموهوبين، فهو يمتلك أدوات التأثير المنبري، ولديه آليات النفوذ إلى ذهنيات مستمعيه عن طريق مخاطبة عواطفهم. إنه في أحاديثه هذه يدفع الفكرة دفعاً لتمس واقع الناس، فتعمل على تغييره لما هو أفضل.

ومن المفيد أن لا أطيل في البيان، وأترك الأمر للقارئ الكريم يتفاعل مع هذه الأحاديث قراءة وفهماً ثم استيعاباً ليستفيد منها ويفيد الآخرين. شكر الله سعي أختينا الصفار ووفقه إلى المزيد من هذا العطاء الحير، إنه ولي التوفيق وهو الغاية.

عبدالهادي الفضلي

---

أول الحديث

---



يتحمل الخطاب الديني مسؤولية كبيرة تجاه الواقع الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية.

ذلك لأنه تتوفر له أعظم فرص التأثير والنفوذ، ويتمتع بدرجة عالية من المقبولية والتجاوب. حيث يصغي له جمهور المتدينين بإنصات وخشوع، كجزء من الفرائض العبادية والشعائر الدينية، كما هو الحال في صلاة الجمعة التي تسبقها خطبتان، وصلاة العيد التي تعقبها خطبتان. إضافة إلى سائر المناسبات الدينية التي يحتشد فيها المؤمنون، مصغين بأسماعهم، متفاعلين بقلوبهم، وعواطفهم، مع ما يلقي عليهم من وعظ وإرشاد.

لكن الملاحظ أن فاعلية تأثير الخطاب الديني في واقع المجتمع هي أقل من المطلوب والمتوقع، قياساً إلى ما يمتلكه من قوة معنوية، وإمكانية نفوذ في النفوس، ونظراً إلى ما تعيشه الأمة من واقع خطير وظروف حساسة.

فالأمة تواجه تحديات بالغة في أوضاعها الداخلية، وعلى الصعيد الخارجي، ويفترض في الخطاب الديني، أن يستنهض قوى الأمة، ويعبئ طاقاتها وإمكاناتها لمواجهة تلك التحديات المصيرية.

بيد أن القسم الأكبر منه لا ينطلق من الوعي بهذه التحديات، ولا يجد نفسه معنياً بمواجهتها، وبدلاً من أن يكون عاملاً إنهاض وإيقاظ، يقوم غالباً بدور التكريس لواقع

التخلف، عبر التركيز على المسائل الفردية العبادية، وتضخيم الجزئيات والتفاصيل في الجوانب العقدية بتشعباتها الخلافية، وينشغل بالتعبئة والتحريض المذهبي والفئوي. بينما يُغفل الحديث عن مسؤولية الإنسان في عمارة الكون، وما يستلزمه من جد ونشاط في معرفة سنن الحياة وقوانين الطبيعة، ويُغفل التذكير بدور الأمة في الشهادة على العالم، وتقديم النموذج الحضاري الأمثل، ويتجاهل القيم الأساس في الدين كالوحدة والحرية والعدالة وحقوق الإنسان.

هذا على صعيد المحتوى.

أما على مستوى الشكل وأسلوب العرض، فغالباً ما يستخدم هذا الخطاب طريقة الوعظ التقليدي، مكتفياً بسرد النصوص التراثية، والشواهد التاريخية، دون الاستفادة من تطورات العلوم الإنسانية كعلم النفس والاجتماع، ودون الاعتماد على لغة الإحصائيات والأرقام، وأسلوب الرصد والاستبيان، والدراسات الميدانية، مما يجعل لغة الخطاب إنشائية مكررة، وفي إطار العموميات والمثاليات.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما يواجهه الخطاب من منافسة قوية حادة، من جانب الخطاب الآخر، الذي يمتلك أقوى الإمكانيات والخبرات العلمية، والتكنولوجية والفنية، فإن ذلك سيكشف لنا سبب الضعف، ومحدودية التأثير.

بالطبع ينطبق هذا التوصيف على الجزء الأكبر من الخطاب الديني، لكن هناك الآن نماذج مشرقة، في الساحة الإسلامية، تقدم خطاباً واعياً منفتحاً، تتجلى آثاره ونتائجه الطيبة، في انبعاث حركة التغيير والصحو الإسلامية المباركة، وفي وجود تيار رسالي إيماني يتطلع لإحياء القيم المبدئية، وصياغة واقع الأمة على أساسها.

إن تطور الخطاب الديني ليكون بمستوى قيم الدين الرفيعة، وليستجيب لتحديات العصر الضاغطة، ول يتمكن من استنهاض الأمة، بحاجة إلى تكاتف القوى، وتضافر الجهود، من قبل المرجعيات والقيادات الدينية، والعناصر الواعية المهتمة بمستقبل الدين

والأمة، من أجل وضع خطة منهجية شاملة.

وقد يحتاج كل مجتمع بسبب خصوصية بعض أوضاعه وظروفه، إلى أن يتصدى المعنيون فيه بالشأن الديني إلى بلورة تصور واضح، ومشروع مدروس، لتوجهات الخطاب في محيطهم وأولوياته وأساليبه.

وإلى أن يتحقق هذا الطموح، فإن على كل من له دور في ساحة التوجيه الديني، أن يجتهد في تطوير مستوى أدائه، وأن ينطلق من موقع الشعور بالمسؤولية تجاه الدين والمجتمع، وأن يدرك عمق التحديات المعاصرة، ليرتقي بخطابه إلى الأفق المطلوب والمناسب.

وهذه الأحاديث التي بين يدي القارئ، إنما هي تجربة متواضعة على هذا الطريق، فقد كنت مهتماً بتلمس مشاكل المجتمع وقضاياها، مجتهداً في تقديم ما يمكن من الحلول والمعالجات، ساعياً إلى تطوير محتوى الخطاب وأسلوبه، حسب إمكانياتي وقدراتي المحدودة.

لقد ألفت هذه الأحاديث عبر منبر الجمعة في مسجد الفتح بالقطيف، خلال سنة ١٤٢٠هـ، وكنت أكتب كل حديث بعد إلقائه، ليتداوله الأخوة المؤمنون، وربما ساعدني بعض الأخوة الأعزاء في كتابة بعضها من شرائط التسجيل.

وإذ أقدمها اليوم مجموعة ضمن هذا الكتاب، لأرجو أن يكون فيها ما يفيد القارئ، ويسهم في تدوير التجربة بين المهتمين بشأن الخطاب الديني.

كما لا يفوتني أن أشكر الأخوة الأعزاء الذين شاركوني في تقديم هذا الجهد، وأخص بالذكر الأخ الأستاذ ذاكر حبيل والأخ الأستاذ ميرزا الخويلدي، اللذين كثيراً ما استعنت بهما في الإعداد للحديث، وتوثيق المعلومات، وكذلك الأخ الشيخ حسين الصويلح الذي قام بمتابعة طبع هذه الأحاديث ونشرها، جزاهم الله وبقية الأخوة خير الجزاء.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد المتواضع، وأن يجعل فيه نفعاً وفائدة، وأن يوفقنا جميعاً لخدمة الدين والأمة إنه ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

١٠ / ٣ / ١٤٢٢ هـ

٢ / ٦ / ٢٠٠١ م



# نحو حياة عائلية سعيدة

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٠ هـ



تختلف الروايات التاريخية حول سنة ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، هل كان قبل البعثة النبوية بخمس سنوات كما يرى أكثر علماء أهل السنة؟ أم بعد البعثة بخمس سنوات كما يرى علماء الشيعة؟ ولكنها تتفق على تحديد اليوم والشهر تقريباً، حيث تنص أكثر الروايات على أن ولادتها كانت في العشرين من شهر جمادى الآخرة. ولنا أن نتصور مدى الفرحة التي غمرت قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بولادة بضعته الزهراء عليها السلام.

أولاً: لكمال إنسانيته وعمق عواطفه، فلا بد أن يستبشر بتفتق برعم إنساني جديد في أحضانه.

ثانياً: لما أطلعه الله تعالى عليه عبر وحيه من فضل هذه المولودة ومكانتها عند الله تعالى، وإن استمرار نسله وذريته المباركة سيكون من خلالها.

وثالثاً: لانعكاس شمائله على محياها وطلعتها المشرقة.

يقول الدكتور محمد عبده يهاني:

وقد استبشر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمولدها وقال لزوجته خديجة: يا خديجة إنها النسمة الطاهرة الميمونة، وأن الله تعالى سيجعل نسلي منها. ولهذا كانت مثار اهتمام أبيها، ولا سيما أنها كانت تشبهه، فقد روى الحاكم في المستدرک بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كانت

أشد الناس شبهاً برسول الله ﷺ بيضاء مشربة بحمرة، لها شعر أسود.  
وعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ أشبه الناس  
وجهاً برسول الله ﷺ.  
وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً  
وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة.  
رضي الله عنها وأرضاها.. فقد كانت نطفة طاهرة، ونسمة كريمة باهرة..  
وسيدة فاضلة، أشبه ما تكون بسيد الخلق، وقد ورثت المجد من كل جانب، وحازت  
الفضل<sup>(١)</sup>.

في ذكرى مولدها المبارك، نريد أن نقتبس من هدي سيرتها العطرة، ما ينير لنا  
شيئاً من دروب الحياة، لذلك سنحاول التقاط صورة مشرقة عن جانب حياتها العائلية،  
لنستلهم منها الدروس والعبر، ولنصوغ حياتنا الأسرية العائلية على هديها.  
إن الأسرة هي المهد الأول في تربية الإنسان، وتبقى هي كهفه وحصنه الذي يحميه،  
والذي يلجأ إليه عندما يواجه أي تحدٍّ أو مشكلة في حياته.

وكلما كان ارتباط الإنسان بعائلته قوياً ووثيقاً كان تأثيره بأجوائها ومثلها وقيمتها  
قوياً أيضاً، فمن هذه الأسرة يتعلم الطفل اللغة، ويتعلم السلوك والتصرفات، وهي التي  
تشكل عادة خط الدفاع الأول عن شخصية الإنسان ومشاكله، ويؤكد القرآن الكريم  
الاهتمام الكبير بالعائلة حينما يطلب المؤمن من ربه أن يعطيه عائلة تكون له قرة عين ﴿رَبَّنَا  
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان: الآية ٧٤].

والدعاء بشيء يعكس الرغبة في تحقيقه، والسعي من أجل إنجازه، مع التماس  
توفيق الله تعالى لذلك، ومعونته في تذليل العقبات والموانع.

(١) يمانبي: محمد عبده، إنها فاطمة الزهراء ص ١٥ الطبعة الأولى ١٩٩٦م دار المنار - مؤسسة علوم  
القرآن، دمشق.

و(قرة العين) إما مأخوذة من كلمة (قر) بمعنى البرد، لأن العين في حالة السرور والفرح قد تسكب دموعاً باردة، فيكون المعنى: اجعلنا مسرورين فرحين بعوائلنا إلى حدّ نسكب فيه دموع الفرح الباردة من أعيننا، فهي كناية جميلة.

وإما أنها مأخوذة من (قرّ) بمعنى ثبت واستقر، ذلك إن الإنسان حين يبحث عن شخص أو شيء يتلفت بعينه يميناً وشمالاً فإذا وجد ما يريد قرّ نظره، أي استغنى عن الالتفاف والبحث ببصره، فيصبح المعنى: اجعل نفوسنا مطمئنة مرتاحة لوضعنا العائلي حتى لا نبحث عن الراحة والاطمئنان في أي مكان آخر.

ولكن ما هي الأمور التي تساعد على أن تكون العائلة قرة عين للزوجين؟ إذا استعرضنا حياة السيدة الزهراء العائلية، فسنجدها تجربة رائعة صالحة للاقتداء والتمثّل، فهي المثال الكامل الذي قدمه الإسلام لنا حتى نتبعه لكي نصل إلى هذا الهدف السامي. فكيف كانت الحياة العائلية والأسرية للسيدة الزهراء عليها السلام وزوجها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؟

### وقفة مع حديث الكساء:

من المفيد جداً إذا ما أردنا أن نشكل لنا صورة عن تلك الحياة الأسرية العظيمة، أن نستنتج العبر من مناسبة شهيرة مرت على بيت الزهراء وبيت أمير المؤمنين، وروتها كتب المسلمين جميعاً وهي قصة حديث الكساء، التي رويت في كثير من المصادر، غير أن كتب ومصادر أهل البيت عليهم السلام روتها بتفاصيلها الشيقة المفيدة.

وقد صدر أخيراً شرح جميل مفصل لحديث الكساء، واستنباط الأحكام والآداب والمفاهيم من فقراته بقلم المرجع الديني الإمام السيد محمد الشيرازي حفظه الله ويقع في ٣٢٠ صفحة تحت عنوان (من فقه الزهراء).

وقد يكون من أسباب تشجيع أهل البيت عليهم السلام وحثهم على قراءة حديث الكساء

وتداوله إضافة إلى تبيين مقام العترة الطاهرة هو أن الحديث ينقل صورة عن واقع العلاقة والتعامل داخل الأسرة النبوية الشريفة، حيث نقرأ فيه أن كل فرد من العائلة حينما يدخل البيت يبدأ بالسلام على أهله، فالرسول الأعظم ﷺ يدخل على ابنته الزهراء مبتدئاً بالسلام، والإمام الحسن وهو طفل صغير يدخل البيت مسلماً على أمه الزهراء وكذلك فعل أخوه الإمام الحسين الأصغر منه حينما دخل بعده، وكذلك أبوهما علي حينما يدخل البيت يبدأ بالسلام على زوجته الزهراء.

كما نقرأ في حديث الكساء الاحترام المتبادل بين أفراد العائلة حيث استأذن الحسن جده رسول الله ﷺ ليدخل معه تحت الكساء وكذلك فعل أخوه الحسين وأبوهما علي وأمهها الزهراء.

وفي حديث الكساء نقرأ إعلان كل واحد من أفراد العائلة محبته وثنائه على الفرد الآخر وإشادته بخصائصه حيث تخاطب السيدة الزهراء كلاً من ولديها بقولها: يا ولدي وقرة عيني وثمره فؤادي. ويخاطب الحسين جده قائلاً: السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله. ويحيي الإمام علي زوجته الزهراء بقوله: السلام عليك يا بنت رسول الله. فتجيبه: وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين.. إلى كثير من العبارات الواردة في الحديث وهي تحكي محبة كل منهم للآخر وإشادته بشخصيته.

ومن حديث الكساء نستشف قيمة اللقاءات والجلسات العائلية الودّية التي تملأ نفوس أفراد العائلة بالمحبة والحنان والاحترام، وتتيح الفرصة لهم لتبادل المشاعر والأفكار وتزيد الانشداد والتماسك العائلي، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «جلوس المرء عند عياله أحب إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا»<sup>(١)</sup>.

بينما تفتقر الكثير من العوائل في بعض مجتمعاتنا إلى أجواء العطف والحنان حيث ينشغل الرجل في عالمه الخاص وهمومه الخاصة وكذلك المرأة ويقضي الأولاد أكثر أوقاتهم

(١) الريشهري: المحمدي، ميزان الحكمة ج ٤ ص ٢٨٧.

أمام التلفاز والكمبيوتر أو مع رفاقهم من خارج العائلة. إن حالة الانسجام والمحبة في العائلة تنمي في نفس الإنسان الثقة والوداعة والاتزان وحسن التعامل مع الآخرين، بينما الأجواء العائلية المضطربة تنتج اهتزازاً في شخصية الإنسان، وتزرع في نفسه عقداً مختلفة.

### رعاية الحقوق ضمن العائلة :

وهذه الصورة التي يقدمها حديث الكساء وما ينقله لنا التاريخ من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) إنما هي تجسيد لتعاليم الإسلام وآدابه في المحيط العائلي. فالإنسان ضمن عائلته زوجاً أو زوجة أو ولداً أو والداً له وعليه حقوق وآداب متبادلة، لا ينال رضا ربه ولا تهناً حياته العائلية إلا برعايتها والالتزام بها. والغريب أن بعض الناس يرى نفسه ملزماً بحقوق الآخرين من خارج عائلته، ولكنه يتساهل ويتسبب في تعاطيه مع عائلته القريين منه فلا يحترم حقوقهم ويحيز لنفسه الاعتداء عليها، مع أن القرآن الكريم يشدد على التزام الحدود كثيراً في تناوله للعلاقات العائلية، ويعتبرها مصداقاً لحدود الله تعالى التي لا يصح تجاوزها، حيث وردت كلمة (حدود الله) في ثلاثة عشر مورداً في القرآن الحكيم، عشرة منها في مجال العلاقات العائلية، كما في سورة البقرة آية ٢٩٩ وآية ٢٣٠، وفي سورة النساء آية ١٣، وفي سورة المجادلة آية ٤ وسورة الطلاق آية ١.

ونقرأ في أحاديث رسول الله ﷺ الكثير من النصوص التي تؤكد رعاية الحقوق الزوجية المتبادلة، فعنه (عليه السلام): «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وان صامت الدهر.. وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً»<sup>(١)</sup>.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ج ٢٠ ص ١٦٥ حديث رقم ٢٥٣١٥.

وكان الرسول ﷺ يريد أن يقول للناس إن الصلاة والصوم هو تعامل مع الخالق ولكن الله سبحانه وتعالى لا يقبل هذا التعامل معه، ما لم يكن تعاملك مع المخلوقين ضمن الحدود والموازن الشرعية المقررة له وأقرب الناس إلى الزوجة زوجها وكذا العكس. وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر ﷺ وهي مهمة في هذا الجانب، يقول الإمام: « لا شفيع للمرأة أنجح عند ربها من رضا زوجها »، ولما ماتت فاطمة ﷺ قام عليها أمير المؤمنين ﷺ وقال: « اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيك »<sup>(١)</sup>.

ونستفيد من هذه الرواية إنه إذا كانت الزهراء ﷺ تحتاج إلى رضى زوجها عنها وهي ابنة رسول الله وسيدة نساء أهل الجنة فإن أية امرأة أخرى أحوج إلى ذلك. إننا بحاجة إلى التأكيد على حقوق الزوجة أكثر من حقوق الزوج، ذلك لأن الزوج بطبعه يشعر بالقوة والتفوق والهيمنة على زوجته، من حيث إن له حق القوامة.. أما الزوجة فليست كذلك، من هنا يقول الرسول ﷺ: « مازال جبرئيل يوصيني بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها »<sup>(٢)</sup>.

ويضرب بعض الرجال عن كل هذه التوجيهات صفحاً، ويتجاوز على حقوق زوجته، ويكلفها بأكثر مما هو واجب عليها ويتعامل معها كما لو كانت أجيرة في بيته، فهي مسؤولة حتى عن خدمته هو شخصياً في أكله ولباسه ومسكنه، والواقع أن خدمة الزوجة لزوجها ليست واجباً إلزامياً عليها، إنما هو أمر عرفي، وهو مستحب شرعاً لا أكثر من ذلك.

والمرأة إذا قامت بخدمة زوجها فإنها هي محسنة و ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ فلا يجوز له أن ينهرها أو يضربها أو يهينها إذا قصرت في ذلك، لأنه ليس واجباً عليها أصلاً.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٥٦.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٢٥٣.



إن التعاليم الإسلامية تشجع على أن يخدم الرجل زوجته أيضاً لتكون الخدمة متبادلة كحالة تعاون، ففي رواية عن النبي ﷺ: «إذا سقى الرجل امرأته الماء أُجر»<sup>(١)</sup>. وفي حديث آخر: «إن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته»<sup>(٢)</sup>. وهناك الكثير من الروايات والأحاديث التي تشجع على خدمة الرجل لزوجته خصوصاً ولعائلته عموماً.

وفي ذلك يقول الرسول الأكرم ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»، وحينما تسأل أم المؤمنين عائشة زوج الرسول ﷺ عن طبيعة تعامل الرسول ﷺ مع أهله تقول عنه ﷺ: كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته ما يعمل أحدكم في بيته، كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة»<sup>(٣)</sup>.

ويقول أمير المؤمنين ﷺ: «لا يكن أهلك أشقى الخلق بك»<sup>(٤)</sup>، فبعض الناس يتطوع لخدمة الآخرين في المحافل العامة لكنه غير مستعد لخدمة أهله، وقد يخدم الضيوف في بيته لكنه يأبى عن تقديم الخدمة لعائلته.

لقد كانت حياة علي والزهراء مصداقاً واضحاً وبارزاً لتلك التعاليم والإرشادات التي تجعل من الحياة العائلية حياة سعيدة بلا حدود.

وها هو أمير المؤمنين ﷺ يوضح احترامه ومراعاته لحقوق زوجته الزهراء في الكلمات التالية: «فو الله ما أغضبته ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل ولا أغضبته ولا عصت لي أمراً لقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان»<sup>(٥)</sup>.

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال ج ١٦ ص ٢٧٥ حديث رقم ٤٤٤٣٥.

(٢) الكاشاني: المولى محسن، المحجة البيضاء ج ٣ ص ٧٠.

(٣) الترمذي: أوصاف النبي، دار الجيل - بيروت، تحقيق وتعليق: سميح عباس ص ٢٧٦.

(٤) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب ٣١.

(٥) القزويني: محمد كاظم، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، الطبعة الأولى ١٩٩١ م مؤسسة النور للمطبوعات - بيروت ص ١٤٢.

فلا هو ﷺ تجاوز ولا هي ﷺ قصرت.

ومن جهتها هي أيضاً أكدت ذلك في وصيتها المعروفة له قبل وفاتها حيث قالت: «يا بن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني»، فيجيبها عليّ ﷺ مباشرة «معاذ الله أنت أعلم بالله وأبّر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أوبّخك بمخالفتي»<sup>(١)</sup>.

وفي مثل هذه المناسبة العظيمة وهي ذكرى ولادة الزهراء ﷺ، ينبغي لنا أن نتطلع إلى تلك الحياة العائلية السعيدة التي عاشها بيت فاطمة وأن نطالب أنفسنا بتحمل أدوارنا كاملة في ذلك، وأن لا يلقي كل طرف بالمسؤولية على الآخر، ويرى نفسه من التقصير. وعلينا أن نعمل بإرشادات الإسلام في علاقاتنا العائلية ونقتدي بأهل البيت ليستجيب الله دعاءنا حينما نقول ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

(١) المصدر السابق ص ٤٢٥.

# النجاح في العلاقات الاجتماعية

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٢٠ هـ



يتعرض الإنسان من خلال علاقاته وتعامله مع الناس إلى امتحان دائم، فهو من جهة يواجه أمزجة مختلفة ونفسيات متفاوتة، ومن جهة أخرى يحتاج إلى التعامل والتعاطي الدائم معهم، ولكي يكون الإنسان ناجحاً في هذا التعامل ينبغي أن يمتلك صدرًا منشرحاً ونفسية سمحة.

فالتعامل مع البشر يختلف قوانينه عن التعامل مع الطبيعة، إذ قوانين الطبيعة ثابتة بينما البشر أمزجة مختلفة، وعقول متفاوتة، ومصالح شتى، وأكثر من ذلك أن مزاج الفرد الواحد لا يكون ثابتاً دائماً بل يتقلب بتقلب الظروف والأجواء التي تحيط به، مما يضفي على الصعوبة الموجودة أصلاً صعوبة أخرى، فقد تلتقي شخصاً يوماً فيكون فيه سعيداً فرحاً مسروراً، ثم تلتقيه يوماً آخر فتجده على عكس ذلك تماماً.

وليس صحيحاً أن يلقي الإنسان باللائمة في مشكلات التعامل على الآخرين، فيعتبر نفسه بريئاً من كل نقص، أو يرى أن النقص والعيب في الآخرين فقط..، فيقول إن الناس لا يفهمونه ولا يقدرونه، وأنهم غير جديرين بالاحترام والتقدير، وإنهم لو كانوا كذا لكان تعامله معهم أفضل، ولو كانوا مثل فلان وفلان، لكنت ناجحاً معهم.

والواقع أن الناس لا يمكن أن يكونوا كما يتمنى أي شخص ويريد، فهل يتصور هذا أن الله يخلق الخلق حسب مزاجه ورغبته هو؟ وهل الناس لباس تفصله على ذوقك

حتى تلبسه؟ أم أثاث تريد أن تستعمله فتعطي قياسه للنجار فيصنعه لك؟ إن الناس هم الناس.. في كل مكان تذهب إليه وسيبقون كذلك.

ولم يحقق الله لأحد من خلقه، حتى من أنبيائه ورسله، أن يخلق له أناساً من صفات معينة حتى ينجح في تعامله معهم.

فكيف ينجح الإنسان في تعامله مع الناس رغم اختلاف نفسياتهم؟ هذا ما تحيب عنه الآية ٦٣ من سورة الفرقان حيث يقول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

حيث تؤكد الآية أن ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ الذين يخضعون لأوامره ونواهيهم، يتصفون بصفة مهمة تساعد في إنجاح علاقتهم مع الآخرين وتأثيرهم عليهم، وهذه الصفة هي أنهم ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ فلا يمشون بخيلاء وتكبر وتجبر، وأنهم لا ينظرون إلى أنفسهم بتميز عن الآخرين ولا يشعرون بأنهم أرقى من بقية الناس.

وهذه النفسية المتكبرة لا يمكن أن تنجح في التعامل مع الغير، لأن أهم أسس النجاح أن يكون الإنسان قادراً على التسامح على ردات الفعل، ومتمكناً من ضبط النفس أمام كل إثارة وتهيج، وأنى للمتكبر أن يصل إلى هذا المستوى.

ثم تقول الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ والجاهلون ليسوا بالضرورة طبقة الأميين أو غير المتعلمين بل قد يكونون أناساً متعلمين وعلماء متخصصين، غير أنهم جهّال في كيفية التعامل مع غيرهم، وهم ليسوا بالضرورة صغاراً في السن بل قد يكونون كباراً في السن إلا أن تصرفاتهم طفولية.

فالذين هم من عباد الرحمن المطيعين لا يستجيبون لإثارات الجاهلين بل يكون ردهم كما تؤكد الآية ﴿سَلَامًا﴾.

وسلاماً هنا تعني الوداع، أي إن هذا وقت الافتراق بيننا، أي إننا لن نستجيب لكم في الوقوف عند كل تصرف جاهل تقومون به، بل سنمر عليه مرور الكرام، كما

تشير إلى ذلك آية أخرى حيث يقول عز وجل: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [سورة الفرقان: الآية ٧٢]. وفي آية أخرى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة القصص: الآية ٥٥]. فليس يليق بشأنهم أن يردوا على كل تصرف جاهل، بل هم أرفع وأعلى، وهم منصرفون إلى مهماتهم وأعمالهم الطيبة الأساسية، لا ينشغلون عنها بالترهات والخصومات الجانية.

وهذه هي الصفة التي تميزت بها الشخصيات الناجحة في التعامل مع الآخرين. ويعطي لنا الإمام علي بن الحسين عليه السلام نموذجاً لتلك الشخصية فقد حدث « أن لثيماً اعتدى عليه فسبه، فأشاح عليه السلام بوجهه عنه، فانتفخت أوداج اللثيم وراح يقول له: إياك أعني. وأسرع الإمام قائلاً وعنك أغضي.. وتركه الإمام وانصرف »<sup>(١)</sup>.

وخرج من المسجد ذات مرة فسبه رجل فأسرع إليه الناس للانتقام منه فنهاهم عن ذلك، وأقبل عليه قائلاً: ما ستره الله عنك أكثر ألك حاجة نعينك عليها؟ وخجل الرجل وود أن الأرض قد ساخت به، ولما نظر إليه الإمام أشفق عليه فألقى إليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم<sup>(٢)</sup>.

هذا في حين أنك تجد بعض الناس يتفاعلون حتى مع الكلام الذي ينقل إليهم عن الآخرين رغم أن النقل قد لا يكون دقيقاً.

وينقل عن الشيخ الآخوند محمد كاظم الخراساني رحمه الله، أنه كان آية في تعامله حتى مع المناوئين له وكان يهتم خصوصاً بمبادلتهم الإساءة بالحسنى.. وذات مرة دخل عليه أحد الخطباء المعروفين، ممن كانوا يعارضون الشيخ الآخوند في تزعمه لحركة المشروطة، التي تطالب الملك القاجاري في إيران بوضع دستور للبلاد

(١) القرشي: باقر شريف، الإمام زين العابدين - ص ٧٧ ج ١، الطبعة الأولى ١٩٨٨م دار الأضواء - بيروت.

(٢) المصدر السابق.

وإنشاء مجلس للشورى، وكان ذلك الخطيب ينتمي إلى مجموعة أخرى كانت تسمى بالمستبدة، تطالب بأن يبقى الوضع كما هو، خوفاً من دخول القوانين غير الإسلامية في الدستور، أو نفوذ رجال من خارج الوسط الديني في مجلس الشورى، ولوجود حالة الخلاف هذه فكثيراً ما تناول ذلك الخطيب من على منبره الشيخ الآخوند بالنقد والتجريح على موقفه، وشاء القضاء أن يحتاج هذا الخطيب أن يبيع بيته حتى يسدد ديناً عليه، فقال له المشتري: إذا وقع الآخوند على سند بيتك أشتريه وإلا فلا.. فجاء إلى النجف. والتقى الشيخ الآخوند.. احترمه الشيخ كثيراً وأجلسه في صدر المجلس وعبر له عن سروره بلقائه، فقال الخطيب: أرجو أن توقع هذا السند لأستطيع أن أبيع بيتي، فأخذ الشيخ السند ثم بعد فترة قام الشيخ وأخرج من خزائنه عدة أكياس من الليرات، ودفعها إلى الخطيب وقال: أنت من أهل العلم وأنا لا أرضى أبداً بضغط الحاجة على أهل العلم، خذ هذا المبلغ وأد ديونك ولا تبع بيتك فتشرد عائلتك. فخجل الخطيب من تصرف الشيخ ولكنه أصبح بعد ذلك من أنصار الشيخ ومحبيه<sup>(١)</sup>.

### الأقربون أولى:

ومهما كانت الحاجة إلى ممارسة هذا الخلق مع الناس ماسة وشديدة، إلا أن التعامل بها مع المحيط القريب من الإنسان أهم وأكبر. فالعفو والصفح له قيمة عظيمة إذا مارسته مع الأبعدين، ولكن قيمته تزداد حينها يمارس وسط العائلة والأسرة والدائرة الأقرب للإنسان، مع الوالدين الكبارين، ومع الزوجة والأبناء، مع الفقراء والضعفاء ومن لا حول لهم ولا قوة.

ذلك أن القوي قد يندفع الإنسان للتنازل معه بدافع من الخوف والهيبه وتجنباً للمشاكل، أما الضعيف الذي لا يملك حولاً ولا قوة، فإن التنازل له لا يحركه الخوف،

(١) مختاري: الشيخ رضی، سيماء الصالحين، ترجمة الشيخ حسين الكوراني - دار البلاغة - بيروت ١٩٩٢م ص ٢٧٨.



بل رغبة للثواب والأجر من الله وانطلاقاً من طيب الذات والمعدن.  
 أما بعض الناس، ونحن نسمع أحياناً شيئاً من هذه القصص، إذا أخطأ في حقهم  
 بعض إخوانهم، فإنهم يكشرون عن أنيابهم فينتقمون منهم بشراسة. وإذا تجاوز عليهم  
 أناس غرباء عنهم، أو أقوياء في مراكزهم، فإنهم يخنعون ويركعون ويدفنون رؤوسهم  
 في الرمال.. ثم لا يفتأ يكرر عليك كلمات الصبر والتحمل (ما عليه، بسيطة، ما يخالف،  
 نتحملها، شدة وتزول)، وبذلك يكونون مصداقاً لقول الشاعر:

أسد عليّ وفي الحروب نعمة      ربداء تجفل من صفير الصافر  
 هلابرزت إلى غزاة في الضحى      بل كان قلبك في جناحي طائر

وليت شعري، أين كانت هذه الكلمات حينما أخطأ في حقك أخوك في النسب  
 أو الإيمان؟ ولماذا اعتبرت ثورتك هناك استرداداً لعزتك وكرامتك التي تصورت أنها  
 انتهكت وأهينت، أما هنا فتحولت إلى صابر محتسب؟ فأينك إذاً من قول الله عز وجل:  
 ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؟ [سورة المائدة: الآية ٥٤].

إن طريق الفرد، والمجتمع للنجاح في تحدي العلاقة مع الآخرين، يمر حتماً عبر  
 هذه المقدمة، وما لم يكن الإنسان قادراً على التحكم في رداً فعله على تصرفات الغير،  
 فإنه لن يكون ناجحاً في تعامله، ولنا في سيرة النبي ﷺ وأهل بيته خير أسوة وقدوة،  
 ولنستفيد من سيرة العظماء الذين بلغوا أعلى المناصب لكنهم تغلبوا على حس الانتقام،  
 فهذا يوسف الصديق ﷺ يخاطب إخوته حينما دخلوا عليه مصر وهو ملك عليها، بعد أن  
 أساءوا في حقه كثيراً، حسدوه، وألقوه في غيابة الجب، ثم بيع كعبد في مصر، وتعرض  
 للسجن والاتهام، لكنه كان أسمى وأكبر من الانتقام والحقد، بل خاطبهم: ﴿قَالَ لَا  
 تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة يوسف: الآية ٩٢].

إن سعة الصدر صفة ضرورية للنجاح في الحياة الاجتماعية، ولتجاوز مشاكل

التعاطي والتعامل مع الآخرين من القريين والبعيدين، وهي تجعل نفس الإنسان في راحة من التفاعل مع إساءات الآخرين، كما توفر على أعصاب الإنسان ومشاعره حالة الاضطراب والتشنج الناتج من ردات الفعل على الاستفزات المعادية.

# الإنسان بين الانشداد المادي والسمو الروحي

كلمة الجمعة بتاريخ ٦ رجب ١٤٢٠ هـ



خلق الله الإنسان مزيجاً من عنصرين، أحدهما مادي والآخر رُوحِي، قبضة من طين وومضة من روح، يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة ص: الآيات ٧١-٧٢].

هذا المزج في خلق الإنسان بين عنصري المادة والروح، هو سبب حالة الصراع الداخلي عند الإنسان، بين طرفي هذه المعادلة، الطين والروح، فعنصر المادة أو الطين يشده نحو الأرض، وينحدر به إلى الاهتمامات المادية، بينما عنصر الروح يدفعه إلى الأعلى، ويخلق به في سماء القيم والمثل. وفي هذا الصراع يكمن امتحان الإنسان، ويكون التحدي الأكبر، وعلى نتيجة هذا الصراع يتقرر مصير الإنسان ويتحدد مستواه، إما في أحسن تقويم، حينما يعيش حالة التوازن، ويمارس اهتماماته المادية في ظل القيم وتحت سقف المبادئ، وإما في أسفل سافلين، إذا ما اتخذ إلهه هواه، وسيطرت عليه شهواته ورغباته. و يمكننا أن نحدد أهم خطوط التماس ونقاط التعارض بين التوجهين في حياة الإنسان في الأبعاد الثلاثة التالية:

### **أولاً: بين الشهوة والتعقل:**

فمن عنصر الطين وجدت في الإنسان الغرائز والشهوات، وهي تضغط عليه لإشباعها، وتلبية متطلبات الجسم ورغباته من طعام وشراب وجنس وراحة، وما يرتبط

بها من مال ومنصب ومقام. لكن الاستجابة المطلقة لهذا الاتجاه، تحوّل الإنسان إلى مستوى الحيوانات البهائم التي لا هم لها إلا هذه الرغبات، ولا اهتمام لها سواها، فهي تأكل في كل مكان من مزبلة أو مرعى، وتشرب من أي ماء نظيفاً كان أو قذراً، وتمارس الجنس في أي وضع، لأنها مسيرة بغرائزها فقط.

لكن حالة التعقل عند الإنسان، والنابعة من عنصر الروح، هي التي تضع له في ممارسة شهواته ورغباته حدوداً وضوابط، فيأكل ويشرب وينكح ويتملك ويتزعم، ولكن كل ذلك ضمن توجيه العقل وهدايته.

فالاستجابة الأكثر للشهوة، يعني الانحدار أكثر في أعماق الحالة الطينية المادية، بينما التعقل والضبط الأفضل للرغبات والشهوات، يعني السمو الأكبر في آفاق التطلعات الروحية المعنوية.

### ثانياً: بين الأنانية والسمو:

فالجانب الطيني يركز في الإنسان حالة الأنانية، وتعني الاهتمام بالذات فقط، وتغليب المصالح الشخصية على كل شيء، إذ المادة كمادة، ليس لها قدرة على التوجه لخارج ذاتها، فهي تعيش بذاتها لذاتها.

بينما جانب الروح يوجه الإنسان إلى الأفق الأرحب، خارج ذاته، فيتطلع إلى رضا ربه وخالقه، ويهتم بأوضاع الآخرين من حوله، ويفكر في المصلحة العامة، إن الأنانية النابعة من الطين هي التي تدفع الإنسان للاعتداء على حقوق الآخرين من أجل أن يكسب هو، وهي التي تمنعه من العطاء والبذل، ليوفر أكبر قدر من الإمكانيات لنفسه هو.

لكن ضمير الإنسان ووجدانه، المنبثق من نفخة الروح الإلهية، هو الذي يردعه عن الظلم والعدوان، ويشجعه على نفع الآخرين ومساعدتهم، بل وإيثارهم على

ذاته ونفسه.

فاهتمام الإنسان أكثر بذاته هو انحدار مادي، وتوجهه نحو الآخرين والمصلحة العامة هو سمو روحي.

### ثالثاً: بين المحدودية والقيم:

فالطين مادة تشغل حيزاً محدوداً من الزمان والمكان، وهي تحدد الإنسان بحدودها الضيقة، وتشغله بمتطلباتها ومستلزماتها الآنية العاجلة، بينما الروح مرتبطة بالمطلق واللامحدود واللامتناهي، إنها نفخة من الله ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ والإضافة هنا للتشريف وإلا فليس لله جسم أو روح بالمعنى المتداول عندنا.

والروح تفتح الإنسان على عالم القيم والمثل، وهو عالم واسع عريض رحب، إذا تطلع إليه الإنسان، تسامى على الماديات المحدودة، وجتد نفسه لخدمة القيم الإلهية الخالدة، فيكون داعياً للخير، ورائداً للعدل، وعاملاً من أجل الحق.

من هنا فإن من يكرس حياته للماديات يكون منحازاً لجانب الطين في خلقته، بينما من يندر نفسه للمبادئ والقيم يكون محلّقاً في عالم الروح، خالداً في نعيم الرضوان الإلهي.

### شهر رجب موسم روحي:

شهر رجب المرجب هو أول شهور الموسم الروحي للأمة الإسلامية، يعقبه شهر شعبان ثم شهر رمضان المبارك.

هذا الموسم الروحي ينبغي أن يعزز في أنفسنا التطلعات الروحية، وأن يقوّي إرادتنا للانتصار للبعد الروحي في شخصياتنا، وأن يساعدنا على ضبط انشدادات الطين، ورغبات المادة في حياتنا.

وقد وردت في فضل شهر رجب روايات كثيرة، منها:

ما روي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إن رجباً شهر الله الأصم وهو شهر عظيم»<sup>(١)</sup>.

وما روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «رجب شهر عظيم يضاعف الله فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ «رجب شهر الاستغفار لأمتي فأكثروا فيه الاستغفار، فإنه غفور رحيم، ويسمى الرجب الأصم لأن الرحمة على أمتي تُصب صبباً فيه، فاستكثروا من قول: أستغفر الله وأسأله التوبة»<sup>(٣)</sup>.

وهناك روايات وأحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ترسم أمامنا بعض البرامج الروحية لاستثمار هذا الشهر الكريم، والاستفادة من خيراته المعنوية، ومن أهم تلك البرامج والمستحبات:

#### أولاً: الصوم:

والصوم إعداد وتدريب للإنسان على الضبط، والتحكم في الرغبات والشهوات، حيث يمتنع الإنسان بإرادته واختياره عند الصوم عن المفطرات، التي هي من أبرز الرغبات كالأكل والشرب والجنس.

وإذا كان الصوم واجباً في شهر رمضان فقط، فلأنه الحد الأدنى مما يحتاجه الإنسان من إعداد وتدريب سنوي، لكن أصحاب الطموح والتطلع للراقي الروحي، والتقدم المعنوي، لا يكتفون بصيام شهر رمضان الواجب، لذا وضع الإسلام برامج صوم إضافية على نحو الاستحباب، لإتاحة الفرصة لهؤلاء الطامحين المتطلعين.

والصوم في شهر رجب هو من أبرز تلك البرامج، فمن استطاع أن يصوم طوال

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ج ١٠ ص ٤٧٥، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم، إيران.

(٢) المصدر السابق ص ٤٧٣.

(٣) القمي: الشيخ عباس، مفاتيح الجنان ص ١٨٥ الطبعة الأولى ١٩٨٣ م دار الأضواء - بيروت.



شهر رجب فقد نال النصيب الأوفى، وإلا فليصم نصفه أو ثلثه أو ربعه، ولا ينبغي أن يفوت الإنسان الصوم في شهر رجب، ولو يوماً واحداً.

روي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: « رجب نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فمن صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر »<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن سالم عن أبيه « قال: دخلت على الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام في رجب وقد بقيت منه أيام، فلما نظر إليّ قال لي: يا سالم هل صمت في هذا الشهر شيئاً؟ قلت: لا والله يا بن رسول الله. فقال لي: لقد فاتك من الثواب ما لا يعلم مبلغه إلا الله عز وجل، إن هذا شهر قد فضله الله، وعظم حرمة، وأوجب للصائم فيه كرامته »<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: العمرة:

زيارة الإنسان لبيت الله الحرام، وأداؤه لمناسك الطواف والصلاة والسعي، وما تستلزمه من تكاليف، ويتبعها من أحكام وواجبات، هذه الزيارة تؤكد في نفس الإنسان الخضوع لله، وتنفيذ أوامره في جميع شؤون، كما توحى له بأن يكون الرب محور حياته وحركته، وأن يجتهد في السعي لتحقيق مرضاته، وكل منسك من المناسك، ومعلم من معالم الحرم الشريف، تشكل رموزاً وإضاءات للإنسان في حياته الروحية وبعده المعنوي.

وإذا كان الواجب على الإنسان قصد البيت الحرام، وأداء مناسك الحج والعمرة مرة واحدة في العمر، فإن التردد على زيارة البيت الحرام، وأداء النسك، يعني المزيد من الاستلهام الروحي، والإضاءة الإلهية لقلب الإنسان ومسيرته.

ومن مستحبات شهر رجب المبارك، أداء مناسك العمرة، وإذا كان البعض من

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٤٧٥.

(٢) المصدر السابق ص ٤٧٥.

علماء المسلمين لا يرون ميزة خاصة للعمرة في شهر رجب، فإن أتباع أهل البيت عليهم السلام يأخذون بأقوال أئمتهم الهداة، التي تؤكد استحباب العمرة في هذا الشهر، وأفضليتها فيه على بقية الشهور، وأقوال الأئمة حجة شرعية علينا.

فقد سئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام: أي العمرة أفضل عمرة في رجب أو عمرة في شهر رمضان؟ فقال: لا، بل عمرة في رجب أفضل<sup>(١)</sup>.

و عنه أيضاً عليه السلام: «المعتمر يعتمر في أي شهور السنة شاء، وأفضل العمرة عمرة رجب»<sup>(٢)</sup>.

وبحمد الله فإن الفرصة متاحة أمامنا، ونحن نعيش بقرب الحرمين الشريفين، والوسائل مهيأة للقيام بمناسك العمرة، حتى في غضون ساعات، وتوجد لدينا في المنطقة الآن، رحلات منتظمة للعمرة، ضمن عطلة نهاية الأسبوع، يومي الخميس والجمعة، فهنيئاً للمبادرين للعمرة في هذا الشهر الفضيل، كما أن التنظيم الجديد الذي أقره مجلس الوزراء والذي ستتاح بموجبه فرصة العمرة لأي مسلم خلال تسعة أشهر في السنة، هذا القرار سيبعث البهجة والسرور في نفوس مسلمي العالم، ويمكن القادرين منهم على زيارة الحرمين الشريفين في أي وقت والحمد لله، وله انعكاسات جيدة على الوضع الاقتصادي للمملكة. وفق الله المسؤولين لخدمة الدين والوطن.

### ثالثاً: الصلاة والدعاء والذكر:

الصلاة معراج المؤمن، حيث ينطلق بروحه وقلبه وفكره في آفاق السمو الإلهي، متجاوزاً حدود الاهتمامات المادية، سارحاً محلقاً في أجواء ذكر الله، ومتنعماً بلذة المثول في حضرة الرب سبحانه.

و في شهر رجب المبارك ينبغي المواظبة على أداء النوافل اليومية وخاصة صلاة

(١) المصدر السابق ج ١٤ ص ٣٠١.

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٣.

الليل، كذلك فإن هناك صلوات بكيفيات خاصة، يستحب أدائها في أيام وليالي هذا الشهر الفضيل، وهناك أدعية خاصة، تذكّر الإنسان بعظمة ربه وبأسائه الحسنی، وتوجه الإنسان إلى الحقائق الكونية، وإلى مكارم الأخلاق، وجميل السلوك والصفات، ورد استحباب قراءتها والمواظبة عليها في هذا الشهر الفضيل. وهي مذكورة في كتب الأدعية المعروفة كمفاتيح الجنان للشيخ القمي والدعاء والزيارة للإمام الشيرازي.

#### رابعاً: الصدقة :

إن مساعدة الفقراء والمحتاجين تدل على صدق تدين الإنسان، ولعله لذلك سمّيت صدقة من الصدق، بينما التجاهل لأوضاع المحرومين، علامة على كذب ادعاء التدين، فلا يثبت للإنسان دين وإيمان مع إعراضه عن حاجات الضعفاء والفقراء، يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [سورة الماعون: الآيات ١ - ٣].

وإذا كانت الصدقة مطلوبة في كل وقت، ولها نتائجها العظيمة على حياة الإنسان قبل آخرته، حيث إنها كما ورد في الأحاديث، تدفع البلاء وتزيد الرزق، وتطيل العمر، إلا أنها في هذا الشهر الكريم أكثر ثواباً وأعظم بركة.

ففي حديث مروى عن رسول الله ﷺ كان يتحدث فيه عن فضل شهر رجب والصيام فيه ثم قال: «يتصدق كل يوم برغيف على المساكين، والذي نفسي بيده إنه إذا تصدّق بهذه الصدقة كل يوم ينال ما وصفت وأكثر، إنه لو اجتمع جميع الخلائق على أن يقدّروا قدر ثوابه ما بلغوا عشر ما يصيب في الجنان من الفضائل والدرجات»<sup>(١)</sup>.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٤٨٣.



# التعامل الإنساني في سيرة الإمام علي عليه السلام

كلمة الجمعة بتاريخ ١٢ رجب ١٤٢٠ هـ



تميزت سيرة أمير المؤمنين عليؑ بخصال عديدة، كان من أوصحها تعامله الإنساني المجرد مع الآخرين، والمبني على احترام الإنسان كإنسان، بغض النظر عن أي شيء آخر، والمحافظة على حقوقه وشخصيته المادية والمعنوية، في أي موقع ومكان، ومهما كان حجمه ومستواه..

وأهمية التوجه إلى هذا الجانب في سيرة أمير المؤمنينؑ تنبع من دوره في التأثير على مجمل حياة الإنسان، الشخصية والاجتماعية، وفي كونه طريقاً إلى رضا الرب سبحانه وتعالى.

فأنا وأنت نتعامل مع بشر، سواء، كانوا موافقين لنا في الدين والاتجاه، أو مغايرين، ومن الأهمية بمكان، أن نعرف كيف نتعامل معهم التعامل الإنساني السليم، الذي يعكس صفاء الإسلام، وتكريمه للإنسان كإنسان، قبل أن يكتسب أية صفة أخرى، تضيف إليه اعتباراً آخر.

ولقد كانت سيرة أمير المؤمنينؑ زاخرة بأمثلة عديدة، من التعامل الإنساني مع الآخر، في مختلف الأوضاع والظروف، فهي بحق - بعد رسول الله ﷺ - أفضل مثال وقدوة تحتذى، خصوصاً ونحن نستعيد هذه الأيام ذكرى ولادته الشريفة.

وإن حضور هذا البعد في حياته، هو الذي جعل من شخصيته، شخصية إنسانية

خالدة على مستوى البشرية كلها، وليس في تاريخ المسلمين وحدهم. وقبل أيام صدر ديوان شعر جديد في بيروت لمسيحي ماروني هو (جوزيف الهاشم)، حول الإمام علي، وتحت عنوان (علويات) أما كتاب (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية)، للأديب المسيحي (جورج جرداق)، فهو موسوعة رائعة، أخذت موقعها في مكتبة الثقافة والأدب العربي، وأيضاً ملحمة (عيد الغدير) لبولس سلامة المسيحي، وغير ذلك من الأعمال الأدبية والتاريخية والفكرية، التي تنبئ عن مكانة الإمام على المستوى الإنساني.

### الماء حق للجميع :

فمن شواهد التعامل الإنساني عند علي عليه السلام، ما جرى في معركة صفين، حين سبق جيش معاوية، جيش الإمام في الوصول إلى منطقة القتال، واستولى على مشرعة الفرات، ومنعوا جيش الإمام من الوصول إليه، فضج أصحاب الإمام من ذلك، فقام فيهم خاطباً وقال كلمته الشهيرة: «قد استطعموكم القتال، فأقروا على مذلة، وتأخير محلة، أو رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين»<sup>(١)</sup>.

فاستنهض الإمام بذلك جيشه للوصول إلى المشرعة، وهذا ما حصل فعلاً، حيث استطاعوا أن يجلوا جيش معاوية عنها وأن تكون لهم السيطرة عليها، فلما كان ذلك تصايحوا يقولون له: «نمنعهم من الماء كما منعونا، ونقتلهم بسيف العطش، ولكنه رفض ذلك، وقال: «خذوا حاجتكم من الماء وارجعوا إلى معسكركم واخلوا بينهم وبين الماء فإني لا افعل ما فعله الجاهلون»<sup>(٢)</sup>..

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - خطبة ٥١.

(٢) القزويني: السيد محمد كاظم، علي من المهد إلى اللحد ص ٣٣٤ مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٩٦٧ م.



وهكذا يضرب لنا مثلاً يحتذى في رفض استخدام الحصار والتضييق، ومنع ضرورات الحياة عن العدو، الذي يخوض معه معركة حاسمة، حتى وإن لجأ العدو إلى هذا الأسلوب.

إن هذه حقاً هي أخلاق الإسلام في بعدها الإنساني الكبير.

وحينما تبحث عن هذه الرؤية في الواقع العالمي الدولي، تجد أنها غائبة عن قاموس السياسة الدولية اليوم، فها أنت ترى الدول الكبيرة والمتحكمة، تمارس الحصار والمقاطعة ضد الشعوب الضعيفة، بحجة تصفية خلافاتها مع بعض الأنظمة والحكام، رغم أنهم يعلمون أن ضحية هذا الحصار هو الشعب نفسه.

فحينما تفرض أميركا والدول الغربية الحصار على الشعب العراقي، فهم يعلمون يقيناً أن الحصار لن يغير من واقع تسلط الحكومة العراقية شيئاً، ولن يؤدي ذلك إلى تغيير سياسي فيه، بل على العكس من ذلك سوف يزداد الموقف الشعبي تجاه النظام ضعفاً، لأن الناس سوف يكون همهم الوحيد الحصول على لقمة العيش والكفاف، أما النظام فإنه سيستفيد من هذه الحالة في سن قوانين تحكم قبضته، وتوسع من صلاحياته، لأن هذه الحكومة تجد في الحصار المفروض مادة دعائية في اختلاق عدو خارجي، وفي الإبقاء على حالة طوارئ غير معلنة، وبالتالي قمع كل اعتراض.

فهل يتضرر الحاكم العراقي من الحصار؟، وهل أن الأطفال الذين يموتون بسبب نقص الدواء والغذاء هم من أبناء الرئيس أو الوزراء أو الضباط الكبار؟ إن الغرب يعلم أن الأطفال الذين يموتون نتيجة للحصار إنما هم أطفال الناس الفقراء والمعدمين، أما أطفال أولئك فلا يولدون إلا وفي أفواههم ملعقة من ذهب، كما يقال.

وقد فرض الغرب الحصار على ليبيا عدة سنوات لمشكلة له مع النظام، ورأيناه يمارس ما هو أكثر من ذلك مع السودان، حتى يصل الأمر إلى حد قصف وتدمير مصانع

الدواء في بلد فقير، يعاني - أصلاً - من نقص كبير في هذا المورد، ويموت بعض مواطنيه بسبب النقص الحاد في الدواء وسوء التغذية.

فأين الإنسانية من كل هذا.. أو ليس ذلك دليلاً على غياب البعد الإنساني من فكر الحضارة الغربية ورؤيتها للحياة..؟ وعلى العكس من ذلك نجد الحضارة الإسلامية ورموزها.

### حتى الخائن له حقوقه:

ومن الشواهد في سيرة علي (عليه السلام) في هذا المجال هذه القصة المهمة:

رجل من أصحاب الإمام (عليه السلام) اسمه (عبيد الله بن الحر الجعفي) خان الإمام والتحق بجيش معاوية في جوف الليل.. ذلك حين كانت نيران حرب صفين مشتعلة وفي قوانين الحروب يعاقب مثل هذا الخائن بالإعدام.. واستطاع أن يقدم عبيد الله خدمات كبيرة لمعاوية.. أما زوجته فكانت في الكوفة وتناهى إلى سماعها خبر هلاك عبيد الله في المعركة.. فاعتدت عدة الوفاة، وبعد ذلك تزوجت برجل من أهل الكوفة، في الوقت الذي كان عبيد الله حيًّا في الشام.. وحين أخبر بزواج زوجته.. خرج من الشام ليلاً.. وقطع المسافات الشاسعة، ووصل إلى الكوفة، ودخلها ليلاً.. وتوجه فوراً إلى بيت زوجته، أما زوجته خرجت إليه وهي محجبة.. وبعد حوار قصير أخبرته بزواجها من رجل غيره..

رأى عبيد الله أن أبواب العودة إلى زوجته مغلقة في وجهه.. ورأى أن أفضل حل أن يتشرف بلقاء مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) ويخبره بقصته.. وأمير المؤمنين (عليه السلام) رجل العدالة والحق.. ولا يعدل عن الحق وإن كان المحق خائناً..

التقى عبيد الله بأمير المؤمنين (عليه السلام) منكساً رأسه خجولاً لكونه يعلم أنه خائن.. سلّم على الإمام (عليه السلام).. أجابه الإمام وتساءل مستنكراً: أعبيد الله أنت؟ أي أنت المنافق الذي خنت إمامك ودينك والتحقت بصفوف الكفر والنفاق وذلك في ظروف الحرب.. هل

أنت ذلك الرجل؟

عبيد الله يعلم أن علياً رجل الحق والعدل.. فانتهاز الفرصة وقال: هل إن خيانتني تمنعك من العدل يا أمير المؤمنين؟ أجابه الإمام: كيف..؟ وطلب منه أن يسرد قصته وطلب من الإمام أن يغيثه في أمره.. والإمام أمر بإحضار زوجته وزوجها الثاني وقال: على المرأة أن تنفصل من زوجها الثاني وتبدأ بالعدة من الآن.. وبعد انتهاء عدتها تعود إلى زوجها الأول إن لم تكن حاملاً.. ولو كانت حاملاً لا يعود إليها الزوج الأول حتى تضع ما في بطنها.. وولدها حلال طاهر وتابع لأبيه: الزوج الثاني.. وبعد ذلك تعود المرأة إلى زوجها الأول.

والجدير بالذكر أن الزوجة الغائب عنها زوجها لو راجعت المحكمة الإسلامية الشرعية وطلقها الحاكم الشرعي.. ثم عاد الزوج الأول.. لا يستطيع العودة لها.. ولا يفسخ العقد الثاني وهو صحيح.. أما زوجة عبيد الله فلم تراجع المحكمة الإسلامية.. بل بادرت نفسها إلى الاعتداد والزواج، لذلك انفسخ الزواج الثاني بعد حضور الزوج الأول طبيعياً ودون طلاق<sup>(١)</sup>.

إن العدل شرعة ثابتة لا تنتقض حتى في التعامل مع العدو، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة: الآية ٨].

### عزوف عن العقوبات:

وسيرة الإمام عليؑ غنية بالشواهد والقصص التي تؤكد احترامه لإنسانية الإنسان، وحفاظه على كرامته وقد أتت للإمامؑ امرأة فقالت: إن زوجي وقع على جاريتي بغير أمري (أي اعتدى عليها جنسياً).

فقال عليؑ للرجل: ما تقول؟ قال: ما وقعت عليها إلا بأمرها.

(١) الشيرازي: السيد محمد، الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين، ص ٦٩ - مؤسسة الفكر الإسلامي للثقافة والإعلام - الطبعة الأولى.

قال (عليه السلام) متوجهاً للمرأة: إن كنت صادقة رجمته وإن كنت كاذبة ضربناك حداً. وأقيمت الصلاة وقام علي (عليه السلام) ليصلي. ففكرت المرأة في نفسها فلم تر لها فرجاً في رجم زوجها ولا في ضربها الحد، فخرجت ولم تعد. ولم يسأل عنها علي (عليه السلام). في الوقت الذي كان الإمام (عليه السلام) يستطيع أن يأمر بإلقاء القبض عليها وإحضار زوجها ويحد أحدهما.. لكنه (عليه السلام) كان يتنفر من إجراء العقوبات، مع المحافظة على الحقوق والنظام.. ولم يكن يحمل في قرارة نفسه عقدة تعذيب الناس.. وكان يعفو قدر استطاعته<sup>(١)</sup>.

### إحسان إلى المعتدي:

أما أروع صور الحالة الإنسانية في حياة علي فقد تجلت في الساعات الأخيرة من حياته الشريفة، مع الرجل الذي ضربه بالسيف وهو في محراب صلاته. فقد هرب عبد الرحمن بن ملجم من المسجد يريد الفرار، غير أن الصيحات التي تعالت في سماء الكوفة أخرجت الكثيرين من بيوتهم بحثاً عن قاتل أمير المؤمنين، فانسدت طرقات الكوفة وسككها في وجه ابن ملجم، حتى قبض عليه بعض أصحاب علي (عليه السلام) فجاءوا به إليه، وهو بعد متأثراً بضربة السيف المسموم والدماء تنزف من مفرق رأسه، وأصحابه يتصايحون، ها هو عدو الله قد أتيناك به يا أمير المؤمنين فنظر إليه الإمام نظرة مشفق عليه، لا نظرة انتقام وتشفي وقال له: «يا ابن ملجم أبئس الإمام كنت لك» وإذا ابن ملجم يبكي ويقول: لا.. ولكن هل أنت تنقذ من في النار».

واستمر تعامله الإنساني الرائع معه حتى آخر لحظة من حياته، فحينما وصف الأطباء اللبن دواءً وغذاء للإمام (عليه السلام) فبادر الناس حتى الفقراء والمعدمون في الكوفة بجلب ما يتمكنون من اللبن إلى بيت الإمام، حمل الإمام الحسن (عليه السلام) واحداً من أقداح

(١) الشيرازي: السيد محمد، الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين، ص ٢٣ - مؤسسة الفكر الإسلامي للثقافة والإعلام - الطبعة الأولى.

اللبن إلى الإمام علي، فلما شرب منه قليلاً ناول ولده بقية القدر وقال: خذوه لأسيركم أطعموه مما تأكلون واسقوه مما تشربون الله الله في أسيركم).

وليس غريباً - نتيجة لذلك - ما يعتقد بعض من أن الإمام لو عاش لعفا عن ابن ملجم.

وهذا ما يتناسب مع عفو الإمام دائماً..

### أو عفو عن ذنب:

إن هذا المستوى الإنساني الرفيع الذي احتوته شخصية علي، هو الذي ارتفع بعلي إلى درجات من السمو والخلود قل أن تجد لها نظيراً إلا شخصية أستاذه ومعلمه رسول الله ﷺ.

فقد روي أنه ﷺ كان جالساً في أصحابه، فمرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال ﷺ: «إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هبائها - أي هلاكها - فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه، فليلمس أهله، فإنها هي امرأة كامراته».

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه. فوثب القوم ليقتلوه.

فقال ﷺ: «رويداً - أي على مهلكم - إنما هو سبب بسب أو عفو عن ذنب»<sup>(١)</sup>.

وفي ذكرى ميلاد علي يمكننا أن نتعلم الكثير وأن نتقمص الكثير من ملامح العظمة والخلود في شخصيته، غير أن استيعاب البعد الإنساني في حياته يبقى هو البعد الأكثر إلحاحاً وأهمية، في وقت يجرز الإنسان فيه تقدماً مذهلاً في الكثير من نواحي حياته، وقد يغفل أن سعادته بتقدمه لن تكتمل إن خلت من حضور هذا البعد.

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم ٤٢٠.



# النهي عن المنكر شفقة وإصلاح

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٠ رجب ١٤٢٠ هـ





يحترم الإسلام حرية الإنسان ويوليها اهتماماً كبيراً في تشريعاته وتعاليمه. فالحرية في رؤية الإسلام أمر مقدس لا يجوز المساس به ولا يجوز للإنسان نفسه أن يفرط في حريته، وأن يتحول إلى عبد للآخرين، « لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً »<sup>(١)</sup>.

ولا يجوز للآخرين أن يتعدوا على حرية الناس « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ».

وليس هنالك تجزئ لحرية الإنسان، بل هي شاملة لكل جوانب حياته، فهي مكفولة في انتماؤه الديني والمعتقد والتوجه، وهي مكفولة في سعيه الاقتصادي، بحيث استفاد الفقهاء من مجمل أحكام المعاملات، قاعدة عامة، اسمها قاعدة السلطنة « الناس مسلطون على أموالهم »، هكذا في كل أمر يناط تقريره بإرادة الإنسان نفسه.

ورغم اعتراف الإسلام بتلك الحرية بصورة لم تصل إليها الأديان ولا الحضارات الأخرى، إلا أن هنالك بعض الواجبات الشرعية التي قد يخالها الإنسان للوهلة الأولى متناقضة مع حرية الإنسان.

فقد يتساءل البعض أين تقع فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ضمان

---

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - كتاب ٣١.

الإسلام لحرية الإنسان!؟

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ظاهرة تدخل في حرية الآخرين، لأنك تأمر بشيء تركه الآخرون بحريتهم وإرادتهم، وتنهى عن شيء فعلوه عن إرادة وتصميم وإلا لو كانوا مكرهين لما كان للأمر والنهي داع.

وحتى أضعف مراتب الأمر والنهي، تتضمن في حقيقتها اعتراض على ممارسة الآخر لحرية، فأول مراتب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الإنكار بالقلب، وأما المرتبة الثانية وهي التغيير باللسان، والثالثة هي التغيير باليد وذلك لقول رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيوان»<sup>(١)</sup>.

فهذه المراتب الثلاث تدخل في حرية الآخرين وإرادتهم ظاهراً؟  
فكيف نفهم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دائرة فهمنا لحرية الإنسان!؟

وضرورة هذا الفهم لإزالة حالة الغموض والالتباس التي نشأت عند البعض ممن تخلوا عن هذه الفريضة بسبب سوء فهمهم لها، وظنهم -ابتداء- أنها تتعارض مع حرية الآخرين.

فحينها تسأل بعض الناس: لماذا لا تأمر بالمعروف، أو تنهى عن المنكر؟ فيكون الجواب: ماذا نفعل فإلناس يمارسون حريتهم، وحتى من يرتكبون المعاصي والمنكرات، عندما تأمرهم أو تنهاهم عن شيء يكون جوابهم: وما شأنك أنت؟ فأنا حر أعمل ما أشاء! وبعضهم يقول لك بلسان جريء: «إنك لن تحترق بناري، فدعني وشأني».

وهذا من كلا الطرفين اشتباه وخطأ كبير.. لماذا!؟

لأن حرية الإنسان لا معنى لها خارج دائرة الأحكام والفرائض الشرعية الأخرى،

(١) القشيري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم - حديث رقم ٧٨.

فكما يأمر الإسلام باحترام حرية الإنسان، فإنه أيضاً يأمر المكلفين بتطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي واحدة من الفرائض التي لها أهمية ربما تزيد على الفرائض الأخرى، كالصلاة والصيام والحج والزكاة..

وفي هذا يقول الإمام علي عليه السلام في كلمة مهمة ومعبرة: «وما أعمال البر كلها، والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفتة في بحر لحي»<sup>(١)</sup>.  
والنفتة هي ما يصحب التنفس من ريق الإنسان، وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «الأمر بالمعروف أفضل أعمال الخلق»<sup>(٢)</sup>، وفي حديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصالحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم وتعمر الأرض ويتتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر»<sup>(٣)</sup>.

أما هل يتناقض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع حرية الإنسان أم لا؟  
الجواب: أنه لا تناقض ولا تعارض، وذلك لأن الإسلام يضع تلك الفريضة ضمن حدود وأبعاد لا تناقض حرية الإنسان، بل على العكس من ذلك فهي تكفلها، وتضمن سعادة الإنسان معها.. وهذه الحدود والأبعاد التي يتوخاها الإسلام من هذه الفريضة هي:

### أولاً: الحرص على مصلحة الإنسان وفائدته:

فالأمر والنهي إنما يهدفان في الواقع تجنيب الإنسان العثرات، والأخطار المهلكة، التي قد يقع فيها، إن لم يحصل له تنبيه عليها، فإذا أمرت إنساناً يسير في الشارع أن ينتبه إلى حفرة في طريقه حتى لا يقع فيها، فذلك أمر من أجل مصلحته هو، حتى لا يقع

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - قصار الحكم ٣٧٤.

(٢) الآمدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم - رقم ١١٩٨.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ج ١٦ ص ١١٩ حديث رقم ٢١١٣٢.

فيها ويتأذى، فليس من المعقول حينئذٍ أن يرد عليك بأنه لا دخل لك في ذلك، وهكذا إذا نصحت إنساناً بتجنب أكل طعام مسموم، فليس صحيحاً أن يقول لك بأنني حرٌّ وأنه ليس لك أن تتدخل في شؤوني، لأنك إنما ترجو بذلك مصلحته، ولكن من حقه أن يطمئن لصحة أمرك أو نهيك، لا أن يرفض الأمر والنهي ابتداءً.

لأن الإسلام يريد لأفراده أن يعيشوا حالة متبادلة من الحرص على مصلحة الآخر، وأن تشيع في قلوب أبنائه محبتهم لبعضهم البعض، فيأمر أحدهم الآخر بما فيه مصلحته، أو ينهاه عما فيه مضرته «أحب لأخيك ما تحب لنفسك واکره له ما تكره لها» وذلك هو طريق الدعوة إلى الخير الذي يأمر الله أمة نبيه محمد ﷺ أن يمثلوه ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٤].

### ثانياً: الانطلاق من المحبة الصادقة للإنسان:

كيف يجب أن تكون نظرنا إلى أصحاب الذنوب والمعاصي الذين يجب أن يؤمروا بالمعروف، أو ينهوا عن المنكر؟!

فالبعض من الناس ينظرون إلى المعاصي وإلى أصحاب المعاصي، بلا اهتمام ولا مبالاة، ويأخذون موقف المتفرج على ما يجري!!

وفي ذلك:

أولاً: أنه نوع من الأنانية لعدم الاهتمام بمصلحة الآخرين.

ثانياً: هو موقف لا يرضى عنه الله جل وعلا، فهو في حد ذاته معصية، فالإقرار على المعصية والسكوت عنها هو نفسه معصية لله، ثم إن محصلة ذلك كله الإضرار بالمصالح العامة للمجتمع، لأن بقاء المعصية من دون تغيير، يعني تعريض أفراد المجتمع للإصابة.

والبعض الآخر قد يتخذ موقفاً مختلفاً من أصحاب المعاصي، وهو موقف الانتقام

والتشفي منهم، وهذا الموقف خطأ كبير، ذلك أن الإسلام يريد منا أن ننظر إلى العصاة نظرة عطف وإشفاق، فهذا الإنسان العاصي ليس إلا شخصاً مريضاً، في روحه ونفسه، لا في جسده وبدنه، وهل يجوز لأحد إذا رأى مريضاً أن يحقد عليه ويتشفى منه؟ وهل على الدكتور المعالج أن ينتقم من المريض أم عليه أن يرفق بحاله ويشفق عليه ويفكر في علاجه؟!!

وقد حدث في عصر النبي ﷺ أنه « أتى بشارب للخمر فأمر النبي ﷺ أصحابه فأقاموا عليه الحد. ثم قالوا: ألا تستحي من رسول الله ﷺ تصنع هذا؟ ثم أرسله. فلما أدبر وقع القوم يدعون عليه ويسبونونه يقول القائل: اللهم اخزه! اللهم عنه! فقال ﷺ: لا تقولوا هكذا لا تكونوا للشيطان على أخيكم، ولكن قولوا: اللهم اغفر له. اللهم اهده»<sup>(١)</sup>.

ولما كان القصد من النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، علاج مرض المذنب والعاصي، فلا بد أن يبدأ العلاج بأقل الطرق إضراراً ومساً بشخصه، والعداء والشتم والحقد واللعن لن يعالج المشكلة، بل قد يزيده إصراراً على المعصية... أما الدعاء له بالهداية والصلاح، واتباع الحكمة والموعظة الحسنة في الحديث معه سوف يكون له أثر كبير في استمالة قلبه، وتغيير تصرفاته، ولهذا ينبغي للمصلحين والناصحين أن يفكروا في الأسلوب والكيفية المناسبة لذلك، كأن يبدأ الحديث معه بأسلوب جذاب، ومن نقطة بعيدة عن موضوع المعصية والذنب نفسه، حيث يستطيع المصلح أن يكسب وده أولاً، ثم يوجه إليه بعد ذلك ملاحظة، أو تنبيهاً يتعلق بالخطأ والذنب الذي ارتكبه، وهذه هي طريقة المصلحين.

### ثالثاً: مراعاة السمعة العامة للإنسان:

بحيث يحافظ المصلح على عدم فضح المذنب وإفشاء ذنبه، فالأمر والنهي واجب

(١) الكاندهلوي: محمد يوسف، حياة الصحابة ج ٣ ص ٥١٢ مطبعة دار الفكر بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

وفريضة، غير أن اهتك محرم، ويندرج فاعله ضمن أولئك الذين عدّهم الله تعالى من ﴿الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة النور: الآية ١٩].

وما لم يقدم الهاتك بيّنة شرعية على صحة ادعائه واتهامه لصاحب الذنب بحدوثه، فإنه يجوز للمتهم أن يرفع دعوى شرعية عند الحاكم الشرعي لإقامة حد القذف عليه، ولا يجوز حتى للحاكم الشرعي نفسه أن يقذف شخصاً بـذنب، ما لم تكن بيّنة.

وقد حدث في عهد الخليفة عمر بن الخطاب أنه «كان يعسّ ذات ليلة بالمدينة فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس: أرايتم لو أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين؟ قالوا: إنما أنت إمام. فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: ليس ذلك لك. إذن يقام عليك الحد، إن الله لم يأمن هذا الأمر أقل من أربعة شهود. ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الأولى، وقال علي مثل مقالته الأولى فأخذ عمر بقوله»<sup>(١)</sup>.

هذا إذا كان المذنب والعاصي يمارس معصيته بعيداً عن أعين الناس، أو دون إرادة التجاهر بالفسق والمعصية.

أما من يمارس المعصية عياناً أمام الناس فقد فضح نفسه بنفسه وحينئذٍ فلا حرمة له، لأن أحداً لم يهتك ستره، إنما هو الذي هتك ستر نفسه.

وفرقت كبير بين من يقع في الذنب بتأثير لحظة من لحظات الضعف، وبين من يصر على المعصية حتى أمام الملاء، فهذا الثاني يجوز هتكه، لأنه لم يستتر نفسه.

أما الأول فينبغي أن تساعد على تجاوز لحظة الضعف، وكتمان ذنبه من أهم الخطوات في هذا المجال، إذ بقاء سمعته حسنة أمام الناس سوف يكون عاملاً ذا تأثير في إقلاعه عن الذنب.

(١) الأمين: عبد الحسين، الغدير ج ٦ ص ٥٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

فكأننا منحناه فرصة الحياة بكرامة، بعد أن كادت سمعته تشوهه قال ﷺ: « من ستر على مؤمن فاحشة فكأنها أحيا مؤودة »<sup>(١)</sup>.  
وقد قال الإمام الحسن ﷺ في حق الصديق: « إن رأى منك ثلثة سدّها أو رأى منك حسنة عدّها ».

ومن جهة أخرى فلن تجد أحداً خالياً من العيوب أو الذنوب، فمن يطلع على عيوب أحد من إخوانه، لا يجوز له أن يفرح، لأنه لا يعلم ما سيصدر منه من الذنوب في المستقبل، يقول الإمام علي ﷺ: « لا تبتهجن بخطأ غيرك فإنك لا تملك الإصابة أبداً »<sup>(٢)</sup> وما دام الإنسان لا يملك العصمة من المعاصي، فإن عليه أن لا يفضح غيره، وإلا فإن الله سيفضحه، وهل يريد الإنسان لنفسه الفضيحة؟

يقول النبي ﷺ: « لا تتبعوا عورات المؤمنين، فإنه من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته »<sup>(٣)</sup>.  
وقد حدث لبعض الناس أنه كان كثير الكشف لعيوب الناس، ولم تنفع فيه النصائح بالكف عن ذلك، حتى أتى اليوم الذي فضحه الله على رؤوس الأشهاد، في عيوبه وذنوبه التي كان يبارسها داخل بيته، وذلك على لسان زوجته التي اختلفت معه فتحدثت للناس عن كل عيوبه وسيئاته.

وسأل رجل رسول الله ﷺ فقال: أحب أن يستر الله عليّ عيوبي؟

قال ﷺ: « استر عيوب إخوانك يستر الله عليك عيوبك »<sup>(٤)</sup>.

بل وحتى في الآخرة، يستر الله عيوب المذنبين بفضل سترهم لعيوب إخوانهم في

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال ج ٢ ص ٢٤٩ - حديث رقم ٦٣٨٨.

(٢) الأمدى التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم - فصل ٨٥ حديث رقم ١٤٤.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢١٤.

(٤) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ٧ ص ١٤٥.

الدنيا قال ﷺ: «من ستر أخاه في فاحشة رآها عليه ستره الله في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.  
 إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مجرد شحنات مستثارة يفرغها الإنسان على صاحب الذنب، وليس وسيلة من وسائل التشهير والتعير، بل هو رغبة صادقة في أعماق المصلح، من أجل تغيير حال صاحبها إلى الأحسن.  
 فلتكن وسيلتها إذاً الكلمة الطيبة، والأسلوب المحبب، والدعاء الصالح، طالما كانت هذه هي الوسائل المؤثرة في الناس والمطلوبة شرعاً.

### يدعو للعصاة:

ومن جميل ما ينقل في ذلك قصة للعالم الورع معروف الكرخي، وهو من أصحاب وتلامذة الإمام الرضا ﷺ يذكرها ابن الجوزي في كتابه (صفة الصفوة): «أن معروفاً كان جالساً على شاطئ دجلة، إذ مر به شباب في زورق، يضربون الملاهي ويشربون، فقال له إبراهيم الأطرش، وكان معه: ألا ترى إلى هؤلاء يعصون الله تعالى. ادع عليهم. فرفع يده إلى السماء وقال: إلهي وسيدي أسألك أن تفرحهم في الجنة كما فرحتهم في الدنيا. فاستغرب أصحاب معروف من هذه الدعوة، فقال معروف موضحاً: إذا فرحهم الله في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم بشيء»<sup>(٢)</sup>.

هكذا ينبغي أن تكون نظرة المؤمن تجاه المذنبين. وهكذا كان رسول الله ﷺ حتى مع المشركين «فكلما ازداد المشركون عتواً وعناداً، لم يزد ذلك إلا صبراً وتحملاً، وتضرع إلى ربه بالدعاء لهم بأن يهديهم فهم لا يعلمون! ولم يذكر لنا التاريخ أن النبي ﷺ دعا مرة واحدة على المشركين.

قال الصحابي عبد الله بن مسعود: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء

(١) المصدر السابق ص ١٤٥.

(٢) الأنصاري الشعراني: عبد الوهاب بن أحمد، مختصر كتاب صفوة الصفوة ص ٢٣٢ - مطبعة النهضة الحديثة - مكة ١٩٦٧ م.



ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

وقال القاضي عياض في الشفاء: أنه لما كسرت ربايعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم؟ فقال: إني لم أبعث لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمة. اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(١)</sup>.

أما الإمام الحسين عليه السلام فقد نقل عنه أنه رئي باكياً في كربلاء، فسأله أحد أصحابه، يا بن رسول الله أتبكي مما نزل بك، فقال عليه السلام: لا، إنما أبكي على هؤلاء القوم فإنهم يقتلونني فيدخلون النار بسببي.

أما الذين تضيق آفاقهم فإنهم يشعرون بالعداوة حتى لأقرب المقربين منهم، فلا يحصون عليهم عشرة إلا شنعوا عليهم، ولا يكشفون لهم ذنباً إلا شهروهم بين الملائكة.. إن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لو طبقت بها لها من حدود وقيود، فلن تتعارض مع حرية الإنسان، وتسلمه على نفسه ومتعلقاته، ليس هذا فحسب، بل وإنما سوف ترفع من مستوى وعي الإنسان بحريته، وسوف تكون سبباً في إصلاح ثغرات الواقع الاجتماعي ورفعته، إلى مستوى فاضل يحقق المصلحة العامة، ويكفل سعادة الجميع.

(١) القزويني: حسن مرتضى، الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق ص ١٨٦ - ١٨٧، دار البيان العربي - الطبعة الأولى ١٩٩١ م.



# رسالات الأنبياء إيمان وتطبيق

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٧ رجب ١٤٢٠ هـ



يحتاج الإنسان إلى هدي إلهي يوجهه في مختلف شؤون حياته، وقد تلقى الإنسان ذلك الهدي، على يد أشخاص اختارهم الله لكي يبلغوا رسالته للناس، هم الأنبياء.

وقد يظن البعض من الناس أن الإنسان مادام يملك عقلاً فهو ليس بحاجة إلى الأنبياء، لأن العقل يعطي الإنسان القدرة على التمييز بين الخير والشر، وإدراك النافع من الضار، والحسن من القبيح.

وقد يدور هذا التساؤل في ذهن الإنسان المعاصر اليوم، كما كان مطروحاً في الماضي، غير أن طرحه اليوم، يتم بشكل أعمق وأقوى مما كان يطرح به في السابق، ذلك أن الإنسان استطاع أن يحقق بعقله إنجازات كبيرة، زادت ثقته بعقله، إلى الحد الذي يظن معه أنه وصل إلى ذروة الاعتماد على الذات، وأنه ليس بحاجة إلى جهة من خارجه.

والجواب عن هذا التساؤل والتشكيك، هو نفسه الجواب الذي طرحه الإلهيون والموحدون على الماديين والمنكرين للنبوة، فالسؤال لم يتغير بل ازداد إلحاحاً، والجواب أيضاً لم يتغير بل ازداد وضوحاً.

فالبشرية تحتاج إلى الاتصال بالسماء والهدي الإلهي في مجالات ثلاثة:

### أولاً: الحاجة المعرفية:

فالعقل رغم ما يملكه من قدرات وطاقات، إلا أنه غير قادر على سبر كل الأمور، واختراق كل الحواجز والموانع، التي تقف في طريق حصوله على الكثير من الأجوبة المعرفية، التي يبحث عنها، والأمر المهم هو أن القضايا التي يعجز العقل عن تقديم الجواب الشافي لها، هي مسائل مهمة، وكبيرة وخطيرة للغاية، تتعلق بمبدأ الإنسان ونشوءه، والغاية من خلقه وتكوينه، إلى جانب هذا النظام الكوني الذي يحيط به، والمستقبل الذي ينتظره فيما بعد..

فما هي تلك القوة التي خلقتنا وكيف؟ وما هو طبيعية ارتباطنا بها وارتباطها بنا؟ وهذه أسئلة لا يستطيع العقل أن يجيب عنها..

نعم، يمكن له أن يقرر أن له خالقاً، وأنه لم يخلق من العدم، وأنه لم يخلق نفسه بنفسه ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور: الآية ٣٥] غير أنه لا يستطيع أن يجيب عما هو أكثر من هذا، ليس لخلل في ذات العقل، بل لأن الله سبحانه وتعالى لم يعطه أكثر من هذه القدرة.

والوحي الإلهي هو الكفيل بالإجابة عن هذه التساؤلات، ومن دون ذلك سوف يعيش الإنسان غير مدرك للعلة في وجوده، والغاية من بقاءه، وسوف يؤثر ذلك حتماً على تحقيق سعادته، لأنه سوف يبقى مضطرباً قلقاً مشككاً، عله يثير هذه التساؤلات وهو غير قادر على الإجابة. وحتى لو توصل إلى حل لكل المشاكل العلمية والمعرفية الأخرى، وبقيت هذه المسألة الجوهرية بلا معرفة تروي غليله فيها، فسيكون ذلك القلق عاملاً من عوامل شقائه وتعاسته.

وأتى لهذا العقل أن يصل بنفسه إلى تلك الحقائق؟ فهو لم يدرك بعد حتى كل المعلومات المادية المحسوسة التي يحتاج إليها، ويعترف العلماء الذين كانوا رواداً في اكتشافاتهم العلمية بذلك، فهذا أينشتاين يقول: «إن نسبة معلوماتي إلى مجهولاتي كنسبة

هذا السلم الصغير في مكتبي إلى مكتبي الضخمة الكبيرة»، أي إن ما يجهل أكثر بكثير مما يعلم.

ولا أدلّ على هذه الحقيقة، من تدرج الإنسان في زيادة علومه، وتطور معلوماته وأفكاره، فالإنسان في كل يوم يكتشف علماً أو قانوناً علمياً جديداً، مما يعني أن هنالك أشياء أخرى سوف يكتشفها في المستقبل، وهو لا يعرفها الآن، والواقع أن الإنسان يتوصل غالباً في المراحل المتقدمة من العلوم إلى معلومات أهم من المعلومات القديمة. وإذا كان لم يدرك كل الحقائق المادية، فكيف يحيط بالحقائق الغيبية، حول ابتداء مصيره وانتهاء مسيره؟ وهي المعرفة الضرورية التي يحتاجها قبل أي معرفة أخرى، كيف يدرك من الذي خلقه، ولماذا خلقه، وما هو مصيره..؟

- فإما أن يبقى الإنسان ضالاً عن هذه المعرفة الضرورية، والملحة عليه دائماً.
- وإما أن يتدخل الله اللطيف الخبير ليدل العباد عليه برسله، لأنه جلّ وعلا منزّه عن أن يحرم عباده معرفة ضرورية لهم، ومنزه أيضاً عن أن يجعل لعباده الحجة عليه، فيعتذروا له يوم القيامة أنهم لم يطيعوه لأنهم لم يكونوا يعرفونه، ولا يعرفون المسائل الضرورية لهدايتهم إلى عبادته وطاعته، فأرسل الله الرسل حتى تكون له الحجة البالغة على خلقه ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٤٩]، وقال عز من قائل: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: الآية ١٦٥].

إن النبوة تمدّ العقل بالحقائق الثابتة لهذا العالم الغيبي، فتهدب شعور الإنسان به وتعمقه، وتوقفه على الحقائق، وترسم له طريق الاتصال به.

## ثانياً: الحاجة الاجتماعية:

يعيش الناس مجتمعين مع بعضهم البعض، فلا بد لهم من نظام لإدارة شؤونهم،

ولتقنين العلاقات فيما بينهم..

ووضع نظام اجتماعي شامل، يستلزم معرفة عميقة بالإنسان، في طباعه وغرائزه وميوله، كما يستلزم معرفة دقيقة بالكون الذي يحيط بالإنسان، والحياة التي تحتضنه. وأنى تتوفر هذه المعرفة والإحاطة إلا عند خالق الإنسان والكون؟ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [سورة ق: الآية ١٦].

من ناحية أخرى فإن تشريع نظام اجتماعي شامل، يحتاج إلى موضوعية وتجرد، بحيث لا يكون المشرع منحازاً لجهة، أو خاضعاً لمصلحة، أو متأثراً برغبة أو هوى. وحينما يعتمد الإنسان على نفسه في وضع نظام كهذا، فإنه سيتخبط من تجربة فاشلة إلى أخرى، والتاريخ المعاصر يرينا كيف عانى نصف المجتمع البشري تقريباً، من التجربة الماركسية الشيوعية حتى انهارت، وماذا يعاني البشر الآن من الهيمنة الرأسمالية الغربية، التي يدعي بعض منظريها أنها نهاية التاريخ حسب تعبير (فرانسيس فوكوياما). لذا يعتقد الإلهيون بحاجة البشرية إلى هدي الله، الذي يمنحها نظاماً اجتماعياً يصلح شؤونها، ويوجه مسيرتها، إلى السعادة والتكامل.

### ثالثاً: الحاجة الأخلاقية:

نظرة الإنسان للقانون الذي يحكمه، تختلف فيما إذا كان ذلك القانون من عند البشر أنفسهم، أو من لدن خالق البشر.. ففي حالة كونه قانوناً بشرياً، فإن الإنسان لن يشعر بوازع ذاتي عميق في الالتزام به، والامتناع عن مخالفته، ولهذا فقد يتحايل عليه ويمزقه، وهو يدعي أنه يطبقه. أما حينما يكون القانون سماوياً، وأن الذي أمر به هو خالق الناس، فإن هذا القانون سيملك - حينئذٍ - قوة داخلية في نفس كل فرد، تدفعه إلى تطبيقه، لاعتقاده بأن الذي



خلقه يراقبه في كل أعماله وتصرفاته، وأنه سوف يحاسبه على مخالفته.  
وربما يعترض البعض على أن هذه الأخلاق سوف تكون حينئذٍ سلوكاً مفروضاً  
على الإنسان، بفعل قوة عليا، هي الله جل وعلا، بينما ينبغي أن يكون الفعل الأخلاقي  
مجرداً عن أي ضغط وإكراه.

غير أن هذا الاعتراض غير دقيق، لأن الفعل سوف ينطلق من إرادة الإنسان  
الحرّة، أما أنه تعالى يثيب على الخير، ويعاقب على الشر، فهذا هو مقتضى العدل، وكون  
الإنسان مختاراً.

وما تهدف إليه القوانين والتشريعات السماوية، هو أن يجعل الإنسان من نفسه  
مستودعاً للأخلاق الفطرية النقية، التي تنسجم مع الإيمان والعقيدة، وأن تكون العقيدة  
هي الدافع والمحرك للأعمال الخيرة، وأن يكون السلوك الحسن انعكاساً لحسن الاعتقاد،  
ونقاء الإيمان.

### العلمانيون وتطبيق الشريعة :

أن يتساءل الإنسان عن مدى الحاجة إلى الأنبياء، فذلك تساؤل طبيعي، يقوده إلى  
الإيمان بالأنبياء، إن استخدم عقله وتفكيره بشكل موضوعي ومنطقي.

أما أن يتساءل المسلم، والمؤمن بالرسول، والمقر برسالته، عن الحاجة إلى تطبيق  
الشريعة التي جاء بها الرسول من عند ربه، فذلك تساؤل غريب عجيب!!

لأن معنى الإقرار والإيمان بالرسول، حينما يقول المسلم: «أشهد أن محمداً رسول  
الله» هو الخضوع لشريعته وتطبيق رسالته ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ  
فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: الآية ٧]. فما دمت تؤمن بأنه رسول، وأن ما جاء به هو رسالة من الله  
إليك، فكيف يجوز لك أن تتساءل أو تشكك أو تتردد في تطبيقها؟.

إن من المؤسف حقاً أن نسمع بين فترة وأخرى أن بعض المسلمين في البلاد

الإسلامية يتحفظون على تطبيق الشريعة.

كما أن من المؤسف أن يصبح مجرد الدعوة إلى تطبيق الشريعة في بعض البلدان الإسلامية، جريمة تعاقب عليها الدولة، وأن تمنع بعض البلدان الإسلامية بعض المظاهر الإسلامية، كالحجاب وإقامة الشعائر الإسلامية، وأن تعد بعض هذه الأمور أو غيرها جريمة يُدان بسببها الإنسان، كما هو الحال في تركيا - مثلاً - وهي دولة إسلامية، بل كانت قبل زمن قصير عاصمة الخلافة الإسلامية، وأكثرية شعبها مسلمون، لكن الدعوة إلى تطبيق الإسلام فيها تعتبر جرماً، ولبس الحجاب في المؤسسات الرسمية جريمة، يعاقب عليها، كما حصل للنائبة (مروة قواقجي)!

إن لرفض بعض الناس فكرة تطبيق الشريعة أسباباً من أهمها:

**السبب الأول:** عدم وضوح الشريعة ونظامها بالشكل الكافي، وما هو النظام الإسلامي الذي نريد أن نطبقه؟ ما هي معالمه ومركزاته؟ وما هي حدوده وقيوده؟ أكثر المسلمين اليوم - للأسف - لا يعرفون تفاصيل النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ولا يستوعبون إلا بعض الأحكام والتشريعات العبادية فيه، بينما لا يشكل هذا الجانب سوى جزء من نظام وقانون متكامل، يفني بحاجات الإنسان كاملة، وليس الجانب العبادي وحده، وفي كثير من الأحيان ترتبط فكرة تطبيق الشريعة في أذهان الناس، بمجرد إقامة الحدود والعقوبات على المحرمات، وذلك أمر خاطئ فالحدود والعقوبات جزء من نظام متكامل.

ولو أمكننا أن نعرض ونبين للعالم النظام الإسلامي بأكمله بأسلوب مناسب، لما أثيرت هذه التساؤلات ولأخذت الشريعة موقعها في المجتمعات الإسلامية والبشرية.

**السبب الثاني:** التطبيقات المشوهة للإسلام في عهود تاريخية سابقة، حيث استغل الإسلام كغطاء لممارسات منافية لحقوق الإنسان، وللعدالة الاجتماعية، بل وبعض التطبيقات المعاصرة التي مورست باسم الإسلام ألحقت بصورته أذىً وتشويهاً كبيراً،

كما يحصل في أفغانستان.

ورغم أن هناك نماذج مشرقة وطيبة لتطبيق الإسلام في الماضي والحاضر، غير أن الأنظار تتجه للاحتمال الأسوأ، والنموذج الأبرز والأغلب. لذا يخشى الكثيرون أن يكون تطبيق الإسلام، نوعاً من الرجوع إلى الوراء، واستعادة التجارب القاسية في التاريخ، أو محاكاة الحالات السيئة في الوقت الحاضر.

**السبب الثالث: الانهزام أمام الفكر المادي والغربي:**

فذلك الفكر متسلح بالعلم والتكنولوجيا، والتطور المدني، أما المسلمون فيعيشون حالة متخلفة، وعندما يفكر بعض الناس في واقع التخلف الذي يعيشه المسلمون، يتصورواهماً، أن الحل هو في التخلي عن الدين والشريعة!!

وللإعلام الأجنبي، والثقافة الغربية، دور في نشر هذا التصور وتكريسه في الأذهان، خاصة وأن أقلاماً من أوساط المسلمين تبنت الترويج والتبشير بالفكر الغربي. فما هو الحل إذن؟

**أولاً:** لا بد من فتح باب الاجتهاد، من أجل اكتشاف وكشف أنظمة الإسلام وبرامجه، وتجاوز هذا الركام من التصورات المشوهة الخاطئة، وتوضيح مفاهيم الإسلام، وتبيين الأنظمة والمناهج الإسلامية، في مختلف مجالات الحياة.

**ثانياً:** ينبغي أن نقوم تجاربنا التاريخية والحالية بكل جرأة وشجاعة وتجرد، وأن نوضح للعالم وللأجيال، الجوانب المضيئة منها، التي تمثل الإسلام، ونعترف بالجوانب المظلمة فيها التي هي مخالفة للإسلام ولا يرضاها، وأن لا نتبنى كامل التجارب السابقة وننسبها للإسلام.

**ثالثاً:** أن نسلح بمعنوياتنا الرفيعة، وأن لا نهزم أمام أي تشويه، ونتخلى عن مبادئنا مع أبسط مواجهة وتحذّر..

إن علينا أن نستعيد قوتنا المعنوية الكبيرة، وأن ندرك أن سبب تخلفنا ليس هو

تطبيق الإسلام، وإنما على العكس من ذلك.. إن سبب تخلفنا هو ترك العمل بالإسلام!!  
وإلا فديننا هو دين الحق وهو سبيل الخلاص للبشرية، لإنقاذها من الويلات  
والمآسي، وكما قال الشاعر:

يقولون في الإسلام ظلماً بأنه يصد بنيه عن طريق التقدم  
فإن كان ذا حقاً فكيف تقدمت أوائله في عصرها المتقدم  
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من جهل مسلم  
وبعد.. فإننا في مناسبة ذكرى المبعث النبوي، لابد أن يفكر كل واحد منا بما  
يتوجب عليه أن يقوم به، من الالتزام برسالة النبي ﷺ، وشريعته المقدسة، التي جاء بها،  
وإلا فإننا حينئذ نكون ممن يدعي الإسلام وهو لا يطبقه، فيشملنا - لا سمح الله - توبيخ  
الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا  
مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾!! [سورة الصف: الآيتان ٢ - ٣].

# البعد الاجتماعي في حياة الإمام الحسين عليه السلام

كلمة الجمعة بتاريخ ٤ شعبان ١٤٢٠ هـ



إنما نحتفل بذكرى الأئمة الأطهار عليهم السلام ونحتفي بالمناسبات الإسلامية، لكي نتواصل مع تاريخنا العريق، ونستلهم منه الدروس والعبر بما يفيدنا لحاضرنا وبناء مستقبلنا، وحينما تمر علينا ذكرى ولادة أو شهادة إمام من الأئمة فإننا نهتم بها، لنستضيء بسيرة ذلك الإمام ونستهدي بتوجيهاته وإرشاداته.

ولأننا اليوم في رحاب ذكرى ميلاد سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام فإننا سنحاول اقتباس جذوة من حياته الطيبة.

وإذا كانت الروايات التاريخية قد اختلفت في تحديد تاريخ ولادته هل كانت في السنة الثالثة أو الرابعة للهجرة، وهل كانت في شهر شعبان أو أواخر شهر ربيع الأول، وهل هي في اليوم الثالث أو الخامس من شهر شعبان، فإن هذا الاختلاف نواجهه في الكثير من وقائع وحوادث التاريخ، وتراجم رجاله، وليس هناك مشكلة في أن نعتمد على أي رواية نرى رجحانها للاحتفال بأي مناسبة مهمّة، مادامت الغاية التقرب إلى الله بتعظيم شعائره، والاستفادة من هدي المناسبة وعطائها.

البعد الاجتماعي في حياة الإمام:

وستتناول في حديثنا - بهذه المناسبة - جانباً من جوانب حياة الإمام الثرية المعطاء وهو البعد الاجتماعي في سيرته العطرة.

وبإطلالة عابرة يتلخص لنا هذا البعد في ثلاث نقاط:

١. الحضور الاجتماعي.
٢. النموذج الأخلاقي.
٣. الاهتمام بمناطق الضعف في المجتمع.

### الحضور الاجتماعي:

أن يحمل الإنسان أهدافاً كبيرة، أو يمتلك مستوى علمياً متقدماً، فذلك لا يؤثر شيئاً في حركة الواقع والحياة، ما لم يصاحبه حضور اجتماعي، يشق الطريق أمام تلك الأهداف الكبرى، ويترجم العلم إلى فعل ملموس.

لذلك كان الأنبياء والأئمة يعيشون في وسط الناس، ويتفاعلون معهم، ولم يكونوا منعزلين على قمم الجبال، أو في الكهوف والمغارات، ولا كانوا يتعالون ويرفعون عن الناس في أبراج عاجية.

ومهما كان مستوى المجتمع من حيث التخلف والجهل، أو من حيث طغيان أجواء الفساد والانحراف فإن ذلك لا يبرر الهروب والعزوف عن الناس لدى المصلحين الإلهيين.

صحيح أن مخالطة الناس وهم يعيشون حالة الجهل والتخلف أو يخضعون لأجواء الفساد والانحراف، قد تسبب الكثير من الأذى والمعاناة للرجال الإلهيين، لكن ذلك هو طريق التغيير والإصلاح، كما أنه وسيلة لنيل ثواب الله ورضوانه.

ورد في حديث مروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر أنه ﷺ فقد رجلاً، فسأل عنه فجاء، فقال: يا رسول الله إني أردت

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٦٨٦.



أن آتى هذا الجبل فأخلو فيه وأتعبد. فقال رسول الله ﷺ: يصبر أحدكم ساعة على ما يكره في بعض مواطن الإسلام خير من عبادته خالياً أربعين سنة. وفي نص آخر: ستين سنة<sup>(١)</sup>.

والإمام الحسين ﷺ نشأ من بداية حياته في عمق الشأن الاجتماعي وفي صميم الأحداث، فجده رسول الله ﷺ كان قطب رحي المجتمع وقائده الأعلى، وأبوه علي ﷺ كان وزير الرسول، وساعده الأيمن، بل كان نفسه بنص آية المباهلة.

فكان حضوره في ساحة الشأن العام أمراً طبيعياً، لالتصاقه بجده الرسول ﷺ، الذي كان يحتضن حفيده حتى وهو في الصلاة، ويأخذه معه على المنبر، فقد روي عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران، يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر<sup>(٢)</sup>.

وفي ذلك الموقف الحساس بين المسلمين والنصارى، حينما دعاهم الرسول ﷺ إلى المباهلة، كان الحسين محملاً على كتف جده، وهو وأخوه الحسن مصداق الأبناء في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٦١].

وبعد وفاة رسول الله ﷺ وجد الحسين نفسه ضمن الأم عائلته، ومأساة أمه الزهراء، فكان يصحبها في جولاتها على بيوت المهاجرين والأنصار مطالبة بحقها<sup>(٣)</sup>. وينقل التاريخ موقفاً للإمام الحسين ﷺ في بداية عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، والحسين إذ ذاك لتوه يتخطى العقد الأول من عمره:

يروى ابن حجر العسقلاني في كتابه (الإصابة) عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن

(١) المصدر السابق، حديث رقم ١١٣٥٤.

(٢) السجستاني: أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود ج ١ ص ٣٥٨ حديث رقم ١١٠٩.

(٣) القزويني: محمد كاظم، فاطمة الزهراء من المهدي إلى الالحد ص ٤٠٧ الطبعة الأولى ١٩٩١ م، مؤسسة النور للمطبوعات - بيروت.

عبيد بن حنين: حدثني الحسين بن علي، قال: أتيت عمر وهو يخطب على المنبر فصعدت إليه فقلت: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك. فقال عمر: لم يكن لأبي منبر، وأخذني فأجلسني معه ألقب حصى بيدي، فلما نزل انطلق بي إلى منزله، فقال لي: من علمك؟ قلت: واللّه ما علمني أحد. قال: بأبي لو جعلت تغشانا، قال: فأتيته يوماً وهو خالٍ بمعاوية وابن عمر بالبواب، فرجع ابن عمر فرجعت معه، فلقيني بعد فقال لي: لم أرك. قلت: يا أمير المؤمنين إني جئت وأنت خالٍ بمعاوية، فرجعت مع ابن عمر، فقال: أنت أحق بالإذن من ابن عمر، فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا اللّه ثم أنتم. سند صحيح<sup>(١)</sup>.

وفي القصة دلالات مؤثرة واضحة، فهو على صغر سنه يأتي المسجد، ويعرب عما في نفسه للخليفة، وأمام الناس، ويقرر أن ذلك التصرف نابع من قرارة نفسه، لم يمله أحد عليه، ثم يذهب لزيارة الخليفة في داره.

ونرى الإمام الحسين في عهد الخليفة عثمان، قد التحق بالجيش الإسلامي، للفتح في أفريقيا، وكان الجيش بقيادة عقبة بن نافع بن عبد القيس، وعبد اللّه بن نافع بن الحرث، وفيه جماعة من الصحابة، كعبد اللّه بن عباس، وابن عمر، وابن جعفر، والحسن والحسين.

كما شارك الحسين في حروب المسلمين مع الفرس في طبرستان وجهاتها، والجيش بإمرة سعيد بن العاص<sup>(٢)</sup>.

وتأكيداً لحضوره الاجتماعي، كان مجلسه في المسجد النبوي، حيث تلتف حوله حلقة واسعة من طلاب المعرفة، ورواد العلم، وأصحاب الحاجات، وقد سأل رجل من قريش معاوية أين يجد الحسين؟ فقال له معاوية: «إذا دخلت مسجد رسول اللّه ﷺ

(١) العسقلاني: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٧٧ الطبعة الأولى ١٩٩٢ م دار الجيل - بيروت.

(٢) الحسن: هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر ج ٢ ص ١٦ دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٩٩٠ م.

فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبد الله<sup>(١)</sup>. والشواهد على هذا الجانب في حياة الإمام كثيرة يضيق المجال عن استقصائها.

### النموذج الأخلاقي:

في تعاطي الإنسان مع المجتمع، يجد أمامه عناصر متفاوتة المستوى والطباع، وبعضهم قد يعاني من عقد نفسية، أو انحرافات سلوكية، تدفعه إلى الإساءة والعدوان، مما يستفز الإنسان لردّ الفعل، والدفاع عن ذاته أمام هذه العناصر، والانزعاج من تصرفاتها.

لكن الرجال الإلهيين بقلوبهم الكبيرة، ونفوسهم العالية، يستوعبون تلك الحالات، ويقابلونها بالحلم والأناة والإحسان.

والإمام الحسين كان قمة في هذا المجال، فقد كان - فيما أجمع عليه الرواة - لا يقابل مسيئاً بإساءته، ولا مذنباً بذنبه، وإنما كان يغدق عليهم ببره ومعروفه، شأنه في ذلك شأن جده الرسول ﷺ، الذي وسع الناس جميعاً بأخلاقه وفضائله، وقد عرف بهذه الظاهرة وشاعت عنه، وقد استغلها بعض مواليه، فكان يعمد إلى اقتراف الإساءة إليه، لينعم بصلته وإحسانه، ويقول المؤرخون: إن بعض مواليه قد جنى عليه جناية توجب التأديب فأمر ﷺ بتأديبه، فانبرى العبد قائلاً: «يا مولاي، إن الله تعالى يقول: ﴿الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾.

فقابله الإمام ببسماته الفياضة وقال له: «خلوا عنه، فقد كظمت غيظي..».

وسارع العبد قائلاً: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

فقال: «قد عفوت عنك..». وانبرى العبد يطلب المزيد من الإحسان قائلاً: ﴿وَاللَّهُ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(١) القرشي: باقر شريف، حياة الإمام الحسين ج ١ ص ١٣٧ الطبعة الأولى ١٩٩٣ م دار البلاغة - بيروت.

قال: «أنت حر لوجه الله..». ثم أمر له بجائزة سنوية تغنيه عن الحاجة ومسألة الناس»<sup>(١)</sup>.

وقد فزع مروان إليه وإلى أخيه، وهو من ألد أعدائهم، بعد فشل واقعة الجمل، وطلب منها أن يشفعا له عند أبيهما، فخفا إليه، وكلّماه في شأنه، وقالاه: «يباعك يا أمير المؤمنين».

فقال عليه السلام: «أولم يبايعني بعد قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية، لو بايعني بيده لغدر بسبابته». وما زالوا يلطفان به حتى عفا عنه<sup>(٢)</sup>.

#### الاهتمام بمناطق الضعف في المجتمع:

تتجلى إنسانية الإنسان، ويصدق إيمانه باهتمامه بالمحتاجين والفقراء في مجتمعه، ومهما بلغ الإنسان من العلم، أو اجتهد في العبادة، فإنه لن تتحقق إنسانيته، ولن يصح تدينه، إذا ما تجاهل مناطق الضعف في المجتمع، ألم يقل ربنا سبحانه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يُخْضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [سورة الماعون: الآيات ١-٣] فلمهمل للأيتام، وغير المبالي بجوع الفقراء، مكذب بالدين، وغير صادق في ادعائه التدين، وإن بالغ في صلاته وعبادته، بل هو مستحق للويل والعذاب ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ \* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ \* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [سورة الماعون: الآيات ٤-٧].

والإمام الحسين كأهل بيته الطاهرين عليهم السلام كانوا يعيشون للناس أكثر مما يعيشون لأنفسهم، ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر: الآية ٩]. ومن بداية حياته، وهو طفل صغير، شارك أسرته الصيام ثلاثة أيام، ما كانوا يفطرون فيها إلا على الماء القراح، لأنهم عند الإفطار يقصدهم المحتاجون، فيتنازلون لهم

(١) المصدر السابق، ص ١٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٦.

عن طعامهم، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [سورة الإنسان: الآيتان ٨ - ٩].

وطوال حياته كان ملاذاً للفقراء والمحرومين، وملجأ لمن جارت عليه الأيام، وكان يثلج قلوب الوافدين إليه بهباته وعطاياه.

يقول كمال الدين بن طلحة: «وقد اشتهر النقل عنه أنه كان يكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع ويعطي الغارم ويشد من الضعيف، ويشفق على اليتيم، ويغني ذا الحاجة، وقل أن وصله مال إلا وفرقه»<sup>(١)</sup>.

ويقول المؤرخون إنه كان يحمل في دجى الليل البهيم، الجراب يملؤه طعاماً ونقوداً، إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين، حتى أثر ذلك في ظهره، وكان يُحمل إليه المتاع الكثير فلا يقوم حتى يهب عامته<sup>(٢)</sup>.

ومرض أسامة بن زيد مرضه الذي توفي فيه فدخل عليه الإمام عائداً فلما استقر به المجلس قال أسامة: واغماه.

- ما غمك؟

- ديني وهو ستون ألفاً.

- هو علي.

- أخشى أن أموت قبل أن يقضى.

- لن تموت حتى أفضيها عنك.

وبادر الإمام ﷺ فقضاها عنه قبل موته وقد غض طرفه عن أسامة فقد كان من المتخلفين عن بيعة أبيه، فلم يجازيه بالمثل وإنما أغدق عليه الإحسان.

(١) القرشي: باقر شريف، حياة الإمام الحسين ج ١ ص ١٢٧ الطبعة الأولى ١٩٩٣ م دار البلاغة - بيروت.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٨.

وقد اجتاز يوماً على مساكين يأكلون في (الصفة) فدعوه إلى الغذاء فنزل عن راحلته، وتغذى معهم، ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبوني، فلبوا كلامه وخفوا معه إلى منزله، فقال (عليه السلام) لزوج الرباب: أخرجني ما كنت تدخرين، فأخرجت ما عندها من نقود فناولها لهم<sup>(١)</sup>.

هذا غيظ من فيض، وقليل من كثير، ونقطة من بحر، في حياة الإمام الحسين (عليه السلام) وإذ نحتفي بذكرى ولادته العطرة فإننا مدعوون للاقتداء بهديه، والسير على خطه، بالاهتمام بأوضاع مجتمعا، وأن نكتف حضورنا في ساحة المجتمع، ونتجاوز حالة الأنانية والانزواء والانطواء، حتى نسهم في بناء أوطاننا، ونخدم قضايا أمتنا، ونتعاون على البر والتقوى.

(١) المصدر السابق، ص ١٢٥.

# الإمام المهدي بين العقل والنقل

كلمة الجمعة بتاريخ ١١ شعبان ١٤٢٠ هـ





الإسلام دين العقل، وعقائده قائمة على النظر والتفكير، وهو يرفض الأساطير والخرافات، وينهى الإنسان عن الأخذ بشيء قبل التأكد منه ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أو أن يقلد الآخرين ويتبعهم في آرائهم وأفكارهم دون حجة وبرهان.

ومن هنا قال أكثر علماء الإسلام بوجوب الاجتهاد والنظر في أمور المعتقدات، ولا يصح فيها التقليد والاتباع، وإنما يصح التقليد في المسائل الفقهية الفرعية، لمن لم يبلغ درجة الاجتهاد والاستنباط، أما العقائد فلا تقليد فيها.

وآيات القرآن الكريم تؤكد مرجعية العقل للإنسان، ففي عشرات الآيات ورد قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ و ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ و ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وتبلغ الآيات التي وردت فيها مشتقات هذا اللفظ حوالي خمسون آية.

أما الآيات التي تتحدث عن التفكير وتأميره، وتحث عليه، فهي حوالي ثماني عشرة آية، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

إضافة إلى ما ورد في الآيات الكريمة حول التفقه والنظر والعلم، وغير ذلك، مما يظهر بجلاء ووضوح مرجعية العقل ومحوريته في الإسلام، ولذا فلا مجال في المعتقدات الإسلامية للخرافات والأساطير، ولا يتبنى المسلم أي قضية فكرية إلا بعد التعقل والبرهنة والاستدلال.

### نوعان من المعتقدات:

**الأول:** معتقدات يعتمد فيها على العقل بشكل مباشر، ولا شأن للنقل في تحصيل الإيمان بها، كأصول العقيدة، مثل الإيمان بوجود الله تعالى، وبالنبوة، حيث تقود الإنسان إلى ذلك فطرته النقية، وعقله السليم، وليس النصوص والأحاديث والآيات.

**الثاني:** معتقدات يعتمد فيها على النقل ولكن ضمن مرجعية العقل، وذلك على أساس الضوابط التالية:

- أن تكون الجهة التي صدر عنها النقل مورد اعتماد العقل واطمئنانه، وهي الجهة المعصومة، التي لا يشك العقل في صدقها ونزاهتها، كالقرآن الكريم والنبى المرسل، والإمام المعصوم.
- أن يثبت النقل عن تلك الجهة بطريق عقلائي شرعي، وأن تكون الدلالة فيه على المراد صحيحة ظاهرة عند العقلاء.
- أن لا تكون مخالفة للأحكام العقلية القطعية، كاجتماع النقيضين، وارتفاعهما، ووجود المعلول بلا علة، وانقسام الثلاثة إلى عديدين صحيحين، وقبح الظلم وحسن العدل.

وعلى ضوء ما سبق فإننا كمسلمين نؤمن ببعض المعتقدات التي وردت من مصدر شرعي معتمد، وبسند صحيح ثابت، مادامت لا تخالف الضرورات العقلية، والإيمان بها ضمن هذه الضوابط ليس خارج دائرة العقل، بل في ظل مرجعيته وهديه.

### الظواهر الإعجازية:

نعم، هناك بعض القضايا الواردة دينياً، قد يبدو لأول وهلة، أن الإيمان بها يخالف العقل، وأنها من سنخ الخرافات والأساطير، وذلك لأنها غير مألوفة الحدوث والحصول، وتعتبر خارقة للمعادلات والقوانين العادية المعروفة.

إلا أننا يجب أن ندقق ونفّرق بين ما يكون مخالفاً للعادة والمألوف، وما يناقض العقل ويصادمه.

إن كثيراً من التطورات العلمية والتكنولوجية المعاصرة، لو حُدثت بها إنسان القرن الماضي أو ما سبقه من قرون، لرفض التصديق بها، أو احتمال وجودها، إذا كان ينظر إليها من خلال ما اعتاده وألفه، أما إذا قدّر له أن ينظر إليها من خلال الإمكان العقلي والمنطقي، فلن يجد مانعاً من التصديق بها.

والتطور العلمي في حياة الإنسان المعاصر، يساعدنا كثيراً، في فهم العديد من الظواهر الخارقة، التي يحدثنا الدين عنها، ونذكر الآن منها بعض النماذج، والتي يؤمن بها المسلمون لثبوتها دينياً، في الوقت الذي لا تصادم حكم العقل.

### برداً وسلاماً على إبراهيم:

انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة، إلى الجسم الأقل حرارة، حتى يتساويان، قانون طبيعي معروف، لذا فإن أي جسم يلقي في النار يحترق بلهبها، لكن نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام وجسمه كسائر أجسام البشر، ألقاه قومه في تلك النار المضطربة التي أوقدوها لإحراقه، فلم يصب بأي أذى، وخرج منها مبتسماً يقول تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ \* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ \* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآيات ٦٨ - ٧٠].

إن المسلم يؤمن بذلك دون أي شك وتردد مادامت القصة المذكورة في القرآن، وليس مقاومة الاحتراق أمراً ممتنعاً ومستحيلاً من الناحية العقلية، ونحن نرى الآن كيف تطورت وسائل تمنع الأجسام ضمن شروط معينة من الاحتراق.

### ولد من دون أب:

القانون الطبيعي المألوف، أن إنجاب الإنسان يتم عبر تلاقي الذكر والأنثى معاً

وليس مألوفاً أن يحصل التوالد عبر أحدهما فقط، لكن القرآن الكريم يخبرنا عن ولادة نبي الله عيسى بن مريم من دون أب، ولقد استغربت حتى أمه مريم حينما بشرتها الملائكة بذلك، فهي ما مسّها رجل ولم تتزوج فكيف يمكن أن تلد؟  
 يقول تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٤٧].  
 وما دام القرآن قد أخبر بهذا فنحن نؤمن به وهو أمر غير طبيعي عادة، وغير مألوف، ولكنه غير مستحيل عقلاً، وما تجارب الاستنساخ التي حصلت في هذه السنوات الأخيرة إلا تأكيد لهذه الإمكانية.

### الإسراء والمعراج:

ويعتقد المسلمون بالإسراء والمعراج، حيث أسرى الله بنبيه محمد ﷺ من مكة المكرمة، إلى المسجد الأقصى في فلسطين، ثم عرج به إلى السماوات العلاء، في رحلة إعجازية في عمق الفضاء والزمن، وعاد إلى فراشه في الليلة نفسها قبيل طلوع الفجر.  
 إن حصول ذلك وخاصة في ذلك العصر، أمر مستنكر، يوجب الرفض والتكذيب، لكن الخبر الصادق الذي جاء به القرآن يفرض علينا القبول والتصديق، يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء: الآية ١].  
 صحيح أنه أمر غريب ومخالف للعادة والمألوف، لكن العقل لا يحكم باستحالته وامتناعه، وتطور وسائل المواصلات الجوية، وارتياح الإنسان للفضاء، وغزوه للكواكب الأخرى، جعل الصورة أوضح أمام إنسان اليوم.

### الإمام المهدي:

وضمن هذا السياق يأتي الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر ﷺ حيث ثبت ذلك بالنقل

الذي يقره العقل، إذ إن الأحاديث الواردة عن النبي محمد ﷺ. والواردة عن أئمة أهل البيت ﷺ فاقت حدّ التواتر.

قال الشيخ ابن تيمية: «إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم»<sup>(١)</sup>.

وتحت عنوان: (خروج المهدي حقيقة عند العلماء) ذكر المحدث السلفي المعاصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أسماء ستة عشر عالماً من كبار أئمة الحديث قد صححوا أحاديث خروج المهدي<sup>(٢)</sup>.

ونشرت مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بحثاً للشيخ يوسف البرقاوي تحت عنوان (عقيدة الأمة في المهدي المنتظر) جاء فيه:

«إن موضوع المهدي من علامات الساعة الكبرى وأشراتها العظمى التي أخبر عنها رسول الله ﷺ، فأشراط الساعة الكبرى من الأمور الغيبية التي كلف الله عباده بالتصديق بها، والإيمان بمدلولها، وعقيدتنا تملئ علينا وجوب الإيمان بذلك».

ونقل عن السفاريني الحنبلي قوله:

«من أشراط الساعة التي وردت فيها الأخبار وتواترت في مضمونها الآثار من العلامات العظمى وهي أولها أن يظهر الإمام المهدي المقتدى بأقواله وأفعاله الخاتم للأئمة فلا إمام بعده، كما أن النبي ﷺ هو الخاتم للنبوّة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده»<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن تيمية الحراني: شيخ الإسلام أحمد، منهاج السنة ج ٤ ص ٢١١ الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية - مصر ١٣٢٢هـ.

(٢) الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٤ ص ٣٨ حديث رقم ١٥٢٩ الطبعة الأولى: الدار السلفية - الكويت، المكتبة الإسلامية - الأردن ١٩٨٣ م.

(٣) البرقاوي: يوسف بن عبد الرحمن، عقيدة الأمة في المهدي المنتظر، مجلة البحوث الإسلامية عدد ٤٩ ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

وقد جمع الشيخ لطف الله الصافي في كتابه (منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر) الأحاديث الواردة حول الإمام المهدي من كتب الفريقين السنة والشيعة فبلغت (٦٢٧٧) حديثاً<sup>(١)</sup>.

فخروج المهدي المنتظر آخر الزمان مسألة ثابتة عند المسلمين على اختلاف مذاهبهم إلا من شد منهم، لورود خبرها من جهة يؤمن العقل بصدقها، ولأنها جاءت بطرق صحيحة مقبولة شرعاً وعقلاً.

كما يتفق علماء المسلمين على أن المهدي من عترة الرسول ﷺ ومن ولد فاطمة الزهراء ﷺ لكن هناك اختلافاً في تفاصيل هذه العقيدة، كسائر العقائد الإسلامية التي تتعدد المدارس والمذاهب الكلامية في بعض جوانبها وتفصيلها كالتوحيد والنبوة والمعاد. ويأخذ كل فريق بما يصح ويثبت لديه.

ويعتقد الشيعة الإمامية أن الإمام المهدي الذي بشر رسول الله ﷺ بخروجه، قد ولد في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ٢٥٥هـ، وأبوه الإمام الحسن العسكري، من نسل الإمام الحسين بن علي وفاطمة، وأنه لا زال ينتظر أمر الله تعالى لممارسة دوره العالمي، ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

لأن النص قد ثبت لديهم من جهة معصومة بذلك، فهم ملزمون بقبوله والإيمان به، هناك أحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ يتحدث فيها عن اثني عشر إماماً أو أميراً أو خليفة لهذا الدين، ولهذه الأمة، وقد ورد ذلك في صحيح البخاري، وأخرجه الترمذي وأحمد ابن حنبل وأبو داود وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة تحت رقم (١٠٧٥)<sup>(٢)</sup>.

(١) الصافي: لطف الله، منتخب الاثر، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ مركز الكتاب، طهران - ايران.  
(٢) الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٣ ص ٦٣، الطبعة الثانية ١٩٨٧م مكتبة المعارف - الرياض.

ولا ينطبق هذا العدد إلا على الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام.  
تبقى مسألة إمكان العيش والحياة طوال هذه الفترة وكيف يمكن تعقلها؟  
فإن العقل لا يرى استحالة ذلك، بل إن العلم جاداً في البحث والسعي، لكي  
يستطيع الإنسان تجاوز أعراض الشيخوخة والهرم، وليتمتع بعمر أطول في هذه الحياة.  
وإذا ما ثبت النص الشرعي على وجود الإمام المهدي، فإننا نقبله كظاهرة إعجازية،  
كما نقبل عدم احتراق نبي الله إبراهيم في النار، وولادة عيسى بن مريم من دون أب،  
والإسراء والمعراج وأشباه ذلك، فكل هذه القضايا ليست ممتنعة عقلاً، وإنما هي خارقة  
للعادة ومخالفة للمألوف فقط.

إن القرآن الكريم يحدّثنا عن حياة نبي الله نوح عليه السلام عمراً طويلاً، حيث استغرقت  
فترة نبوته إلى وقت الطوفان ٩٥٠ سنة، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ  
فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: الآية ١٤]،  
هذا عدا سنوات حياته قبل النبوة وبعد الطوفان.

وسواء كان ذلك خاصاً بالنبي نوح أو أن أعمار البشر في ذلك الوقت كانت على  
هذا المستوى، فهو يدل على إمكان الحياة لفترة تتجاوز المتعارف والمألوف.

### لا للتهريج والتشنج:

عاشت أمتنا الإسلامية عصوراً من التخلف، سادت فيها حالة التعصب المذهبي،  
والنزاعات بين الطوائف والفرق، ولم تحصد الأمة من كل ذلك إلا التمزق والضياع،  
والانشغال عن بناء قوتها، ومواجهة التحديات الخارجية، ومؤكّد أن أعداء الإسلام  
يشتمون باحتراب المسلمين، ويصبّون الزيت فوق نار الفرقة والنزاع.

ويفترض الآن أن يتجاوز المسلمون تلك الحالة المزريّة، مع تطور مستوى الوعي،  
وتوفر وسائل التواصل والانفتاح، وإذا كانت كل فرقة ترى أن الحق والصواب معها،

فإنها تتحمل مسؤولية معتقداتها وآرائها أمام الله تعالى، وليكن البحث عن الحقيقة هدفاً للجميع، وذلك عبر الدراسة الموضوعية لموارد الخلاف، والحوار البناء بعيداً عن التهريج والتشنج، إن القرآن الكريم ينهى المسلمين أن يتجادلوا مع اليهود والنصارى بأسلوب غير مؤدب، ويقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: الآية ٤٦]، فهل يرضى القرآن بما يمارسه بعض المسلمين تجاه بعضهم من تهريج وشتم واستهزاء، كما يظهر أحياناً على بعض مواقع ساحات النقاش في الإنترنت، أو برامج القنوات الفضائية؟ وهل يدل هذا الأسلوب إلا على سوء الخلق، أو ضعف الحجة أو خدمة مصالح الأعداء؟



# اختيار الزوج بين الفتاة وأهلها

كلمة الجمعة بتاريخ ١٨ شعبان ١٤٢٠ هـ



كلما كان القرار الذي يريد الإنسان اتخاذه أكثر تأثيراً في حياته، كان في حاجة أكثر إلى الدراسة والتأني قبل اتخاذه، حتى يتجنب الانعكاسات الخطيرة للخطأ في ذلك، أما إذا كان القرار يتعلق بشيء بسيط، فقد لا يكلف نفسه عناء المزيد من التفكير فيه.

ولعل من أهم القرارات التي يتخذها الإنسان، هو قرار اختيار شريك الحياة، لتأسيس حياته العائلية الاجتماعية، لما لذلك من التأثير الواسع المدى على مستقبله، ولما للحياة الزوجية من أهمية وخطورة، تلامس جميع جوانب شخصية الإنسان. فإذا توفّق في الاختيار، ورزقه الله زوجاً صالحاً، عاش السعادة والهناء، أما إذا ابتلي بزواج سيئ، فسيعاني نكد العيش ومرارة الحياة، لذا يتوجه المؤمن إلى الله تعالى بالدعاء ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [سورة الفرقان: الآية ٧٤].

وعند التفكير في اختيار الشريك يحتاج الإنسان إلى سلامة ووضوح مقاييس الاختيار، فعلى أي أساس يختار؟ وما هي المواصفات التي ينشد توفرها في الطرف الآخر؟

والتعاليم الإسلامية ترشد الإنسان إلى المقاييس الصحيحة، التي يجب أن يضعها نصب عينيه عند الاختيار، وقد نحتاج إلى بحث خاص لتناولها والحديث عنها.

وما نريد التركيز عليه في هذا الموضوع، هو قرار الفتاة في اختيار شريك حياتها، فالأمر بالنسبة لها أشدَّ خطورة من الرجل، ذلك لأن فرصة الرجل في معالجة الخطأ في هذا القرار، أكبر بكثير من فرصة المرأة، فالمبادرة بيده من الناحية الشرعية، وبإمكانه فك العلاقة والارتباط إذا ما أراد، أما المرأة فلا تملك هذا الحق شرعاً، إلا ضمن استثناءات محددة.

من هنا تحتاج الفتاة أكثر إلى التفكير السليم عند الاختيار، ومشكلة الكثير من الفتيات، أنهن يقعن تحت تأثير العامل الغريزي العاطفي بدرجة كبيرة، حيث تتأثر الفتاة غالباً بما تسمعه من كلمات غزل وحب، وتنخدع ببعض المظاهر والحركات الشبابة، وحيث ترى نفسها تعيش دوراً هامشياً في بيت أهلها تندفع مع أقرب فرصة لبناء كيانها الاجتماعي المستقل.

بالطبع لا يمكن التعميم، فهناك من الفتيات من يمتلكن النضج والرشد، ويتعالين على هذه المؤثرات.

وحماية لمستقبل الفتاة، ولترشيد قرار اختيارها، جعل الإسلام لولي أمرها دوراً في هذا القرار، على رأي قسم من الفقهاء، ويتضح ذلك في النقاط التالية:

### المرأة الثيب:

إذا كان سبق للمرأة أن تزوجت، وعاشت حياة زوجية، أي دخل بها زوجها، ثم انفصلت عنه أو توفي عنها، فإنها حينئذٍ ما دامت بالغة رشيدة، وقد مرت بتجربة زوجية، فقرارها في اختيار زوج جديد يكون بيدها، ولا يملك أحد من أهلها حق الاعتراض والمنع، هذا في رأي فقهاء الشيعة والأحناف.

فهي ليست جديدة على الحياة الزوجية، ويفترض أنها تستفيد من تجربتها السابقة، فيكون قرارها نابغاً من نضج وخبرة، وليس اندفاعاً عاطفياً طائشاً.

بالطبع لا يشمل هذا من انفصلت عن زوجها أو توفي عنها قبل الدخول، لأن مجرد عقد الزواج لا يجعلها ثيباً.

وإذا كان الإسلام - وفق هذا الرأي - لم يعط لأحد من أهلها حق منعها من اتخاذ القرار، فهذا لا يعني أن تزهد في استشارتهم، والاستفادة من رأيهم، لذا قال الفقهاء إنه ينبغي للمرأة المالكة أمرها، أن تستأذن أباه أو جدها، وإن لم يكونا فأخاها وإن تعدد الأخ اختارت الأكبر<sup>(١)</sup>.

### الفتاة البكر:

أما الفتاة البكر، التي لم يسبق لها أن دخلت تجربة حياة زوجية، فهناك رأيان بارزان لفقهاء الإسلام في قرار اختيارها الزوج.

الرأي الأول: أنها تمتلك كامل قرار الاختيار، ولا تحتاج إلى إذن من أبيها أو جدها أو أي أحد، وبهذا الرأي قال جمع من فقهاء الشيعة السابقين، كالسيد المرتضى والإسكافي والحلي والمفيد والديلمي والمحقق والفاضل والشهيد<sup>(٢)</sup> ومن المعاصرين السيد السبزواري والشيخ محمد أمين زين الدين والشيخ محمد جواد مغنية، ويذهب إلى هذا الرأي من أئمة أهل السنة أبو حنيفة وأبو يوسف.

الرأي الثاني: يشترط إذن ولي الفتاة وهو رأي أكثر فقهاء الشيعة المعاصرين، على نحو الفتوى أو الاحتياط الوجوبي، وأيضاً هو رأي جمهور أهل السنة.

وولي الفتاة الذي يؤخذ رأيه في الفقه الجعفري هو الأب أو الجد للأب فقط حيث يكفي موافقة أحدهما ولا ولاية لغيرهما على الفتاة البالغة الرشيدة.

بينما تتسع دائرة الولاية في هذا المجال عند أهل السنة لتشمل العصبات للمرأة: الأبوة ثم البنوة ثم الأخوة ثم العمومة على خلاف بينهم في ترتيب الأولياء.

(١) اليزدي: السيد محمد كاظم الطباطبائي، العروة الوثقى، أولياء العقد - المسألة رقم ١٤.

(٢) الشيرازي: السيد محمد الحسيني، الفقه ج ٦٤ ص ٢٠.

### حكمة إذن الولي:

تقدمت الإشارة إلى أن اشتراط الشارع إذن الولي في إمضاء زواج الفتاة البكر، هو من أجل ترشيد قرارها، حتى لا يكون اختيارها نابعاً من حالة عاطفية، دون التأكد من صلاحية من تريد الاقتران به.

وخاصة في المجتمعات المحافظة، فإن الفتاة ليست منفتحة على مجتمع الرجال، لتعرف سلوك الخاطب لها، ومستواه ودرجة صلاحيته، وأبوها أو جدها يفترض فيهما الحرص على مصلحتها، ورغبتها في سعادتها، لذا كان لرأيها دخل في إمضاء زواجها. أما غيرهما فليس له حق المنع، حسب الفقه الجعفري، نعم يستحب للفتاة أن تستشير من تثق به من أهلها، لكن ليس لأحد منهم حق المنع.

وما ييارسه بعض الأقرباء من التدخل في شأن زواج أخته، أو ابنة أخيه، أو ابنة أخته، أو ابنة عمه، أو ما أشبهه، بالعرقلة والتعويق، هو تدخل طفولي لا يقره الشرع، يقول الفقيه السيد محمد سعيد الحكيم:

« ليس لأحد من الأرحام مع فقد الأب والجد للأب الولاية على البالغة البكر فضلاً عن غيرها، بل تستقل فيه بنفسها، وما قامت عليه بعض الأعراف من تدخل الأرحام ومنعهم للمرأة عما تريد، أو عما يريد لها وليها مع وجوده، ظلم صارخ، وخروج عن الموازين الشرعية وانتهاك لحدود الله تعالى، وتجاهل لأحكامه في عباده، وهو من أسباب الفساد المهمة، التي قد يترتب عليها ردود فعل لا تحمد عقباه، يتحمل المفسد عارها وشنارها في الدنيا، وتبعثها ومسؤوليتها في الآخرة، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>».

إن بعض الفتيات - كما لاحظت - ينزعجن من ممارسة وليهنّ لهذا الدور، وتسيطر

(١) الحكيم: السيد محمد سعيد الطباطبائي، الأحكام الفقهية عقد النكاح وأولياء العقد ص ٣٥٦، المسألة رقم ٩ - الطبعة الثالثة ١٩٩٧م، دار الصفوة - بيروت.

عليهن الانفعالات الحادة، عندما يقف الولي أمام رغبتهن في اختيار الزوج، ولكن المطلوب من الفتاة أن تتفهم هذا الحكم الشرعي، وأن تتفهم دور أبيها الذي رباها وتحمل مسؤولية رعايتها، وهو حريص على سعادتها ومستقبلها، وهو أكثر منها تجربة وخبرةً ومعرفة بأوضاع المجتمع وأفراده، وحينما يرفض خاطباً يتقدم لها إنما هو من منطلق عدم كفاءة ذلك الخاطب وصلاحيته.

ويحصل في بعض الحالات أن الفتاة تصر على رغبتها في الزواج من خاطب معين، مع رفض أبيها، ويضطر الأب للتنازل عن رأيه، والاستجابة لرغبتها، مع تحميلها مسؤولية مستقبلها، فماذا يحدث بعد ذلك؟

يحدث أحياناً أن تجد البنت نفسها في ورطة الحياة مع شخص لا يحسن التعامل معها، ولا يتحلّى بالصفات المطلوبة والسلوك المناسب، فتدرك بعد فوات الأوان أنها كانت مخطئة في الاختيار، وتدفع ثمناً باهظاً.

### سوء استخدام الحق:

لكن بعض الآباء قد يسيء استخدام هذا الحق، فيعترض على اختيار ابنته دون مبرر، ويمنعها من الزواج مع أن المتقدم لها كفؤ صالح، مما يسبب تأخير زواجها لفترة طويلة، وقد تصبح في عداد العانسات، وقد يكون السبب لذلك تمسك الأب ببعض المقاييس المادية والمصلحية، التي يريد توفرها في خاطب ابنته، كأن يكون ثرياً، أو في مستوى وظيفي معين، أو لأن الأب يريد زواج ابنته من شخص معين، من أقربائه أو أصدقائه، أو لأن بين الأب وأم الفتاة مشكلة، كأن تكون مطلقة منه، أو معلقة، فيصّفي خلافه معها على حساب ابنته، ولاحظت أن أحد الآباء كان طامعاً في دخل ابنته الموظفة، لذلك فهو يعوّق ويؤخر زواجها، باختلاق الأعذار والمبررات تجاه الخاطبين.

إن مثل هذه الحالات قد تحدث، لكن ما ينبغي الالتفات إليه، هو أن الإسلام

يسلب هذا الحق من الولي الذي يسيء استخدامه، فإنها يحق له المنع والاعتراض، إذا كان الخاطب غير كفؤ، وغير صالح، أما إذا كان كفواً مناسباً، ومع ذلك اعترض الأب فإن حقه في الاعتراض، وولايته على الفتاة تسقط هنا. يقول الفقهاء: «إذا عضلها الولي أي منعها من التزويج بالكفء مع ميلها سقط اعتبار إذنه»<sup>(١)</sup>.

«اتفق العلماء على أنه ليس للولي أن يعضل مولاته، ويظلمها بمنعها من الزواج، إذا أراد أن يتزوجها كفء بمهر مثلها، فإذا منعها في هذه الحال كان من حقه أن ترفع أمرها إلى القاضي ليزوجها. ولا تنتقل الولاية في هذه الحالة إلى ولي آخر يلي هذا الولي الظالم، بل تنتقل إلى القاضي مباشرة، لأن العضل ظلم، وولاية رفع الظلم إلى القاضي»<sup>(٢)</sup>.

وينهى القرآن الكريم عن إعضال المرأة أي تعويق زواجها يقول تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٣٢].

إن أي مسلم يؤمن بالله مشرعاً ورقيباً، وبيوم القيامة موعداً للحساب والجزاء، عليه أن يتعظ بأمر الله تعالى، ولا يتسبب في تعويق زواج ابنته دون مبرر مشروع، لأن ذلك ظلم لها، وسبب لوقوع المفاسد والمشاكل في المجتمع، لذلك تقول نهاية الآية ﴿ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾.

وقد وردت روايات وأحاديث كثيرة تحذّر من تعويق زواج البنت وتأخيرها، لأن ذلك قد يفوت عليها الفرصة المناسبة، كما يحدث الأضرار النفسية والأخلاقية في المجتمع.

كان علي بن أسباط من أصحاب الإمام محمد الجواد عليه السلام، وكانت له بنات يرغب

(١) اليزدي: السيد محمد كاظم الطباطبائي، العروة الوثقى، أولياء العقد - المسألة رقم ١.

(٢) سابق: السيد، فقه السنة ج ٢ ص ١٣٦ الطبعة الثالثة ١٩٧٧م، دار الكتاب العربي - بيروت.



في تزويجهن من علماء فضلاء مثله، فأصبح ذلك سبباً في تأخير زواجهن، فكتب رسالة للإمام الجواد (عليه السلام)، فأجابه الإمام: (فهمت ما ذكرت من أمر بناتك وأنت لا تجد أحداً مثلك، فلا تنظر في ذلك رحمك الله، فإن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»<sup>(١)</sup>).

وفي حديث آخر: «من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»<sup>(٢)</sup>.

وعن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، قلت: يا رسول الله وإن كان دنيئاً في نسبه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»<sup>(٣)</sup>.

وصعد رسول الله ﷺ المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن جبرئيل أتاني عن اللطيف الخبير فقال: إن الأبقار بمنزلة الثمر على الشجر، إذا أدرك ثمارها فلم تجتن أفسدته الشمس ونثرته الرياح، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، فمن نزوج؟ فقال: الأكفاء. فقال: يا رسول الله ومن الأكفاء؟ فقال: المؤمنون بعضهم أكفاء بعض، المؤمنون بعضهم أكفاء بعض<sup>(٤)</sup>.

فمقياس الكفاءة والصلاح: التدين والسلوك الحسن، ومتى توفرا في المتقدم للبت، لم يكن ثمة مبرر عند وليها للتعويق والتأخير، وملحوظ تكرار التشديد والحذر في الأحاديث، بأن تعويق الزواج يسبب الفتنة والفساد الكبير في المجتمع.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة ج ٢٠ ص ٧٦ الطبعة الأولى ١٩٩٣ م مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت.

(٢) المصدر السابق ص ٧٧.

(٣) المصدر السابق ص ٧٨.

(٤) المصدر السابق ص ٦١.



# شهر رمضان وعادات خاطئة

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٥ شعبان ١٤٢٠ هـ



شهر رمضان المبارك أفضل منطقة زمنية يمر بها الإنسان خلال العام، حيث اختصه الله تعالى بالخير والفضل، من بين سائر الأزمنة والأوقات، وجعل فيه ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، واختاره ليكون مهبطاً لوحيه ورسالاته، حيث أنزل فيه القرآن، وقبل ذلك كان فيه نزول التوراة والإنجيل والزبور. ويكفي في فضل هذا الشهر ما ورد عن رسول الله ﷺ: «سيد الشهور شهر رمضان»<sup>(١)</sup>.

وعنه ﷺ: «أيها الناس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله»<sup>(٢)</sup>. ولتأكيد الخاصية والتميز لهذا الشهر الكريم، فرض الله صيامه على الناس، ليعيشوا فيه جواً وبرناً مجاً فريداً، يساعدهم على الارتقاء لمكانة هذا الشهر، ومقامه العظيم. والصوم له فوائد ومنافع عظيمة، فمن الناحية الصحية يتيح الصوم راحة فسيولوجية لأعضاء الجسم، من عمليات هضم الغذاء، كما يعطي فرصة لاستهلاك

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ج ٨ حديث رقم ٢٣٦٧٠ ص ٤٦٣ الطبعة الخامسة ١٩٨٥ م مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٣٥٦ الطبعة الثانية ١٩٨٣ م دار التراث العربي - بيروت.

المدخر منه، وطرح السموم المتراكمة فيه، وتنشيط عمليات الاستقلاب الحيوية، لذا يهتم الآن قسم من الأطباء بما يطلقون عليه (الصيام الطبي) وقيمون له المصحات الطبية، التي تعالج اضطراب الجسم وبعض أمراضه المزمنة، وقد صنف حوله كتب علمية متداولة ككتاب (التداوي بالصوم) لمؤلفه (ه.م. شيلتون) الذي ترجم إلى اللغة العربية ونشر عام ١٩٨٧م من قبل دار الرشيد - دمشق/ بيروت.

وعلى الصعيد النفسي فإنه دورة تدريبية، لتربية الإنسان على التحكم في رغباته وشهوته، حيث يمتنع بقرار ذاتي عن الطعام والشراب، وسائر المفطرات، مع ميله إليها، أو حاجته لها، في بعض الأحيان.

**واجتماعياً:** يتحسس الإنسان من خلال الصوم جوع الفقراء والمعدمين، ويشعر بمعاناتهم وحاجتهم.

**وروحياً:** فإن التسامي على الرغبات، والتفاعل مع الأجواء المباركة للشهر الكريم، ينتج صفاءً روحياً، وحيوية معنوية عالية.

لكن هذه الفوائد والمنافع وأمثالها، إنما تتحقق مع الوعي بها والتوجه إليها، وإتاحة الفرصة لفريضة الصوم المباركة، ولأجواء رمضان الكريمة، أن تؤدي مفعولها، وتعطي آثارها، دون معوقات أو حالات مضادة مناوئة.

وما يؤسف له هو نمو بعض العادات الخاطئة، والحالات السلبية، التي تجهض آثار الصوم، وتقلل الاستفادة من بركات الشهر الكريم.

وفي هذه الكلمة نسلط الأضواء على ظاهرتين سلبيتين، تنتشران في أغلب أوساط الصائمين، فتسبب حرمانهم من الاستفادة المطلوبة، من عطاء هذا الشهر المبارك.

### **لا للكسل والخمول:**

حينما يمتلك الإنسان وقتاً غالباً مهماً، فإن عليه أن يقضيه في أفضل الأعمال

والبرامج، لا أن يضعه في التوافه والأمور البسيطة.

وشهر رمضان كأفضل وأعلى فترة زمنية تمر على الإنسان في العام، ينبغي له أن يحرص على كل ساعة من ساعاته، ولحظة من لحظاته، فكما ورد في كلام رسول الله ﷺ: «أيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات».

ومعنى ذلك أن يحفل شهر رمضان بأفضل البرامج، وأحسن الأعمال، وأن يكون إنتاج الإنسان فيه أكثر، وفاعليته أكبر.

لذا نرى التعاليم الإسلامية تقدم برامج مكثفة من الأعمال العبادية في شهر رمضان:

- فهناك أورد وصلوات مستحبة كثيرة.
  - وأدعية متنوعة لأيام وليالي هذا الشهر، يقول الإمام علي ﷺ: «عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدعاء».
  - وقراءة القرآن يستحب زيادتها ومضاعفتها، كما ورد في الحديث عن الإمام الباقر ﷺ: «لكل شيء ربيع، وربيع القرآن شهر رمضان».
- وفي المجال الاجتماعي: هناك توجيه ديني لتكثيف النشاط الاجتماعي في شهر رمضان، كما نقرأ في خطب رسول الله ﷺ عن هذا الشهر الكريم حيث يقول:
- «وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم.. وتحننوا على أيتام الناس يتحنن على أيتامكم».
- «من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة ومغفرة لما مضى من ذنوبه». وفي حديث آخر: «من أفطر صائماً فله مثل أجره».

هذه الروايات وأمثالها تعني أن تكون للإنسان برامج مكثفة، خلال شهر رمضان، في الجانب العبادي، والمجال الاجتماعي، فتكون أوقات الإنسان فيه معمورة بالنشاط، حافلة بالحركة.

فهو شهر النشاط والحركة والعمل.

لكن ما تعودته الكثيرون في مجتمعاتنا، هو اتخاذ هذا الشهر الكريم موسماً للخمول والكسل، حيث يتدنّى فيه الأداء التعليمي في المدارس، والوظيفي في الدوائر والمؤسسات، ويقضي قسم كبير من الناس فيه النهار نوماً واسترخاءً، بحجة الصيام، وكأن الصوم داعٍ للكسل، أو بديل عن العمل، فيوقف الإنسان حركته لكي يصوم، وتلحظ بعض التقارير انخفاض مستوى الإنتاجية العملية لدى قسم من المجتمعات الإسلامية في شهر رمضان..

بينما نجد في تاريخنا الإسلامي أن شهر رمضان المبارك قد احتضن الكثير من المعارك الفاصلة بين المسلمين والكفار، وسجّل المسلمون فيه أروع البطولات والانتصارات، فغزوة بدر الكبرى وقعت في أول شهر رمضان يفرض الله صومه، في السنة الثانية للهجرة، وفتح مكة المكرمة حصل في شهر رمضان، للسنة الثامنة للهجرة، وفي شهر رمضان فتح المسلمون جزيرة (رودس) سنة ٥٣هـ كما فتحوا ثغور الأندلس على يد موسى بن نصير عام ٩١هـ.

وفيه انهزام الإفرنج المسيحيين الذين استولوا على سوريا وضواحيها، على أيدي جيوش المسلمين عام ٥٨٤هـ.

وأباؤنا وأجدادنا كانوا يصومون شهر رمضان، مع قيامهم بكل وظائفهم الحياتية، فما كانت الأعمال تتوقف في بلادنا فترة الصيام.

فكيف حدثت هذه الظاهرة السلبية باستيلاء الخمول والكسل على الكثيرين نهار شهر رمضان؟

إن إحياء ليالي شهر رمضان بالعبادة وأعمال الخير شيء جيد، لكن الكثيرين يسهرون الليل في جلسات فارغة، أو ضمن برامج غير مفيدة، يراد منها تمرير الوقت، ثم يقضون أغلب نهارهم نياماً على حساب الإنتاجية والعمل.



ومن الناحية الصحية: فإن النوم فترة الصيام، يضعف استفادة الجسم من الصوم، فقد ذكرت المراجع الطبية: أن الحركة العضلية في فترة ما بعد امتصاص الغذاء -أثناء الصوم - تنشط جميع عمليات الأكسدة لكل المركبات التي تمد الجسم بالطاقة، وتنشط عملية تحلل الدهون، كما تنشط أيضاً عملية تصنيع الجلوكوز بالكبد، من الجليسرول الناتج من تحلل الدهون في النسيج الشحمي، ومن اللاكتيت الناتج من أكسدة الجلوكوز في العضلات.

ويحتوي كتاب (الصيام معجزة علمية) للدكتور عبد الجواد الصاوي، على بحث علمي جميل حول هذا الموضوع تحت عنوان: (هل الأفضل في الصيام الحركة أم السكون؟)<sup>(١)</sup>.

مضافاً إلى ذلك فإن نوم النهار للصائم يشكل مصادرة لأغلب استهدافات الصوم.

فهو لا يتحسس الجوع، ولا تستثيره الرغبة أو الشهوة، فكيف يصدق على الصائم النائم أنه يذوق مسّ الجوع فيشعر بمعاناة المعدمين؟ أو أنه يتعالى على شهواته ورغباته فتتمو عنده ملكة التقوى؟

وإذا كان الإنسان طوال السنة، يأكل ويشرب أثناء النهار، ويمتنع عن الأكل والشرب عند نومه في الليل، فإنه في هذه الحالة يعكس برنامجه، فيأكل ويشرب أثناء الليل، ويمتنع عن الأكل وهو نائم في النهار فما الفرق إذاً؟

### انطلاق شهوة الطعام:

من أجل فوائد الصوم الظاهرة تربية الإنسان على التحكم في شهوة الطعام، ذلك أن هناك مستويين في تناول الإنسان للطعام.

(١) الصاوي: الدكتور عبد الجواد، الصيام معجزة علمية ص ١١٤ - ١٢٣ الطبعة الأولى ١٩٩٣ م دار القبلة - جدة.

**المستوى الأول:** حاجة الجسم إلى الغذاء، لأنه مكوّن من ذرات عناصر الأرض: التراب والماء والهواء، وقد سخر الله تعالى النبات والحيوان كغذاء للإنسان، يمد جسمه بهذه العناصر والمركبات، لتستمر حياته ونموه، ويكفي لتحقيق هذا الغرض مقدار محدود من الغذاء « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » كما روي عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

**المستوى الثاني:** حالة الرغبة والشهوة، حيث يتلذذ الإنسان بمذاقات الطعام، وتستهو به ألوانه المختلفة، فيأكل استجابة لهذه الرغبة، متجاوزاً حاجة جسمه، بل قد يأكل ما يضر جسمه من حيث الكمية أو النوعية.

وهنا يفترق الإنسان عن الحيوانات، حيث ترتبط شهيتها بحاجة جسمها، وللوظيفة التي سخرت لها، أما الإنسان فشهيته أوسع مدى من حاجته، فإذا استجاب لها واسترسل في الأكل والشرب، فإن ذلك يسبب له العديد من الأمراض والأسقام.

لذا يحذّر الطب من الإفراط في الطعام، وعدم التوازن فيه، كما تشدّد على ذلك التعاليم الدينية، روي عنه ﷺ: « إياكم وفضول المطعم فإنه يسمّ القلب بالفضلة »، ويقول الإمام عليّ عليه السلام: « من كثر أكله قلّت صحته »<sup>(٢)</sup>.

وأغلب مشاكل الإنسان الصحية تأتيه من الاسترسال مع شهوة الطعام والشراب، وخاصة في هذا العصر الذي تتفنن فيه وسائل الدعاية والإعلام، لتشجيع حالة الاستهلاك، وتسعى مصانع ومتاجر الأغذية، لإثارة رغبات الناس أكثر في ألوان المنتجات الغذائية، كما أن طبيعة الحياة عند الكثيرين لا تستلزم بذل جهد وحركة، لتصريف الطاقة التي يوفرها الطعام للجسم.

وتأتي فريضة الصوم لتلفت نظر الإنسان إلى ضرورة التحكم في طعامه وشرابه، وضبط رغبته وشهيته، لكن المؤسف جداً هو ما يسود حياة أغلب مجتمعاتنا، حيث ترتفع

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٦٣ ص ٣٢٩ الطبعة الثالثة، دار التراث العربي - بيروت.

(٢) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ١ ص ١١٧ - ١١٨.

وتيرة الاستهلاك الغذائي في شهر رمضان، وحسب بعض التقارير الاقتصادية، فإن استهلاك الدول الإسلامية من المواد الغذائية يزداد في شهر رمضان. فقد أصبح الشهر الكريم موسماً للأكل، وانطلاق شهوة الطعام! فما أن يجين وقت الإفطار حتى يندفع الإنسان للمائدة بنهم وشره، وكأنه ينتقم لبطنه من فترة صومه!!

### انتشار السكري وأمراض القلب:

وفي مجتمعاتنا وحيث الوفرة الاقتصادية، والاسترسال مع الشهية والرغبة، أصبحنا نعاني من انتشار بعض الأمراض الخطيرة، التي تنتج غالباً من عدم التحكم في البرنامج الغذائي.

فقد أعلن في مؤتمر السكر العالمي الذي انعقد مؤخراً بالقاهرة، عن تصدر المملكة العربية السعودية لقائمة الدول التي ينتشر بها مرض السكري، بعد أن تم تشخيص ٩٠٠ ألف حالة سكري بالمملكة أي ما يعادل ١٧٪ من جملة السكان.

كما عقد أخيراً المجمع الطبي بالظهران مؤتمراً بعنوان (السكري.. آفاق مستقبلية)، أشارت بحوثه إلى مضاعفات مشاكل السكري الخطيرة كال فشل الكلوي والنوبات القلبية وبتر الأطراف.

ففي عام واحد حصلت ١٣ ألف عملية بتر أعضاء في المملكة بسبب السكري، وفي الرياض وحدها تجري ٣٦ عملية بتر أعضاء يومياً!! وهي نسب أعلى من المعدلات العالمية.

ويشير التقرير السنوي الذي تصدره منظمة الصحة العالمية إلى أن معدل الزيادة السنوية لمرض السكر في المملكة نسبتها ٤٪ أي إن ٣٦ ألف شخص جديد كل عام يصابون بالسكري في المملكة!! والمنطقة الشرقية قد تكون هي الأولى في زيادة الإصابة بهذا المرض<sup>(١)</sup>.

(١) الشرق: مجلة أسبوعية، العدد ٩٩٩ ص ١٤.

وإلى جانب مرض السكري يزداد انتشار أمراض القلب التي تنشأ غالباً من زيادة نسبة الكلوسترول والدهون في جسم الإنسان.

إن علينا أن نعيد النظر في برامجنا وعاداتنا الغذائية مع تغيير نمط حياتنا ومعيشتنا، ولا يصح أبداً الاستجابة للرغبات والشهوات على حساب صحتنا ومستقبل حياتنا.

وعلىنا أن نسأل أنفسنا: هل نحن نعيش لنأكل أم نأكل لنعيش، إذا كان الأكل من أجل الحياة فلنضبطه حسب مصلحة الحياة.

وشهر رمضان ينبغي أن نتدرب فيه على الانضباط الغذائي، لنستفيد من فريضة الصوم العظيمة.

«اللَّهُمَّ أهْلِهِ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْعَافِيَةِ الْمَجْلَلَةِ وَالرِّزْقِ الْوَاسِعِ وَدَفْعِ الْأَسْقَامِ، اللَّهُمَّ ارزُقْنَا صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ فِيهِ. اللَّهُمَّ سَلِّمْ لَنَا وَتَسَلِّمْهُ مِنَّا وَسَلِّمْنا فِيهِ»<sup>(١)</sup>.

(١) من دعاء رسول الله ﷺ.

# عالم الدين وتزكية النفس (الشيخ منصور البيات – أنموذجاً)

كلمة الجمعة بتاريخ ٢ رمضان ١٤٢٠ هـ



المهمة الرئيسة والهدف الأساس للدين هو تزكية النفس، وفي الحديث عن وظائف الرسول ﷺ يذكر القرآن الكريم التزكية كوظيفة أولى، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة الجمعة: الآية ٢]، وتكرر مثل ذلك في ثلاثة موارد أخرى.

والتزكية هي حكمة أكثر التشريعات الإسلامية، فأخذ الزكاة والصدقة لإيجاد التزكية في نفوس المعطين، يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [سورة التوبة: الآية ١٠٣].

وغض البصر عن المحرمات وضبط الشهوة الجنسية هو وسيلة للتزكية أيضاً، يقول تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [سورة النور: الآية ٣٠].

والتزكية هي سبيل الفلاح والنجاح ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [سورة الشمس: الآية ٩] مع ملاحظة أن هذه الآية قد جاءت جواباً لعدة أقسام أقسم الله تعالى بها في بداية سورة الشمس، يقول تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا \* وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا \* وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا \* وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا \* وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا \* وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا \* وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ بعد هذه الأقسام العديدة بأهم الموجودات الكونية، يأتي

جواب القسم ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾. مما يدل على أهمية هذه الحقيقة وخطورتها. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [سورة الأعلى: الآية ١٤].  
 وحينما يبشّر الملك السيدة مريم بنت عمران بمولودها النبي عيسى ﷺ يكتفي بوصفه بأنه غلام زكي ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [سورة مريم: الآية ١٩].

### معنى التزكية:

التزكية التي هي هدف الرسالات، ومهمة الأنبياء، وحكمة التشريعات، وسبيل الفلاح والنجاح، ماذا تعني وما هو المقصود بها؟  
 التزكية من الزكاء والزكاة. قال في لسان العرب: هي بمعنى النماء، جاء في كلام الإمام علي ﷺ: «المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق». وكل شيء يزداد وينمو فهو يزكو زكاء.

وتعني الزكاة أيضاً: التطهير. وقوله تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، قالوا: تطهرهم بها. كما تعني: الصلاح. قال الفراء: زكاةً صلاحاً، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً﴾، قال: صلاحاً. ولكن الله يزكي من يشاء أي يصلح. وفي حديث الباقر أنه قال: «زكاة الأرض يُيسها» يريد طهارتها من النجاسة كالبول وأشباهه بأن يجف ويذهب أثره<sup>(١)</sup>.

وجاء في مجمع البحرين: التزكية: التطهير من الأخلاق الذميمة. وفي الغريب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ أي ظفر من طهر نفسه بالعمل الصالح. قوله تعالى: ﴿أَقْتَلَتْ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أي طاهرة. قوله تعالى: ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾ أي طاهر من الذنوب. وقد تكرر ذكر الزكاة في الكتاب والسنة، وهي إما مصدر (زكا) إذا نما لأنها ستجلب البركة في

(١) ابن منظور، لسان العرب المحيط ج ٣ ص ٣٦ دار الجيل - دار لسان العرب، بيروت ١٩٨٨ م.



المال وتنميته، وأما مصدر (زكا) إذا طهر لأنها تطهر المال من الخبث، والنفس البخيلة من البخل<sup>(١)</sup>.

ومن معناها اللغوي يتبين المقصود منها، وأنه تطهير النفس وإصلاحها، ونماء النوازع والتوجهات الخيرة لديها.

### عالم الدين:

وإذا كان الدين يستهدف إحداث حالة التركيزية في نفس الإنسان، فإن إنجازها وتحقيقها إنما يتم بمعرفة هدي الدين وتوجيهاته، وبالاقتراب من منابعه وأجوائه. وعالم الدين لاطلاع الواسع على التعاليم، ولتواصله الدائم مع المفاهيم والنصوص الدينية، فإنه أولى وأحرى بامتلاك هذه الحالة (تركيزية النفس). وأيضاً لأنه في موضع القدوة للآخرين، والداعية والمرشد لهم، فلا بد أن يتصف هو أولاً ويتحلى بما يدعو الآخرين إليه.

من هنا تؤكد النصوص الدينية ضرورة توفر عالم الدين على طهارة النفس وصفائها، وأن لا يكون متعلقاً بالأهواء والشهوات، أو منطوياً على الضغائن، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: الآية ٢٨].

وورد عن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: « لا يكون العالم عالماً حتى لا يجسد من فوقه، ولا يحتقر من دونه، ولا يأخذ على علمه شيئاً من حطام الدنيا »<sup>(٢)</sup>.  
وعنه أيضاً عليه السلام:

« من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم

(١) الطريحي: فخر الدين، مجمع البحرين ج ١ ص ٢٠٣-٢٠٥.

(٢) الأمدى التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم ج ٢ ص ٣٧٠، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

الناس ومؤدبهم»<sup>(١)</sup>.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار. قلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد»<sup>(٣)</sup>.

### القدوة الحسنة:

لقد رزنا هذه الأيام بمصيبة عظيمة، هي فقد عالم تقي ورع، يجسد القدوة الحسنة لتزكية النفس، هو العلامة الشيخ منصور البيات (تغمده الله برحمته).

وإن ما رافق وفاته من اهتمام شعبي ورسمي، حيث كان تشييعه عصر يوم الثلاثاء الماضي ٢٩ شعبان ملحمة دينية وطنية رائعة في القطيف، كما أن الحشود الكبيرة التي تؤم مجلس العزاء المنعقد لرحيله، والبرقيات التي جاءت من كبار المسؤولين، ومن مراجع الدين، ومختلف الشخصيات العلمية والاجتماعية، كل ذلك ليؤكد تأثير السيرة الصالحة في نفوس الناس.

ولا نريد الحديث في هذه الكلمة عن فضيلته العلمية، فشهادات العلماء المراجع في حقه تبين مكانته المرموقة، كما لا نريد الحديث عن مؤلفاته وكتاباته، التي تبلغ خمسة وثلاثين كتاباً، رغم أنه كان كفيف البصر، كبير السن، يعاني الآلام والأسقام.

إنما نخصص حديثنا حول ما كان يتمتع به من صفاء نفس، وطهارة قلب، حيث جسّد في واقع مجتمعنا سيرة العالم الزاهد، الذي زكّى نفسه، فطاب سلوكه

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، قصار الحكم - رقم ٧٣.

(٢) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ٦ ص ٥١٤.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٧.

وحسنت سيرته.

ونشير إلى معلمين بارزين في سيرته العطرة، ليكونا مجالاً للاقتداء والتأسي.

### الخروج من أسر المطامع:

يتعجب الكثيرون من حياة الزهد التي كان يعيشها الشيخ الفقيه، فهو سليل أسرة ثرية، وتحت تصرفه إمكانات وافية، لكنه من بداية حياته، اختار طريق العلم والدين، واختط لنفسه مسيرة الزهد والكفاف، فهو يسكن منزلاً صغيراً قديماً، وتأثيث متواضع جداً، ويتجنب مختلف ألوان الطعام والشراب، إلا ما يسد الرمق، ويبقيه على قيد الحياة. كما كان شعبياً متواضعاً في تعاطيه مع الناس والأمر، لا يحيط نفسه بأي أهمية، وبعد أن قطع شوطاً في دراسته العلمية في وطنه القطيف، كان يحظى بمكانه وثقة واحترام، لكنه قرر مغادرة وطنه، والانتقال إلى النجف الأشرف، سنة ١٣٨٠ هـ وهو في الخامسة والخمسين من عمره ليتابع دراسته العلمية، وهو قرار فيه الكثير من الجراءة، بالنسبة لشخص في مثل سنه ووضعيته، كفاقد للبصر، وليس لديه ولد يساعده، إذ كان قد فقد ولده الوحيد (أحمد) الذي كان في ريعان شبابه، كما أن في ذلك القرار تخلياً عن الوضع الاجتماعي المحيط به.

هكذا اتخذ قراره وسافر، مستعداً لمشاق الغربة، دون أن يمنعه عن ذلك أي مطمع أو ميل للراحة.

وعاد إلى وطنه بعد عشرين عاماً، حينما ساءت الأوضاع والأمر في العراق، وقد أحرز مستوى علمياً متقدماً، لكنه لم يكن يطمح إلى أي موقع أو منصب، ولم يتغير شكل تعامله مع الناس، بل ازداد تواضعاً وزهداً، وعزوفاً عن المطامع.

وعالم الدين لا يستطيع أن يؤدي دوره بأكمله وجه، إلا إذا اتصف بالزهد، وجوهر الزهد هو عدم الخضوع للمطامع والشهوات، ليكون داعية للناس بسيرته وسلوكه،

ويصبح أنموذجاً ومصدقاً للالتزام بالقيم والمبادئ، ومن ثم تأخذ موعظته موقعها في القلوب. أما إذا كان عالم الدين لاهثاً خلف المطامع والمناصب والشهوات، فإنه سيشكل خطراً كبيراً على دين الله.

ورد في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «من ازداد في الله علماً، وازداد للعالم حباً، ازداد من الله بعداً، وازداد الله عليه غضباً»<sup>(١)</sup> وعنه عليه السلام: «إذا رأيت العالم محباً للعالم فاتهموه على دينكم فإن كل محب يحوط ما أحب»<sup>(٢)</sup>.

إن مظهر الزهد وتجلياته تختلف من إنسان إلى آخر، وليس المطلوب الاقتداء بحرفية حياة أي زاهد من الزهاد، لكن المهم التوفّر على حقيقة الزهد وجوهره، وهو الانعتاق من أسر المطامع والشهوات، وكما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «الزهد ليس بتحريم الحلال ولكن أن يكون بما في يدي الله أوثق منه بما في يديه»<sup>(٣)</sup> ويروى عن الإمام علي عليه السلام: «ليس الزهد أن لا تملك الشيء ولكن الزهد أن لا يملكك الشيء».

### صفاة التعامل مع الناس:

كان الشيخ الفقيه منفتحاً على الناس، بشرائعهم المختلفة، وتوجهاتهم المتعددة، لم يكن يحمل في قلبه حقداً على أحد، ولا كراهية لأحد. ومع أنه كانت له أفكاره وآراؤه الخاصة، لكنه لم يعاد أحداً لاختلافه معه في الرأي، ولا دخل معركة أو نزاعاً حول قضية من القضايا.

عاصر الكثير من الخلافات المرجعية، بين بيت هذا المرجع وذاك المرجع، وبين جماعة هذا المرجع وذاك المرجع، لكنه لم يتخذ موقفاً تجاه أحد على هذا الأساس، ولا قاطع جماعة من الجماعات، أو حارب اتجاهاً من التوجهات، بل كان يتسامى على هذه

(١) المصدر السابق ج ٧٠ ص ١٢٤.

(٢) المصدر السابق، ج ٢ ص ١٠٧.

(٣) المصدر السابق ج ٧٤ ص ١٧٢.

الأمر ويأخذ موقع الأبوة والمحبة للجميع، لذا احترمه الجميع وتواصلوا معه وأحسوا بالخسارة لفقده.

ما كان يذكر عالماً من العلماء إلا بخير، ولا كان يرضى أن يستغاب أحد أو ينتقص من شأنه في مجلسه، بل ربيّ من حوله على الاحترام للجميع.

وهكذا يجب أن يكون عالم الدين خالياً من الأحقاد، بعيداً عن العداوات والنزاعات، يفيض محبة، ويكرّس حالة الوحدة والألفة في المجتمع.

لقد عانى مجتمعنا كثيراً من الخلافات والصراعات في الوسط الديني، حيث يتشدد كل طرف في مواقفه، ويتشجّع على الأطراف الأخرى، ويأخذ لنفسه دور الوصاية والمحاسبة للآخرين، على آرائهم ومواقفهم وتوجهاتهم، فالدين والحق ما يراه هو فقط، أما الآخرون فيحكم عليهم بالضلال والفسق والانحراف.

وهكذا تمزق المجتمع، وقلّت المصداقية والثقة لعلماء الدين في نفوس الناس. إننا بحاجة ماسّة إلى تجاوز هذه الحالات، والتركيز على التحديات الخطيرة التي يواجهها ديننا ومجتمعنا، والتعاون في القضايا المشتركة، وهي أكثر وأهم من مسائل الاختلافات الجزئية الجانبية.

ولنستثمر هذا الزخم المعنوي الاجتماعي، الذي أحدثه فقد الشيخ الراحل، وهذا الاجتماع الحاشد الذي شارك فيه الجميع، من أجل تعميق حالة الوحدة والتآلف في المجتمع.

ولتكن أخلاقه الطيبة وسيرته العطرة قدوة للمؤمنين، وخاصة لأبناء صنفه من العلماء، وطلاب العلوم الدينية.



# شهر رمضان والانفتاح على الذات

كلمة الجمعة بتاريخ ٩ رمضان ١٤٢٠ هـ





لو تأمل كل إنسان في ذاته، واستقرأ حياته وأوضاعه، لوجد أن له أفكاراً يتبناها، وصفات نفسية وشخصية يحملها، وسلوكاً معيناً يمارسه، وأنه يعيش ضمن وضع وقالب يؤطر حياته الشخصية والاجتماعية.

والسؤال الذي يجب أن يطرحه الإنسان على نفسه هو: هل أنه راضٍ عن الحالة التي يعيشها؟ وهل يعتبر نفسه ضمن الوضع الأفضل والأحسن؟ أم أنه يعاني من نقاط ضعف وثغرات؟ وهل أن ما يحمله من أفكار وصفات، وما يمارسه من سلوك، شيء مفروض عليه لا يمكن تغييره أو تجاوزه؟ أم أنه إنسان خلقه الله حرّاً ذا إرادة واختيار؟ إن هذه التساؤلات كامنة في نفس الإنسان، وتبحث عن فرصة للمكاشفة والتأمل، يتيحها الإنسان لنفسه، لينفتح على ذاته، وليسبر غورها، ويلامس خباياها وأعمقها.

ورغم حاجة الإنسان إلى هذه المكاشفة والمراجعة، إلا أن أكثر الناس لا يقفون مع ذاتهم وقفة تأمل وانفتاح: لأسباب أهمها ما يلي:

أولاً: الغرق في الانشغالات الحياتية العملية، وهي كثيرة، ما بين ما له قيمة وأهمية، وما بين ما هو تافه وثانوي.

ثانياً: وهو الأهم، أن وقفة الإنسان مع ذاته، تتطلب منه اتخاذ قرارات تغييرية بشأن نفسه، وهذا ما يتهرب منه الكثيرون، كما يتهرب البعض من إجراء فحوصات طبية

لجسده، خوفاً من اكتشاف أمراض تلزمه الامتناع عن بعض الأكلات، أو أخذ علاج معين.

### دعوة إلى مكاشفة الذات:

في تعاليم الإسلام دعوة مكثفة للانفتاح على الذات ومحاسبتها، بعيداً عن الاستغراق في الاهتمامات المادية، والانشغالات الحياتية، التي لا تنتهي. ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا»<sup>(١)</sup>. وعن الإمام علي عليه السلام: «ما أحق الإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله عنها شاغل، يحاسب فيها نفسه، فينظر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها»<sup>(٢)</sup>. إن لحظات التأمل ومكاشفة الذات، تتيح للإنسان فرصة تعرف أخطائه ونقاط ضعفه، وتدفعه لتطوير ذاته نحو الأفضل. يقول الإمام علي عليه السلام: «ثمره المحاسبة إصلاح النفس»<sup>(٣)</sup>.

ويقول عليه السلام: «من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر»<sup>(٤)</sup>. ولعل من أهداف قيام الليل، حيث ينتصب الإنسان خاشعاً أمام خالقه، وسط الظلام والسكون، إتاحة هذه الفرصة للإنسان. كذلك فإن عبادة الاعتكاف قد يكون من حكمتها هذا الغرض، والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد العبادة، لثلاثة أيام أو أكثر مع الصوم، بحيث لا يخرج من المسجد إلا لحاجة مشروعة.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٧٣.

(٢) الآمدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم ج ٢ ص ٢٤١ - الطبعة الأولى ١٩٨٧ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٢٣.

(٤) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - قصار الحكم ٢٠٨.

### شهر التأمل:

لا يوجد شهر آخر يماثل شهر رمضان، فهو خير شهر يقف فيه الإنسان مع نفسه متديراً متأملاً، ففيه «تضاعف الحسنات، وتمحى السيئات» كما روي عن رسول الله ﷺ، وفي هذا الشهر فرصة عمر كبرى للحصول على مغفرة الله «إن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم» كما في الحديث النبوي، وفي رواية أخرى: «من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فأبعده الله» وورد أيضاً عنه ﷺ: «فمن لم يغفر له في رمضان ففي أي شهر يغفر له»<sup>(١)</sup>.

وقد يغفل البعض عن أن حصول تلك النتائج هو بحاجة إلى توجه وسعي، فهذا الشهر ينبغي أن يشكل شهر مراجعة وتفكير وتأمل ومحاسبة للذات، إذ حينها يمتنع الإنسان في هذا الشهر الكريم عن الطعام والشراب، وبقية الشهوات التي يلتصق بها يومياً، فإنه يكون قد تخلص من تلك الانشادات، مما يعطيه فرصة للانتباه نحو ذاته ونفسه، وتأتي تلك الأجواء الروحية التي تحث عليها التعاليم الإسلامية، لتحسن من فرص الاستفادة من هذا الشهر الكريم، فصلاة الليل مثلاً فرصة حقيقية للخلوة مع الله، ولا ينبغي للمؤمن أن يفوت ساعات الليل في النوم، أو الارتباطات الاجتماعية، ويحرم نفسه من نصف ساعة ينفرد فيها مع ربه، بعد انتصاف الليل، وهو بداية وقت هذه الصلاة المستحبة العظيمة، وينبغي أن يخطط المؤمن لهذه الصلاة، حتى تؤتي بأفضل ثمارها ونتائجها، فيؤديها وهو في نشاط وقوة، وليس مجرد إسقاط واجب أو مستحب، بل يكون غرضه منها تحقيق أهدافها، قال عز وجل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٩].

وقال ﷺ: «إن العبد إذا تخلى بسيدته في جوف الليل المظلم وناجاه أثبت الله النور في قلبه.. ثم يقول جلا جلاله لملائكته: ملائكتي انظروا إلى عبدي فقد تخلى بي في جوف

(١) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ٤ ص ١٧٩ - ١٨٠.

الليل المظلم والبطالون لاهون والغافلون نيام اشهدوا أني غفرت له»<sup>(١)</sup>.  
 وقراءة القرآن الكريم التي ورد الحث عليها في هذا الشهر المبارك، فهو شهر القرآن  
 يقول تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٨٥] وفي الحديث  
 الشريف: «لكل شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان»، كما ورد أن «من تلا فيه آية كان  
 له مثل من ختم القرآن في غيره من الشهور».

هذه القراءة إنما تحدم توجه الإنسان للانفتاح على ذاته، ومكاشفتها وتلمس ثغراتها  
 وأخطائها، لكن ذلك مشروط بالتدبر في تلاوة القرآن، والاهتمام بفهم معانيه، والنظر في  
 مدى الالتزام بأوامر القرآن ونواهيها.

روي عن الإمام علي عليه السلام: «ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر»<sup>(٢)</sup>. «تدبروا آيات  
 القرآن واعتبروا به فإنه أبلغ العبر»<sup>(٣)</sup>.

إن البعض من الناس تعودوا أن يقرؤوا ختمات من القرآن في شهر رمضان، وهي  
 عادة جيدة، لكن ينبغي أن لا يكون الهدف طي الصفحات دون استفادة أو تمعن.  
 وإذا ما قرأ الإنسان آية من الذكر الحكيم، فينبغي أن يقف متسائلاً عن موقعه مما  
 تقوله تلك الآية، ليفسح لها المجال للتأثير في قلبه، وللتغيير في سلوكه، ورد عنه عليه السلام أنه  
 قال: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال:  
 تلاوة القرآن»<sup>(٤)</sup>.

وبذلك يعالج الإنسان أمراض نفسه وثغرات شخصيته، فالقرآن ﴿شِفَاءٌ لِّمَا فِي  
 الصُّدُورِ﴾.

والأدعية المأثورة في شهر رمضان، كدعاء الافتتاح، ودعاء السحر، وأدعية الأيام

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٠ ص ١٢٠.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٨٩ ص ٢١١.

(٣) الأمدي التميمي: عبد الواحد غرر الحكم ودرر الكلم.

(٤) الهندي: علي المتقي: كنز العمال ج ١ ص ٤٤٥ خبر رقم ٢٤٤١.

والليالي، كلها كنوز تربوية روحية، تبعث في الإنسان روح الجرأة على مصارحة ذاته، ومكاشفة نفسه، وتشحذ همته وإرادته، للتغير والتطوير والتوبة عن الذنوب والأخطاء. كما تؤكد في نفسه عظمة الخالق وخطورة المصير، وتجعله أمام حقائق وجوده وواقعه دون حجاب.

وحينما يقرأ الإنسان دعاءً كدعاء السحر، الذي رواه أبو حمزة الثمالي رضي الله عنه عن الإمام زين العابدين عليه السلام، فإن عليه أن يعتبر فقرات الدعاء تعبيراً عما في نفسه هو، لا أن يقرأه كخطاب من شخص آخر لربه.

### مجالات التأمل الذاتي:

إن حاجة الإنسان إلى التأمل والمراجعة لها أهمية قصوى في أبعاد ثلاثة:

#### البعد الأول: المراجعة الفكرية:

أن يراجع الإنسان أفكاره وقناعاته، ويتساءل عن مقدار الحق والصواب فيها، ولو أن الناس جميعاً راجعوا أفكارهم وانتماءاتهم، لربما استطاعوا أن يغيروا الأخطاء والانحرافات فيها، غير أن لسان حال الكثير من الناس ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ وليكن الإنسان حراً مع نفسه، قوياً في ذاته. إذا ما اكتشف أنه على خطأ ما، فلا يتهيب أو يتردد من التغيير والتصحيح.

#### البعد الثاني: المراجعة النفسية:

أن يراجع الإنسان الصفات النفسية التي تنطوي عليها شخصيته، فهل هو جبان أم شجاع؟ جريء أم متردد؟ حازم أم لين؟ صادق أم كاذب؟ صريح أم ملتو؟ كسول أم نشيط؟.. الخ. وليطرح الإنسان على نفسه عدداً من الأسئلة التي تكشف عن هذا البعد، مثل: ماذا سأفعل لو قصدني فقير في بيتي؟ ماذا سأفعل لو عبث الأطفال بأثاث المنزل؟ ماذا سأفعل لو حدث أمامي حادث سير؟ وكيف سيكون ردّ فعلي لو أسيء إليّ في مكان

عام؟ وكيف أقرر لو تعارضت مصلحتي الشخصية مع المبدأ أو المصلحة العامة؟  
وتأتي أهمية هذه المراجعة في أن الإنسان ينبغي أن يقرر بعدها أن يصلح كل خلل  
نفسي عنده، وأن يعمل على تطوير نفسه، وتقديمها خطوات إلى الأمام.

### البعد الثالث: المراجعة الاجتماعية والسلوكية:

أن يراجع الإنسان سلوكه وتصرفاته مع الآخرين، بدءاً من زوجته وأطفاله،  
وانتهاءً بخدمه وعماله، مروراً بأرحامه وأصدقائه، وسائر الناس، ممن يتعامل معهم أو  
يرتبط بهم.

وهذا الشهر الكريم هو خير مناسبة للارتقاء بالأداء الاجتماعي للمؤمن، ولتصفية  
كل الخلافات الاجتماعية، والعقد الشخصية، بين الإنسان والآخرين، وقد حثت  
الروايات الكثيرة على ذلك، إلى حد أن بعض الروايات تصرّح: بأن مغفرة الله وعفوه  
عن الإنسان يبقى مجمداً فترة طويلة، حتى يزيل ما بينه وبين الآخرين من خلاف وتباعد،  
حتى وإن كانوا هم المخطئين في حقه، ففي حديث عن الإمام الرضا عليه السلام: « في أول ليلة  
من شهر رمضان يغل المردة من الشياطين ويغفر في كل ليلة سبعين ألفاً، فإذا كان في ليلة  
القدر غفر الله بمثل ما غفر في رجب وشعبان وشهر رمضان إلى ذلك اليوم إلا رجل بينه  
وبين أخيه شحنة، فيقول عز وجل « انظروا هؤلاء حتى يصطلحوا »<sup>(١)</sup> وحتى لو كان  
أحدهما ظالماً والآخر مظلوماً فإنهما معاً يتحملان إثم الهجران والقطيعة، إذ المظلوم منهما  
يتمكن من أن يبادر لأخيه بالتنازل وإزالة الخلاف، ففي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام:  
« ما من مؤمنين اختلفا فوق ثلاث إلا برئت منهما في الثالثة فليل له: يا بن رسول الله:  
هذا حال الظالم فما بال المظلوم؟ فقال عليه السلام: وما بال المظلوم لا يصير إلى الظالم فيقول: أنا  
الظالم حتى يصطلحا »<sup>(٢)</sup>.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٢ ص ١٨٨.

(٢) المصدر السابق.

فما أوضحها من دعوة للمصالحة الاجتماعية، وما أعظمها من نتيجة لو تحققت خلال هذا الشهر الكريم، وما أكبر منزلة تلك القلوب التي تستطيع أن تتسامى على خلافاتها، وتتصالح في شهر الله، من أجل الحصول على غفران الله؟ من هنا يحتاج الإنسان حقاً إلى قلب طاهر متزكي، ونية خير صادقة، كما قال ﷺ: « فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة ».

من جانب آخر فقد تسيطر على الإنسان بعض العادات والسلوكيات الخاطئة، ومهما كان عمقها في نفس الإنسان، والتصاقه بها، فإن الإرادة أقوى من العادة، وشهر رمضان أفضل فرصة لنفض وترك العادات السيئة الخاطئة.

فهنيئاً لمن يستفيد من أجواء هذا الشهر المبارك في الانفتاح على ذاته، وإصلاح أخطائه وعيوبه، وسد النواقص والثغرات في شخصيته، فيراجع أفكاره وآراءه، ويدرسها بموضوعية، ويتأمل صفاته النفسية ليرى نقاط القوة والضعف فيها، ويتفحص سلوكه الاجتماعي، من أجل بناء علاقات أفضل مع المحيطين به.

وبهذه المراجعة والتراجع عن الأخطاء، يتحقق غفران الله تعالى للإنسان في شهر رمضان، أما إذا بقي الإنسان مسترسلاً سادراً في وضعه وحالته، فإنه سيفوت على نفسه هذه الفرصة العظيمة، وسيتهيئ شهر رمضان، دون أن يترك بصمات التأثير في شخصيته وسلوكه، وبالتالي فقد حرم نفسه من غفران الله تعالى، ويصدق عليه ما قاله الرسول ﷺ: « إن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم ».

وحقاً أن من لا يستفيد من هذه الفرصة ولا يستثمر هذه الأجواء الطيبة يكون

شقياً.





# حلم الإمام الحسن نهج للتسامح الاجتماعي

كلمة الجمعة بتاريخ ١٦ رمضان ١٤٢٠هـ



من أبرز صفات الإمام الحسن عليه السلام التي عرف بها صفة الحلم، حيث اشتهر عنه أنه (حليم أهل البيت)، روى المدائني عن جويرية بن أسماء قال: لما مات الحسن أخرجوا جنازته فحمل مروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين: تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ؟ قال مروان: نعم، كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال<sup>(١)</sup>.

وهذه الصفة في الحقيقة هي منهج للتعامل الاجتماعي، عمل الإمام على إرسائه في حياته، وعلى أتباعه ومحبيه أن يقتدوا به في هذا المنهج.

إننا يجب أن نقرأ حلم الإمام الحسن عليه السلام كمنهج في التسامح الاجتماعي، ونعمل على تأهيل المجتمع بهذه الصفة.

ولابد لنا أن نشير إلى أن أهل البيت عليهم السلام كلهم يتصفون بالحلم، إلا أن الظروف التي عاشها الإمام الحسن عليه السلام اقتضت وساعدت على بروز هذه الصفة في شخصيته بشكل أجلى وأوضح، فالإمام كان يواجه تشنجات واستفزازات من جهتين:

الجهة الأولى: خارجية، وتتمثل في معاوية بن أبي سفيان، وجبهة الشام، حيث سعى بكل جهده وقوته، وإمكانات سلطته وحكمه، إلى أن يشوّه سمعة الإمام الحسن،

---

(١) ابن أبي الحديد: عبد الحميد، شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٣ دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.

لعزله شعبياً، فعمل على إثارة الدعايات والإشاعات الكاذبة والمغرضة على الإمام الحسن عليه السلام، وعلى أبيه أمير المؤمنين، واستطاع نتيجةً لذلك أن يوجد تياراً في الشام يكره أهل البيت عليهم السلام، حتى لقد صدق بعضهم أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن يصلي!! ولقد كان معاوية يتعمد كثيراً أن يُسمع الحسن وفي حضوره بعض الاستفزازات، وكان بعض أتباعه والمقربين منه كمروان بن الحكم، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، يقومون بمثل هذا الدور.

**الجهة الثانية:** داخلية، حيث إن قرار الإمام بالصلح مع معاوية، الذي فرضته عليه الظروف، ورعاية مصلحة الأمة، أثار مشاعر بعض المحيطين بالإمام، ونظروا إلى الصلح على أنه موقف ذل وخنوع واستسلام، فراحوا يوجهون لومهم العنيف، وعتابهم الشديد، وبعبارات مسيئة وغير لائقة.

فهذا حجر بن عدي الصحابي الجليل يخاطبه قائلاً: «أما والله لوددت أنك مت في ذلك اليوم ومتنا معك». وعدي بن حاتم يقول: «أخرجتنا من العدل إلى الجور». وبشير الهمداني وسليمان بن صرد الخزاعي يدخل كل منهما عليه هاتفاً: «السلام عليك يا مذل المؤمنين». وخاطبه بعض أصحابه قائلاً: «يا بن رسول الله أذلت رقابنا بتسليمك الأمر إلى هذا الطاغية»<sup>(١)</sup>.

وجاء في (الإصابة): «كان أصحاب الحسن يقولون له: يا عار أمير المؤمنين. فيقول: العار خير من النار»<sup>(٢)</sup>.

ومثل هذه الكلمات لا شك أنها تستفز الإنسان، وتؤجج غيظه، لكن الإمام الحسن واجهها بحلم وأناة بالغين، واستطاع بذلك امتصاص الآثار والنتائج السلبية، التي يمكن أن تتمخض عنها... لقد كانت جبهة الإمام الحسن بحاجة إلى التماسك والتلاحم، فهناك

(١) القرشي: باقر شريف، حياة الإمام الحسن ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٨٢، دار الكتب العلمية - قم.

(٢) العسقلاني: ابن حجر، الإصابة ج ٢ ص ٧٢ الطبعة الأولى ١٩٩٢م دار الجيل - بيروت.

شروط على معاوية أن ينفذها، لكنه إذا رأى جبهة الإمام متشعبة مختلفة، ومكانة الإمام مهزوزة في وسط جماعته، فإن ذلك سيشجعه أكثر على تجاهل تلك الاتفاقات، وهو لم يكن في الأساس عازماً على الوفاء بها.

### الحلم لغة واصطلاحاً:

مصدر حَلَمَ فلان أي صار حليماً، قال ابن فارس: الحِلْم: خلاف الطيش، وقال الجوهري: الحِلْم: الأناة، ويقال: حَلَمَ الرجل في منامه يَحْلُمُ حُلْماً، إذا رأى رؤيا، وحَلَمَ يَحْلُمُ حِلْماً تَأْنِيً وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة.

واصطلاحاً: هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب، كما يقول الراغب<sup>(١)</sup>. قيل للإمام الحسن عليه السلام: ما الحلم؟ قال: «كظم الغيظ وملك النفس»<sup>(٢)</sup>، أي أن يسيطر الإنسان على نفسه، حينما يواجهه الآخر بتصرف مستفز، ذلك أن غريزة الغضب تتحرك عنده، لتحميه من الاستفزاز الموجه إليه.

ولكن الحلیم هو من يتحكم في توجيه هذه الغريزة، ولا يستخدمها إلا في ظرفها المناسب، لأن إتاحة الفرصة لهذه الغريزة أن تنفجر على شكل تصرف غاضب، قد يضر الإنسان بدلاً من أن يفيده.

وكم من مظلوم تصرف طائشاً، وتحول بسبب ذلك التصرف إلى ظالم مدان، فأعطى الفرصة لعدوه، يقول الإمام علي عليه السلام: «الغضب شر إن أطلقته دمر»<sup>(٣)</sup>.

إن الغضب في الحقيقة هو نتيجة استشارة خارجية، يستقبلها الإنسان، فتحفزه على اتخاذ رد فعل غاضب.

(١) مجموعة من المختصين: موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ص ١٧٣٥ الجزء الخامس، الطبعة الأولى ١٩٩٨م دار الوسيلة، جدة.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٠٢.

(٣) الآمدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم.

وللتحكم في هذه الغريزة، ولتوجيهها التوجيه المناسب، تنصح التوجيهات الإسلامية بذكر الله تعالى، ففي الحديث القدسي «يا بن آدم اذكرني حين تغضب»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «يا علي لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد، وحلمه عنهم، وإذا قيل لك اتق الله، فانبد غضبك، وراجع حلمك»<sup>(٢)</sup>.

وليس أروع من أن يداوي الإنسان ثورة غضبه، بلجؤه إلى العبادة، فصلاة ركعتين قربة إلى الله تعالى بإخلاص وخشوع لاشك أنها ستقل الإنسان إلى الاتصال بعالم الكمال والروحانية، حيث يستلهم الإنسان من خالقه فيوضات رحمته، وألطف كرامته.

كما تنصح بعض الروايات بالانتقال من حال إلى حالة أخرى عند الغضب. عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»<sup>(٣)</sup>.

والهدف من ذلك، هو تفريغ شحنات الغضب في حركة لا ضرر فيها. وفي حديث عن الرسول ﷺ أنه ينصح بالوضوء، قال ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»<sup>(٤)</sup>.

### أضرار حالة الانفعال والتشنج:

تسود البعض من الناس حالة من التشنج والانفعال السريع، لأنفه الأسباب، كما يفسح المجال لفورة غضبه أن تأخذ مداها العنيف، وهذه الحالة سيئة ومضرة، وأهم نتائجها السيئة أمران:

أولاً: الأضرار الصحية، حيث تشير التقارير الطبية، إلى أن الغضب والانفعال،

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج ٢ ص ٣٠٤.

(٢) ابن شعبة الحراني: الحسن بن علي، تحف العقول ص ١٨.

(٣) السجستاني: أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود ج ٢ ص ٦٦٤ حديث رقم ٤٧٨٢.

(٤) المصدر السابق حديث رقم ٤٧٨٤.

يعتبر سبباً لأمراض السكري، وضغط الدم، وأمراض القلب، ولهذا فإن أهم ما يوصي به الأطباء هؤلاء المرضى، هو السيطرة على النفس، وعدم الانفعال.

ثانياً: إضعاف حالة التماسك الاجتماعي، حيث ينشغل أفراد المجتمع بمشاكلهم الجزئية والثانوية، التي تذكىها حالة التشنج، وفي غمرة كل ذلك تتلاشى الأهداف والطموحات الكبيرة، التي كان ينبغي أن ينشغل الكل بها، فيتأخر تحقيق المجتمع للأهداف والمصالح العامة، بسبب الانشغال بالخلافات الهامشية.

### الحلم منهج اجتماعي:

تارة يكون الحديث عن الحلم باعتباره صفة فردية حميدة، وتارة يبحث الحلم كحالة اجتماعية عامة، بين آحاد أفراد المجتمع، وبين التكتلات والتجمعات فيه.

إذ من الواضح أن في كل مجتمع تقسيمات اجتماعية متفاوتة، مناطقية وسكنية، أو عشائرية وقبلية، أو فكرية ومذهبية، أو انتماءات سياسية، وما أشبه.

والسؤال: كيف يجب أن تكون العلاقة بين كل مجموعة وأخرى؟

إن شيوع حالة التشنج والغضب يؤثر على علاقة هذه الانتماءات، فتقاطع كل فئة الأخرى، أو توجه بعضاً من جهودها للمناوأة والتخريب على الجهة الأخرى.

أما إذا ساد الحلم، وشاع التسامح بين التجمعات والتوجهات، تحول الحلم حينئذٍ إلى منهج اجتماعي عام، وأتى ثماره في تحقيق وحدة المجتمع وانسجامه، وتوجه جهوده وطاقاته نحو الأهداف الكبيرة، والتحديات الخطيرة.

ومن الملاحظ أن الخلافات والصراعات بين الجماعات، عادة تحدث بسبب تصرفات فردية متشنجة، لدى هذا الطرف أو ذاك، فيتعامل معها الطرف الآخر بنظره تعميمية، ويتخذ ردّ فعل على أساسها.

## كيف نتعامل مع التشنجات الفتوية؟

أولاً: عدم تعميم الإساءة، ومحاسبة الجماعة بكاملها عليها.  
 ثانياً: بث روح التسامح والإغضاء عن الإساءات التي قد تصدر من هذه ضد تلك وبالعكس، حيث ينبغي أن يتصف أفراد وقادة الجماعات بالحلم، لأن تلك الإساءة قد تكون نتيجة لسوء فهم أو التباس، أو لأن جهة ما تريد أن تخلق مشكلة بين الطرفين.  
 ثالثاً: عدم رفع وتيرة الاختلاف الفكري والثقافي إلى مستوى الخلاف والنزاع. ونشر ثقافة التعددية والقبول بالرأي الآخر.

إن تضخيم الخلاف حول بعض القضايا الجانبية، كثبوت هلال شهر رمضان أو العيد، أو اختيار مرجع تقليد، أو تبني هذه الفكرة أو تلك، واعتبار مثل هذه القضايا الجزئية حدوداً فاصلة بين الإيمان والكفر، والعدالة والفسق، أمر خاطئ ناشئ من الجهل أو سوء الخلق.

## نهج الإمام الحسن:

لقد كان الحلم منهجاً سلوكياً، ومعلماً بارزاً، في حياة الإمام الحسن عليه السلام، وكان يتعامل به في مقابل الاستفزازات الفردية العادية، ومع ذوي التوجهات المخالفة له، والمختلفة معه، وكشاهد على المنحى الأول: يروى أنه كانت عنده عليه السلام شاة فوجدها يوماً قد كسرت رجلها، فقال لغلامه: من فعل هذا بها؟ قال الغلام: أنا. قال الإمام: لم ذلك؟ قال الغلام: لأجلب لك الهمّ والغمّ.

فتبسّم عليه السلام، وقال له: لأسرك، فأعتقه وأجزل له في العطاء<sup>(١)</sup>.

وضمن المنحى الثاني، ينقل المؤرخون: أنه اجتاز على الإمام شخص من أهل الشام، ممن غذّاهم معاوية بالكراهية والحقد على آل البيت، فجعل يكيّل للإمام السب

(١) القرشي: باقر شريف، حياة الإمام الحسن ج ١ ص ٢١٤.



والشتم، والإمام ساكت لم يرد عليه شيئاً من مقالته، وبعد فراغه التفت للإمام فخاطبه بناعم القول، وقابله ببسات فياضة بالبشر، قائلاً:

«أيها الشيخ: أظنك غريباً؟ لو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أطعمناك، وإن كنت محتاجاً أغنياك، وإن كنت طريداً آويناك» وما زال ﷺ يلاطف الشامي بهذا ومثله ليقلع روح العداة والشر من نفسه حتى ذهل ولم يطق ردّ الكلام، وبقي حائراً خجلاً كيف يعتذر للإمام وكيف يمحو الذنب عنه! وطفق يقول: «اللّه أعلم حيث يجعل رسالته»<sup>(١)</sup>.

إن مما يساعد على اتخاذ الموقف الحليم فهم الطرف المقابل ومعرفة الظرف النفسي والفكري الذي يحيط به، فإذا فهمت أنه مضلل، أو معبأ، وأنه هو الآخر ضحية لعدو واحد، كنتَ أقدرَ على السيطرة على الموقف، وتحويله لصالحك، لا لصالح عدوكما.

ولهذا فإن العاقل هو الذي يملك الحلم، يقول علي ﷺ: «بوفور العقل يتوفر الحلم»<sup>(٢)</sup> ويقول: «عليك بالحلم فإنه ثمرة العلم»<sup>(٣)</sup> ويقول الرسول الأكرم ﷺ: «والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم»<sup>(٤)</sup>، فالعالم هو الذي ينبغي أن يتحلّى بالحلم، لأنه يتفهم سلبيات الجاهلين، ودوافع أخطائهم.

ويحدث أحياناً أن يفد على المجتمع أفراد من مجتمعات أخرى، يحملون معلومات وأفكاراً مضللة حول المجتمع وأفكاره وعقائده.

فإذا كان الشخص المقابل لهم واعياً، يعرف أنهم بسطاء ومضللون، فإنه يستوعب أولاً الصدمة التي يحدثها كلامهم، ثم يبدأ في تغيير تلك الصورة المشوهة، ويعطي للوافد بأخلاقه وسلوكه مثلاً حياً على خطأ تصورات السابقة.

(١) المصدر السابق ص ٣١٤-٣١٥.

(٢) الأمدى التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢ ص ٤٦.

أما إذا كان من يقابله شخصية متشنجة، فسوف يستفزها ذلك الكلام لترد عليه بكلام أقسى وباتهامات ونعوت مضادة، وهذا الأسلوب غالباً ما يؤدي إلى تأكيد التصورات الخاطئة عن المجتمع.

ومن المثير للدهشة والعجب أحياناً، أن يعتبر هؤلاء الأشخاص تصرفاتهم المتشنجة تلك بطولات وإنجازات، تستحق الذكر والإشادة، فترى بعضهم يحدثك عنها وكأنه انتصر على عدو، وهو لا يعلم أنه بذلك أكد هزيمته.

ففي الحديث عن الرسول ﷺ: « ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »<sup>(١)</sup>.

وفي ذكرى الإمام الحسن عليه السلام ما أحوجنا إلى قراءة سيرته العطرة، والتزام خطه الرسالي، والأخذ بمنهجه في التسامح الاجتماعي، لتسود أجواءنا المحبة والوئام، ولنتوجه لمواجهة الأعداء والأخطار صفاً كالبنيان المرصوص.

(١) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ٧ ص ٢٣٤.

# ليلة القدر: قرارات التحول والتغيير

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٣ رمضان ١٤٢٠ هـ



يصف الله تعالى ليلة القدر بأنها ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ وأنها ليلة التقدير ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ حيث تتقرر الأحداث والأقدار والقضايا المصيرية، التي ترتبط بالإنسان والحياة، في هذه الليلة، من قبل الله تعالى.

فعن ابن عباس «أن الله يقدر ما يكون في كل تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية»<sup>(١)</sup>، وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «ليلة القدر يقدر الله عز وجل فيها ما يكون من السنة إلى السنة، من حياة أو موت أو خير أو شر أو رزق»<sup>(٢)</sup>.

فليلة القدر إذاً ليلة التقدير الإلهي، لما يجري على الناس في سنتهم القادمة، وليلة القرارات الإلهية الكبيرة، فلتكن - إذن - هذه الليلة ليلة القرارات الحاسمة عند الإنسان. فكم يكون التوافق مباركاً، وذا قيمة عظيمة، أن يوقت الإنسان لنفسه، اتخاذ قراراته المصيرية والرئيسية، في تلك الليلة المباركة، التي جعلها الله سبحانه وتعالى موعداً وميقاناً لقدره الذي يقدره على الناس.

ثم تأتي الأجواء الروحية العظيمة التي تكتنف هذه الليلة، لتزيد من حظوظ الإنسان في اتخاذ قرارات مصيرية صائبة موفقة.

(١) الفخر الرازي: التفسير الكبير ج ٣٢ ص ٢٨ الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) الحويزي، تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٣٠ الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ مؤسسة إسماعيليان، قم.

وليس من شك أن دائرة قرارات الإنسان في هذه الليلة المباركة، ينبغي أن تتسع بحيث تشمل كل ما له دور وتأثير في استقامته وصلاحه، وأن تشمل طموحات الإنسان الدنيوية والأخروية، فيضع لنفسه مخططاً وبرنامجاً عملياً وسلوكياً يسير عليه في سنته القادمة.. ثم يعاهد الله في تلك الليلة، بل وفي ليالي القدر المحتملة كلها، على أن يستمر في تطبيق ذلك البرنامج، ويطلب من الله المدد والعون، وأن يجعل قضاءه وقدره جل وعلا موافقاً لأمنيته وطموحاته الخيرة.

### فلسفة الاستغفار:

إن واحداً من أهم الأعمال في هذه الليلة هو الاستغفار، فقد ورد في مستحباتها أن يستغفر الله سبعين مرة.

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدعاء، فأما الدعاء فيدفع البلاء عنكم، وأما الاستغفار فتمحى به ذنوبكم»<sup>(١)</sup>، ويندد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بمن يجرم نفسه من الحصول على مغفرة الله في هذا الشهر العظيم بقوله صلى الله عليه وآله: «الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم»، ويقول صلى الله عليه وآله: «من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فأبعده الله»، وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «من لم يغفر له في شهر رمضان ففي أي شهر يغفر له».

وليس رمضان سوى مدرسة روحية، ودورة تربوية يتخرج فيها الإنسان وقد تخلق بخصال الخير والصلاح، ليمارسها في بقية سنته، من هنا فإن التوجيهات الإسلامية بضرورة كثرة الاستغفار، تؤكد أهمية ذلك في كل حياة الإنسان..

يقول الرسول صلى الله عليه وآله: «أكثرُوا من الاستغفار فإن الله عز وجل لم يعلمكم الاستغفار

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة ج ١٠، ص ٣٠٤، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت.

إلا وهو يريد أن يغفر لكم»<sup>(١)</sup> وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ يتوب إلى الله في كل يوم سبعين مرة من غير ذنب»<sup>(٢)</sup>.

إن الاستغفار الحقيقي ليس هو مجرد قول: «أستغفر الله» وتحريك اللسان بهذه الألفاظ، بل إن هذه الألفاظ ينبغي أن تكون شعاراً ظاهراً، لقرار عميق الجذور في نفس المستغفر.

إن مصداقية الاستغفار - في الحقيقة - مرهونة باهتمامه على خطوتين رئيسيتين مهمتين:

الأولى: اكتشاف الخطأ، والإقرار بوجوده، وأنه خطأ لا يجوز الاستمرار عليه.

الثانية: التصميم على الإقلاع عنه والتخلص منه.

فإذا ما عرفت الخطأ وشخصته، ثم صممت على تجاوزه والإقلاع عنه، فتعلن حينئذ عن قرارك القلبي ذلك، بلسانك وتقول: «أستغفر الله ربي وأتوب إليه».

إن الاستغفار بهذا المعنى يتحول من ذكر مجرد، إلى نقلة نوعية نحو واقع أفضل وأصوب، ويصبح دواءً لأمراض الإنسان وعلله، يقول عليه السلام: «ألا أدلكم على داءكم ودوائكم؟ ألا إن داءكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار»<sup>(٣)</sup>.

ولو سألتنا رسول الله ﷺ: أي نوع من الاستغفار هذا الذي تصفه لنا دواءً يا رسول الله؟ لقال كما في الحديث عنه عليه السلام: «خير الاستغفار عند الله الإقلاع والندم»<sup>(٤)</sup>.

أما إذا كان الاستغفار مجرد تحريك اللسان، ولا يكشف عن أي تصميم داخلي للإقلاع عن الذنب، فإنه - والحال هذه - يتحول إلى ذنب يؤاخذ عليه الإنسان، وما أبلغ

(١) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ٧ ص ٢٤٧ حديث رقم ١٤٧٩٣.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٨٥ حديث رقم ٢١٠٤٧.

(٣) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ٧ ص ٢٤٨.

(٤) المصدر السابق ص ٢٥٥.

قول الإمام علي عليه السلام في الإشارة إلى هذه الحقيقة: «الاستغفار مع الإصرار ذنوب مجددة»<sup>(١)</sup> ذلك أن هذا الاستغفار عبارة عن وعد قولي قاطع، مع عزم داخلي على عدم الوفاء به، والله تعالى مطلع على ما في نفسك.

ويقول الإمام علي عليه السلام في كلمة رائعة: «من استغفر بلسانه ولم يندم بقلبه فقد استهزأ بنفسه»<sup>(٢)</sup>، ويقول عليه السلام في حديث آخر: «المستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزئ بربه»<sup>(٣)</sup>.

### قرار التحول والتغيير:

إن كل إنسان معرض للخطأ ولا ينجو من الوقوع فيه إلا من عصم الله، يقول تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة يوسف: الآية ٥٣] والتوفيق هو أن يتنبه الإنسان لنفسه أنه يسير على خطأ ما، أو أنه لم يتوفق بعد للوصول إلى كمال من الكمالات السامية، وهذه هي بداية التوفيق الإلهي، حيث هي نقطة التحول نحو الهداية. يقول عليه السلام: «إن كل بني آدم خطأ وخير الخطائين التوابون»<sup>(٤)</sup>.

وهنا يحتاج الإنسان أن يقوم بمكاشفة صريحة مع نفسه، من أجل تصحيح الخطأ، ويتساءل: كيف أتمكن من الإقلاع عن ذنوبي؟ وكيف أستطيع أن أغير أخطائي ونواقصي؟

وتزداد أهمية المكاشفة، وضخامة المهمة، كلما كان الخطأ قد تحول إلى عادة، ذلك لأن «العادة طبع ثان»، «وللعادة على كل إنسان سلطان»، وبذلك تتحول العادة إلى

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٥٦.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج ٢ ص ٥٠٤.

(٤) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ١، ٥٤١.



خصم غالب على الإنسان، «العادات قاهرات» كما في كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (١).

والاستغفار تصميم على تغيير السلوكيات الخاطئة، وإن تحولت إلى عادة ألفها الإنسان فترة طويلة.

ولعل في الأمر شيئاً من الصعوبة، ولكن ما أعطاه الله للإنسان من إرادة وعزم، وعقل وقدرة على الاختيار، كل ذلك يتيح للإنسان التغلب على نواقصه وأخطائه.

صحيح أن التوفيق الإلهي لا بد من حصوله حتى يتمكن الإنسان من التغيير، ولكن التوفيق تابع لإرادة الإنسان واختياره، فالذين يختارون الصلاح بإرادتهم أولاً يوفقهم الله للصلاح.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [سورة العنكبوت: الآية ٦٩]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [سورة محمد: الآية ١٧].

أما الذين لم يختاروا الهداية فإن الله لا يهديهم ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية: الآية ٢٣].

إن هداية الله للإنسان تعقب اختيار الإنسان لها.. كما لا يصح للإنسان أن يحتج بتحكم عاداته منه، لأن بإمكانه أن يستخدم سلاح الإرادة ضد عاداته.

لقد استخدم المسلمون الأوائل إراداتهم، وتخلصوا من الشرك، واعتنقوا الإسلام، رغم أن عادات الشرك كانت قد تحكمت فيهم، وأصبحت جزءاً لا ينفك من حياتهم.

وهؤلاء الذين يدخلون الإسلام حديثاً كيف يستطيعون أن يتخلصوا من عاداتهم المشابهة؟..

وقد نقلت جريدة الشرق الأوسط تقريراً عن خواطر بعض المسلمين الذين أسلموا

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ١٢٢.

حديثاً، وكان من بينهم السفير الألماني السابق الدكتور (مراد هوفمان) ذكر فيه: أنه كان مولعاً بشرب الخمر، وكان خبيراً بأنواعه المختلفة، وكان يتصور أن من الصعب عليه جداً أن يترك الخمر، وأنه لن يستطيع أن ينام جيداً دون جرعة من الخمر!! ولكنه حينما اقتنع بالإسلام والتزم بأوامره، تسلح بالإرادة وتغلب على تلك العادة الخاطئة المتأصلة في حياته<sup>(١)</sup>.

### قوة الدعاء:

والأدعية التي يقرؤها المؤمن في هذا الشهر الكريم ليست هي بذاتها - كما يظن البعض - العلة التامة لحصول المغفرة، بل إنها وسيلة لتذكير الإنسان، وصرخة لدفعه، وأرضية روحية تهيئه للتغيير والتحول، فإن كان ثمة خطأ يحتاج إلى التغيير فليكن قرارك الآن بتغييره.

فمثلاً: كيف تتعامل مع أداء الصلاة؟ هل تؤديها لوقتها أم تتساهل فيها؟

وهل تواظب على صلاة الجماعة أم لا؟

وإذا كنت مستطيعاً للحج ولم تحج فكيف يجب أن تصل إلى قرار بالحج؟

وماذا عن أداء الحقوق الشرعية كالخمس والزكاة؟ إذا كنت لم تحاسب نفسك لأداء الخمس فلتتخذ قرارك هذه الليالي، لتكون أموالك طاهرة، وأكلك وشربك حلالاً، وبيتك الذي تصلي فيه، وثياب صلاتك لتكون مباحة، فذلك شرط لصحة الصلاة، ولا يتم كل ذلك إذا لم تؤدِّ الحقوق الشرعية.

وفي الجانب السلوكي كيف تعاملت مع عائلتك؟ هل أنت قائم بواجباتك تجاه

والديك وزوجتك وأولادك؟ وأين هو مجال التقصير والنقص؟

وفي العلاقات الاجتماعية هل لديك عداء مع أحد؟ ولماذا تستمر في العداء مع

(١) الشرق الأوسط: ١٦، ١٢، ١٩٩٩م.

آخرين من أبناء مجتمعك؟

وحتى في العادات الشخصية كالتدخين، والعادات غير المناسبة صحياً أو اقتصادياً، عليك أن تتحلى بالشجاعة لاتخاذ قرارات التغيير والتحول تجاهها.

### صعوبة القرار:

إن تلاوة القرآن وقراءة الأدعية الماثورة، والوعي بقيمة الزمن المبارك قليلة القدر، كل ذلك يحفز إرادة الإنسان، ويستنهض شجاعته، ويستثير ثقته بنفسه، ليتخذ القرارات الصعبة التي يغيّر بها الخطأ من عاداته وممارساته.

كما أن للأجواء المحيطة بالإنسان إن كانت صالحة أثراً في مساعدته على التحول إلى الخير والصلاح. وعلى العكس من ذلك لو كان ضمن أجواء سلبية فاسدة.

فليكن قراره الأول هو مغادرتها والتخلص منها.

نرجو أن يوفق الله الجميع لاغتنام فرصة هذه الليالي المباركة لاتخاذ القرارات التغييرية نحو الأفضل، ولو اتخذ كل إنسان منا ولو قراراً واحداً صالحاً، والتزم به طوال السنة لأدركنا خيراً كثيراً.

إن البعض قد يقرر ولكنه يضعف ويتراجع عند التنفيذ، والبعض يلتزم بقراره لفترة ثم يتساهل ويميّع قراره، وهذا يكشف أنه لا يحترم نفسه، ولا يقدر التزاماته تجاهها.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: « من عمل عملاً من أعمال الخير فليدم عليه سنة ولا يقطعه دونها »<sup>(١)</sup>.

(١) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج ٧ ص ١٧.



## الخصومة في الدين: هل لها مبرر؟

كلمة الجمعة بتاريخ ٣٠ رمضان ١٤٢٠هـ



تعكّر الخصومات صفو حياة الأفراد، وتزوّر من اهتمامات المجتمع، وتزيّف من توجهاته.

حيث تستهلك الخصومة جانباً كبيراً من اهتمام الإنسان، وتستنزف الكثير من طاقته، فيصرف فيها جهداً، ويبدل من أجل تسجيل الانتصار فيها فكراً وأعصاباً، كان الأجدر به أن يوجهه للبناء والتنمية والرقي نحو الخير.. وكلما تخلصت المجتمعات من سطوة الخصومات، وأزمة النزاعات، استطاعت أن تركز جهودها من أجل تحقيق المصلحة الإيجابية العامة، والهدف الأكبر النبيل.

### أرضية الخصومة:

والخصومة قد يكون سببها الاعتداء على الحقوق، أو وهم الاعتداء.. فإذا ما اعتدى طرف ما على حقوق الآخرين، فإن ذلك سيخرض عندهم غريزة الدفاع عن النفس لردّ الاعتداء، والإسلام يؤكد أهمية احترام حقوق الآخرين، المادية والمعنوية، ويحرم بشدة أي اعتداء أو جور، وإذا ما حصلت إساءة أو اعتداء بين أبناء المجتمع، فإنه يشجع على العفو والتسامح ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى: الآية ٤٠]. ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٣٤].

وعنه ﷺ: «تعافوا تسقط الضغائن بينكم»<sup>(١)</sup>.

وتارة يكون سبب الخصومة مجرد الوهم بأن الطرف الآخر قد اعتدى، أو أنه ربما يقوم باعتداء في المستقبل، مما يدخل تحت عنوان سوء الظن بالآخرين، أو الشعور بالحسد من موقعيتهم، والغيرة على الذات منهم، يقول الإمام علي (عليه السلام): «سوء الظن يفسد الأمور ويبعث على الشرور»، «من غلب عليه سوء الظن لم يترك بينه وبين خليل صلحاً»<sup>(٢)</sup>. ويمكن تصنيف الخصومات والعداوات إلى نوعين:

- خصومات دينية.
  - خصومات مصلحة، لنزاع على مال أو موقع أو لذة.
- وقد حوت سجلات التاريخ أحداثاً داميةً جرت بسبب خلاف ديني عقائدي، وإن كان في الكثير من الأحيان يخفي تحته خلافاً مصلحياً مادياً، ويكون الدين مجرد واجهة أو عنواناً أو سلاحاً في المعركة.

### الخصومة في الدين:

هل في الدين ما يبرر الخصومة؟ وبعبارة أخرى، هل يجوز لمن يختلفون لأسباب دينية عقائدية أن يعبروا عن اختلافاتهم تلك بالحروب والمعارك؟ في الحقيقة إننا حينما نتبع أحكام الشريعة نجد أنه لا يوجد ما يبرر الخصومة في الدين على الإطلاق وذلك للأسباب التالية:

أولاً: إن الدين شأن قلبي، ولا يمكن إخضاع الناس لعقيدة ما، ما لم يقتنعوا بها. ولقد خلق الله الناس أحراراً ولم يجبرهم حتى على الإيذان به، ولم يخوّل حتى الأنبياء والرسول أن يفرضوا على الناس الإيذان ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾ [سورة الغاشية، الآية ٢١ - ٢٢].

(١) الهندي: على المتقي، كنز العمال ج ٣ ص ٣٧٣ حديث رقم ٧٠٠٤.

(٢) الآمدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم.



﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [سورة الكهف، الآية ٢٩].  
 ثانياً: إن الخيار الوحيد المتاح للإنسان من أجل إقناع الغير بما يعتقد به هو، ويراها صحيحاً، هو الحوار والمجادلة، أما العداوة والمخاصمة فإنها ليست عاجزة عن إقناع الطرف الآخر فحسب، بل ومن شأنها أن تحول به إلى عدو لدود، وعندما تنعكس المعادلة تنعكس النتيجة ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت، الآية ٢٤].

ويؤكد القرآن الكريم أن الجدل والنقاش مع أهل الكتاب، إما أن يكون بالتي هي أحسن، أو لا يكون أصلاً ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٤٦]. ويقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل، الآية ١٢٥].

ثالثاً: إذا جاز لك أن تعادي الناس وتحاصمهم لأنهم تمسكوا بقناعاتهم دون قناعتك، فإن ذلك يعني أن لهم نفس الحق في التعامل معك بالأسلوب نفسه، والحال أنك لا تقبل بذلك، وتود لو أن الناس يحترمون عقيدتك وقناعاتك، وما دمت كذلك فـ «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به».

يقول الإمام علي عليه السلام: «اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، أحبب لغيرك ما تحب لنفسك وكره له ما تكره لها».

وتأسيساً على هذه الحقائق، فإن الإسلام لم يشرع الجهاد والحرب مع الكفار إلا في حالة الدفاع، إذا ما قاموا بالاعتداء على المسلمين، أو في حالة صدهم وتوقيفهم لنشر الإسلام والدعوة إليه. وفي غير ذلك فإن الإسلام يدعو إلى حسن التعامل مع الآخرين، يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَنُقِسْتُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة المتحنة، الآية ٨].

### في الدائرة الإسلامية :

وإذا كانت الخصومة مع أصحاب الديانات الأخرى مرفوضة، فهي مع أصحاب المذاهب الأخرى في الدين الواحد أولى بالرفض..  
حيث ينطبق عنوان الإسلام على جميع المسلمين و « كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه ».

بل المطلوب من أصحاب كل مذهب أن يفتحوا على المذاهب الأخرى، وقد أدب أئمة أهل البيت عليهم السلام تلامذتهم على ذلك.

عن معاوية بن وهب قلت للإمام جعفر الصادق عليه السلام: « كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطاننا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟ قال: تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم، فتصنعون ما يصنعون، فوالله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنازتهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدون الأمانة إليهم»<sup>(١)</sup>.

والدائرة الأضيق ضمن الدائرة الإسلامية هي الدائرة المذهبية، حيث قد تتعدد المدارس والتوجهات ضمن المذهب الواحد، ففي المذهب الجعفري مثلاً هناك التمايز بين الأخباريين والأصوليين في مناهج الاستنباط، وهناك الاختلاف بين الشيخية وغيرهم في بعض الآراء المرتبطة بمقام أهل البيت عليهم السلام. ثم هناك الانتماءات السياسية والاجتماعية، وتعدد مراجع التقليد.

لكن هذا الاختلاف والتمايز، لا يصح أبداً أن يكون مبرراً للخصومة والعداء، بين أبناء المذهب الواحد، والدين الواحد.

إن المجتمع حينما يكون ملتزماً بالآداب الإسلامية، ومدركاً لضرر الخصومة عليه، وحينما يكون ناضجاً في تعامله مع تكاليفه الشرعية، فإنه سوف يحوّل كل مسألة مختلف عليها علمياً، إلى نقطة قوة تضاف إلى رصيده، لا عنصر تفجير وأزمة.

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٣٦.

وأمامنا نموذج الاختلاف في إثبات الهلال، وهي مسألة أضحت هذه الأيام مثار اهتمام الشعوب المسلمة كلها، حيث من الممكن جداً أن تعلن بعض الدول الإسلامية العيد في يوم، والدول الإسلامية الأخرى في يوم آخر.. وحتى داخل المذهب الواحد يمكن أن يختلف الرأي حول ثبوت الهلال أو عدم ثبوته.

فهل يصح أن يكون مثل هذا الاختلاف سبباً لخصومة أو نزاع داخل المجتمع؟

### نظرة فقهية :

ولكي نعالج الموضوع من زاويته الفقهية، لا بد لنا من ذكر مقدمة.. وهي أن المكلف أمامه خطاب تكليفي واضح، بالصوم في حالة عدم ثبوت هلال شوال، والإفطار في حالة ثبوته، وما لم يحصل له الاطمئنان بثبوت الهلال، فلا يجوز له الإفطار، بل عليه إكمال عدة الشهر ثلاثين يوماً. أما الاطمئنان فإنه يحصل بأحد الطرق الشرعية المذكورة في الكتب الفقهية، وهي أن يرى الهلال بنفسه، أو يشهد عادلان، أو يحصل شياخ وتواتر. وبما أن الحكم دائر مدار الاطمئنان عبر أحد الطرق المذكورة، فمن أيها حصل وجب على المكلف ترتيب الأثر عليه. وحيث إن أكثرية المكلفين لا يرون الهلال غالباً، كما أنه ليس من الميسور لكل أحد أن يستمع إلى شهادة عادلين برؤيته، وقد لا يحصل الشياخ في حالات كثيرة، لكل ذلك اعتاد الناس على الركون إلى رأي العلماء المتصدين لهذه القضية، الذين هم موضع ثقتهم واطمئنانهم، وإذا ما أثبتته عالم يُطمئن بالتزامه بالضوابط اللازمة، فإن الناس الوثائقين به يرتبون الأثر العملي على كلامه.. وهنا يجب التأكيد على قضيتين مهمتين جداً..

أولاً: حينما يرتب كل مكلف الأثر الشرعي الناشئ من اطمئنانه أو عدمه، فلا يجوز في حالة الاختلاف أن يعادي هذا ذلك أو العكس، لأن كلاً من الطرفين قد عمل بتكليفه الشرعي، والالتزام بالحكم الشرعي في مسألة، لا يجوز أن يكون سبباً للخصام، فلو استضاف إنسان شخصاً مسافراً في بيته، وصلى المسافر قصرأً، فلا يجوز لصاحب البيت أن يعاديه لذلك!! ولو اختلف جماعة في تحديد جهة القبلة، وصلى كل منهم إلى الجهة التي يعتقد أو يظن أنها القبلة، فلا يجوز أن يكون ذلك سبباً للخصومة. نعم، يمكن لكل منهم أن يبين سبب تمسكه بهذا الرأي دون ذلك، مع مراعاة أدب الحوار وفقه الاختلاف.

ثانياً: إن اعتماد الناس على آراء العلماء في إثبات الهلال أو عدمه، لأنهم أقدر على تطبيق الموازين الشرعية، غير أن ذلك لا يصح أن يكون دافعاً لتحويل عملية إثبات الهلال أو نفيه إلى حالة فتوية، تذهب فيه كل فئة إلى رأي العالم الذي تميل إليه، مع غض النظر عن أقوال بقية العلماء..

وهذا لا يمكن أن يتم، إلا إذا كان ذلك العالم هو الوحيد في نظرهم الذي يمكن أن يورث رأيه الاطمئنان، أما غيره من العلماء فلا قيمة لكلامهم.

إنه لا يصح تحويل هذه المسألة الشرعية إلى قضية فتوية، فإذا ما حصل الاطمئنان للمكلف بهلال شوال، من إثبات أي عالم موثوق لديه، فيجب عليه أن يرتب الأثر على ذلك، وإذا لم يحصل له الاطمئنان بثبوتته، فلا يرتب الأثر، ولو كان من أثبته مرجع تقليده، فليس هناك ارتباط بين مرجع التقليد والمكلف في هذه القضية الموضوعية، فقد يطمئن المكلف بأحد الطرق الشرعية فيفطر، بينما يكون مرجعه صائماً وبالعكس، اللهم إلا على مبنى نفوذ حكم الحاكم الشرعي إذا لم يعلم خطأ مستنده.

وإذا ما انطلق كل مكلف من التزامه الشرعي، فإنه يجب أن يقدر التزامات الآخرين أيضاً، ويحسن الظن بهم.

### عيد المحبة والصفاء:

المفروض أن نعمل جميعاً ليكون العيد مناسبة لنشر أجواء المحبة والصفاء، وتعميق المودة والإخاء، بين المؤمنين والمسلمين. لذا من المهم الالتفات إلى الأمور التالية:

١. الاهتمام بموضوع الاستهلال، فهو سنة ينبغي المواظبة عليها، فكلما ازداد عدد المستهلين، كانت فرص رؤية الهلال أكبر في الليلة المحتملة.

٢. أن يدلي من رأى الهلال بشهادته عند كل العلماء المتصددين في بلده، ولا يقتصر على الذهاب لبعضهم دون بعض، ليكون جميع العلماء المتصددين في جو متقارب، يساعد على وحدة الموقف.

٣. أن ندفع ونشجع باتجاه أن يلتقي العلماء المتصدون لإثبات الهلال مع بعضهم، ويتشاوروا فيما بينهم، لاتخاذ موقف موحد، يريح الناس من عناء الاختلاف.

٤. أن تحترم كل جهة رأي الجهة الأخرى عند الاختلاف في ثبوت الهلال، فمن أظفر أو صام فذلك تكليفه الشرعي بينه وبين ربه، ولا يصح اتهام النيات، ولا إساءة الظن، ولا الاعتداء على حقوق الآخرين، وتشويه سمعتهم، أو التهريج ضدهم.

٥. أن ننشر ثقافة التسامح، وتعاليم الإسلام في حسن العشرة، والتعامل مع الناس، وإن اختلفوا في أديانهم ومذاهبهم وآرائهم وانتفاءاتهم، فهناك أحاديث عديدة وردت عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام، تنهى عن الخصومة في الدين، ولا أدري لماذا نتجاهل هذه الأحايث ولا نتداولها مع حاجة الساحة إليها؟؟

فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «فلا تخاصموا الناس لدينكم فإن المخاصمة ممرضة

للقلب»<sup>(١)</sup>.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢ ص ١٣٣.

وعنه أيضاً عليه السلام: «إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل وتورث النفاق وتكسب الضغائن»<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن يقطين قال: قال أبو الحسن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «مر أصحابك أن يكفوا من ألسنتهم ويدعوا الخصومة في الدين ويجهدوا في عبادة الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الروايات إشارة إلى مضاعفات الخصومة في الدين، فهي:  
أ- تؤذي الإنسان نفسياً (ممرضة للقلب).

ب- تسبب الأحقاد والعداوات في المجتمع (تكسب الضغائن).

ج- تشغل الإنسان عن الاهتمام الحقيقية (تشغل القلب عن ذكر الله).

(١) المصدر السابق ص ١٢٨.

(٢) ابن بابويه القمي: الصدوق محمد بن علي، دار التوحيد ص ٤٦٠.

## التدين والتعقل

كلمة الجمعة بتاريخ ٧ شوال ١٤٢٠ هـ





تدور في أوساط بعض المتدينين، أفكار تخالف العقل والمنطق، هي أشبه بالأساطير والخرافات.. وينظر البعض منهم إلى الحياة والأشياء والأحداث نظرة ساذجة متخلفة.. كما تصدر من بعض الجهات الدينية ممارسات ومواقف سيئة شائنة.. والمؤلم في الأمر أن تلك الأفكار والنظرات والمواقف، تنسب إلى الدين، مما أوجد إشكالاً وتساؤلاً حول مدى التوافق والعلاقة بين الدين والعقل.. فهل يعني التدين تغييب العقل؟ وهل الدين بديل عن العقل؟

إن البعض من أولئك المتدينين، حينما تناقشهم حول آرائهم وأفكارهم وممارساتهم، على ضوء العقل والمنطق، يغلقون باب النقاش والحوار، على أساس أن قضايا الدين تعبدية، وأن دين الله لا يصاب بالعقول، فما هي حقيقة العلاقة بين الدين والعقل؟ وهل التدين يعني تجميد دور العقل وإلغائه؟

### **التلازم بين الدين والعقل:**

العقل نعمة كبرى مَيَّرَ اللهُ تعالى بها الإنسان على سائر المخلوقات، والدين رسالة وهدى إلهي، أنعم اللهُ تعالى به على الإنسان، فمصدر العقل والدين واحد، وهو اللهُ سبحانه وتعالى، وهما متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وإذا ما رأينا انفكاً وانفصالاً بين الدين والعقل، فيجب أن ندقق النظر، لنكتشف نقطة غموض واشتباه،

فيما اعتبرناه ديناً أو عقلاً، فالدين الصحيح لا يصادم العقل السليم. والعلاقة بين الدين والعقل، علاقة تكامل ودعم متبادل، حيث يرشد العقل إلى الدين، ويوجه الدين إلى العقل.

لذا تكرر في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة الآية ١٦٤].

والوحي الإلهي إنما يخاطب العقلاء، ويستنهض عقولهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الزخرف الآية ٢]، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة غافر الآية ٥٣-٥٤] أي ذوي العقول. ولو استقرأننا نصوص السنة النبوية، وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام، لوجدناها تؤكد التلازم الوثيق بين الدين والعقل.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «دين المرء عقله ومن لا عقل له لا دين له»<sup>(١)</sup>.  
وعنه صلى الله عليه وآله: «إنها يدرك الخير كله بالعقل ولا دين لمن لا عقل له»<sup>(٢)</sup>.  
وعن الإمام علي عليه السلام: «العقل رسول الحق»<sup>(٣)</sup> «أصل الإنسان لبه، وعقله دينه»<sup>(٤)</sup>.

وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول»<sup>(٥)</sup>.

(١) الهندي: على المتقي، كنز العمال ج ٣ ص ٣٧٩ رقم ٧٠٣٣ الطبعة الخامسة ١٩٨٥ م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٤ ص ١٤٣ الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) الأمدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم.

(٤) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ١ ص ٨٢.

(٥) المصدر السابق ص ١٣٧.

## التدين والتعقل:

وإذا كانت العلاقة بين الدين والعقل علاقة تلازم، لا انفصال فيها ولا انفكاك، فكيف نفسّر إذاً تلك الظواهر السيئة في حياة المتدينين؟

في الواقع إن بعض المتدينين يسيئون فهم الدين، ويجمدون عقولهم لجهلهم ولسوء فهمهم، ثم يحسبون أنفسهم وتصرفاتهم على الدين، وبذلك يضرّون أنفسهم، ويشوّهون الدين، وهذا ما حدّرت منه الأحاديث والنصوص الدينية، التي تؤكد أهمية التعقل في حياة الإنسان المتدين، وإلا فمن يتسبب إلى الدين، ويحمل شعاره وعنوانه، ويمارس عباداته وطقوسه، لكنه غير مستخدم لعقله، ولا مستثمر لفكره، فإن تدينه سيكون مبتوراً ناقصاً، بل مشوهاً قاتماً.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال صلى الله عليه وسلم: كيف عقله؟ قالوا: يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير، وتسالنا عن عقله؟! فقال صلى الله عليه وسلم: إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم<sup>(١)</sup>.

والحديث الشريف يفضح تصرفات بعض المتدينين الحمقى، الذين انعدم لديهم الوعي، وغاب العقل، فأصبحت ممارساتهم أسوأ من فجور الفاسقين، لأنها تشوّه صورة الدين، وسمعة المتدينين، وما يحصل الآن في الجزائر وأفغانستان وباكستان، من مذابح وفظائع واحتراب، يمارس باسم الدين، شاهد على ذلك.

وفي حديث آخر يحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاغترار بمظاهر التدين عند أي إنسان، إذا لم نتأكد من تعقله، لأن التعقل هو مقياس التدين، وميزان التقويم، يقول صلى الله عليه وسلم: «إذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله، فإنها يُجازى بعقله»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٨٤.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٦.

وتطبيقاً لهذا التوجيه النبويّ قال سليمان: قلت لأبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام):  
فلان من عبادته ودينه وفضله كذا وكذا. قال: فقال: كيف عقله؟ فقلت: لا أدري. فقال:  
إن الثواب على قدر العقل<sup>(١)</sup>.

إن مشكلة بعض المتدينين أنهم يجمعون الدين بحدود فهمهم الضعيف، وإدراكهم  
الساذج، ثم يعتبرون ما عداه كفراً وفسقاً، كما ينقل عن أحد المشايخ الذي كان يشرح  
لتلامذته عبارة فقهية تقول: إذا وقعت الفأرة في السمن فخرجت حيّة يبقى السمن طاهراً  
حلالاً. ومعنى العبارة أن الفأرة لم تمت في السمن، وإنما خرجت حيّة - أي على قيد الحياة  
- لكن الشيخ فسرها: أن الفأرة تخرج حيّة - أي ثعباناً، فناقشه أحد تلامذته: كيف تقع  
الفأرة في السمن ثم تخرج ثعباناً؟ وبدلاً من أن يتبّه الشيخ لخطئه، أصر على كلامه، وطرّد  
التلميذ من الدرس، متهماً إياه بالكفر والتشكيك في قدرة الله تعالى، أليس الله قادراً على  
أن يحوّل الفأرة إلى ثعبان؟! أن يحوّل الفأرة إلى ثعبان؟!!

### التعقل واتباع الزعامات الدينية:

تقوم بعض الزعامات الدينية بدور رئيس في تغييب حالة التعقل في الساحة  
الإسلامية، وتكريس حالة السطحية والتخلف على المستوى الديني، وذلك أما لمحدودية  
وعيها وفكرها، أو لأنها تستفيد من الوضع المتخلف، فتحافظ عليه، وتنميه بدافع  
مصلحي.

وهنا يحتاج التدين إلى التعقل في مسألة اتباع الزعامات، والقيادات الدينية  
والاجتماعية، فالمسلم ليس معذوراً في تسليم قياده، وأزمة أمور دينه، لأيّ أحد، ما لم  
يحرز عدالته واستقامته، وحتى العالم العادل، لا يصح اتباعه بعين مغمضة وثقة عمياء،  
ما دام ليس معصوماً، ومعرضاً للانحراف والخطأ.

(١) المصدر السابق ص ٨٤.

فلا بد من التفكير والتعقل في اختيار الجهة الدينية التي تتبعها، سأل ابن السكيت الكوفي (ع) الإمام علي بن موسى الرضا (ع): ما الحجة على الخلق اليوم؟ فأجاب الإمام (ع): العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدق، والكاذب على الله فيكذبه. فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب<sup>(١)</sup>.

وعالم الدين محكوم بمبادئ الدين، وضوابط العقل، فينبغي أن نقوم آراءه ومواقفه على ضوء ذلك، ولا يصح اتباعه وإطاعته فيما يخالف الدين، ويتنافى مع العقل. جاء في صحيح البخاري عن أبي عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب (ع) قال: بعث النبي (ص) سرية - فرقة صغيرة من الجيش - فاستعمل عليها رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي (ص) أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها. فقال: ادخلوها، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون: فررنا إلى النبي (ص) من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي (ص) فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف<sup>(٢)</sup>.

إن القرآن الحكيم يذم النصارى لأنهم قلدوا زعاماتهم الدينية تقليداً أعمى، واتبعوهم اتباعاً مطلقاً، دون أية ضوابط من دين أو عقل، فكأنهم بذلك يؤهلونهم ويعبدونهم من دون الله.

يقول تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة الآية ٣١]. قال عدي بن حاتم: قلت لرسول الله (ص): إنا لسنا نعبدكم، قال (ص): أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟ قال: قلت: بلى. قال:

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٥.

(٢) البخاري: محمد بن إسماعيل ج ٥ ص ٣٢٢ كتاب المغازي، رقم ٣٤٠ المكتبة الثقافية - بيروت.

فتلك عبادتهم<sup>(١)</sup>.

وعن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام أنها قالا: أما والله! ما صاموا لهم ولا صلوا، ولكنهم أحلوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون<sup>(٢)</sup>.

وحيثما قرر طلحة والزبير، وهما صحابييان معروفان عند المسلمين، ومعهما أم المؤمنين عائشة، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، مواجهة الخلافة الشرعية، المتمثلة في أمير المؤمنين علي عليه السلام، التبس الأمر على بعض المسلمين، فجاء الحارث بن حوط إلى الإمام علي عليه السلام قائلاً: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فأجابه الإمام: يَا حَارِثُ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتِكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرَّتْ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ<sup>(٣)</sup>.

إن بعض المتدينين قد تبهرهم شخصية عالم ما، وبيالغون في تقديسه، فيرسلون قوله إرسال المسلمات، دون وعي أو تفكير، وهذا خلاف توجيهات الدين. روي عن علي عليه السلام: «خذ الحكمة ممن أتاك بها، وانظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية جميلة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «خذوا الحق من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق، كونوا نقاد الكلام، فكم من ضلالة زخرت بأية من كتاب الله، كما زخرف الدرهم من نحاس بالفضة المموّهة، النظر إلى ذلك سواء، والبصراء به خبراء»<sup>(٥)</sup>.

(١) الطبرسي: الفضل بن الحسن، مجمع البيان ج ٥ ص ٤٣ الطبعة الأولى ١٩٩٥م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - قصار الحكم ٢٦٢.

(٤) الأمدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ج ١ ص ٣٥٥ الطبعة الأولى ١٩٨٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٥) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢ ص ٩٦ رقم ٣٩.

يا له من توجيه رائع يستنهض العقل لأداء دور النقد والتقويم، تجاه الآراء والأفكار «كونوا نقاد الكلام» ويحذّر الإنسان من أن ينطلي عليه التمويه والتدليس «فكم من ضلالة زخرفت بآية» وعلى الإنسان أن يتحلى بالبصيرة والوعي، ليكون خبيراً مميزاً بين الصحيح والخطأ، على ضوء مبادئ الدين والعقل.

### مرجعية العقل:

١. في المعتقدات الأساس للدين يكون العقل هو المرجع، وعبر النظر والفكر يتوصل الإنسان إلى الإيمان بأصول الدين، ويرى أكثر العلماء المحققين وجوب التزام العقيدة عن طريق العقل لا النقل والتقليد، بل ادّعى العلامة الحلي رحمته الله الإجماع على ذلك فقال: «أجمع العلماء على وجوب معرفة الله، وصفاته الثبوتية، وما يصح عليه، وما يمتنع عنه، والنبوة، والإمامة، والمعاد، بالدليل لا بالتقليد»<sup>(١)</sup>.

٢. في التشريع الإسلامي يستقل العقل بمرجعية قسم من الفروع والأحكام، يقول السيد محمد تقي الحكيم: «إن العقل مصدر الحجج وإليه تنتهي، فهو المرجع الوحيد في أصول الدين، وفي بعض الفروع التي لا يمكن للشارع المقدس أن يصدر حكمه فيها، كأوامر الإطاعة، وكالانقسامات اللاحقة للتكاليف، من قبيل العلم والجهل بها، أو اعتبار التقرب بها، إذا أُريد اعتبارها بجعل واحدٍ شرطاً للتكاليف، للزوم الدور أو التسلسل فيها، بداهة إن إطاعة أوامر الإطاعة مثلاً إما أن ترجع إلى العقل أو تتسلسل إلى غير النهاية، إذ لو كانت شرعية لتوجه السؤال عن لزوم إطاعتها، فإن كان شرعياً توجه السؤال عن لزوم إطاعته، وهكذا فلا بد أن يفترض فيها أن تكون عقلية، وما

(١) الأنصاري: الشيخ مرتضى، فرائد الأصول ج ١ ص ٣٨٢، الطبعة الأولى ١٩٩١ م - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

ورد من الأوامر الشرعية بالإطاعة، فإنما هو إرشاد وتأکید لحكم العقل، لا أنها أوامر تأسيسية»<sup>(١)</sup>.

٣. وبالعقل يفهم الإنسان سائر أوامر الدين، ويستنبطها من نصوصه ومصادر تشريعاته، فهو لا يستقل فيها بالتشريع، لأن المشرع هو الله سبحانه وتعالى، والوحي هو مصدر التشريع، لكن فهم كلام الوحي، ومعرفة مصاديقه، وموارد انطباقاته، وتشخيص موضوعاتها، يكون المرجع فيها إلى العقل. وهناك ضوابط نقحها وحققها العلماء في مناهج استنباط الأحكام الشرعية، تنظم عملية الاجتهاد لتحصيل الحكم الشرعي.

ويلخص الأستاذ المدرسي الدور المرجعي للعقل، ومدى تكامله مع الوحي، في بحثه القيم عن التشريع الإسلامي فيقول: «وظيفة العقل التعرف على الوحي، وفهمه، ومعرفة حملته ومعرفة كيفية تطبيقه على الحقائق الفرعية»<sup>(٢)</sup>.

(١) الحكيم: محمد تقي، الأصول العامة للفقهاء المقارن ص ٢٩٩ - ٣٠٠، الطبعة الثانية ١٩٧٩ دار الأندلس - بيروت.

(٢) المدرسي: السيد محمد تقي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده ج ١ ص ١٠ الطبعة الأولى ١٩٩١ م دار الرائد العربي - بيروت.



# ذوو الرأي ومسؤولية الحوار

كلمة الجمعة بتاريخ ١٤ شوال ١٤٢٠ هـ



لكي تتجاوز شعوبنا حالة التنافر السائدة في علاقات فئاتها وتجمعاتها مع بعضها البعض، وتصل إلى مستوى الانفتاح والتواصل والتعاون، لا بد من إطلاق عملية حوار مفتوح جاد، يستهدف التعرف المباشر من كل جهة إلى الأخرى، بدل الاعتماد على المعلومات غير الدقيقة، والشائعات والمواقف المسبقة، ويتوخى اكتشاف القواسم المشتركة، والتركيز على المصالح العليا للأمم، ومواجهة التحديات الخطيرة للمجتمع والوطن.

فبينما تفرض العولمة نفسها على الحياة، ويتحول العالم إلى قرية صغيرة واحدة، تتضاءل فيها تأثيرات الحدود الجغرافية والسياسية، لا يصح لنا أن نحافظ على هذه الحواجز والجدران المعززة بالعوازل، لكي تفصل بين أبناء هذه الأمة، تحت عناوين قومية أو مذهبية أو حزبية أو قبلية.

ومن اللافت للنظر، أن تكون خطوط الاتصال بين كل فئة منا والعالم، أكثر منها مع أبناء محيطها وشركائها في الدين والوطن.

والحوار بعد ذلك فريضة يلزمنا بها ديننا، الذي يأمرنا بالثبوت في أحكامنا وآرائنا، ومواقفنا تجاه الآخرين، فلا يصح لنا أن نكون صورة للآخر عن طريق الظنون والشائعات ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ

عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿سورة الإسراء الآية ٣٦﴾. ولا أن نستقي معلوماتنا عن بعضنا البعض من مصادر وجهات غير موثوقة، تزرع بيننا الفتن والعداوات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة الحجرات الآية ٦].

والمسلم الملتزم هو من يتقصد الاطلاع على وجهات النظر، ويسعى ليتعرف الآراء، بحثاً عن الحقيقة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر الآية ١٧-١٨].

وواضح أن استخدام صيغة ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ في الآية الكريمة بدل يسمعون، تشير إلى نوع من العناية والقصد.

ولكن.. من يطلق عملية الحوار؟ وعلى من تقع مسؤولية المبادرة إلى تفعيله؟ يبدو لي أن المفكرين وذوي الرأي من أبناء الأمة، هم الشريحة التي يجب أن تتحمل هذه المسؤولية، فلأنهم أصحاب رأي وفكر يفترض أن يكونوا أكثر إدراكاً وعمق التحديات التي تعيشها الأمة، وأقدر على إدارة الحوار بموضوعية وإخلاص. كما أن موقعيتهم تتيح لهم إمكانية التأثير في أوساط الفئات التي يتمتعون إليها، وتوجهات الرأي العام.

فلو بادر بعض ذوي الرأي من كل جهة، للانفتاح على أمثاله من الجهة الأخرى، ومناقشة موضوع العلاقات الداخلية بين الجهات والفئات، وكيفية تطهيرها في الإطار الإسلامي والوطني، لقطعت مجتمعاتنا شوطاً متقدماً، على طريق الوحدة والانسجام والتعاون، ولو فرّنا على أمتنا خسائر القطيعة والنزاع والاحتراب.

ونقصد بذوي الرأي أصحاب الكفاءة العلمية والفكرية، ممن يارسون دور التوجيه والتأثير في المجتمع كعلماء الدين، والمفكرين المتتجين، والقيادات الاجتماعية. إن تقاعس ذوي الرأي العُير على مصلحة الدين والوطن، عن المبادرات الإيجابية، وعن رفع الصوت عالياً بالدعوة إلى الانفتاح والحوار، هو الذي يفسح المجال، ويترك

الساحة فارغة، لأصوات دعاة الكراهية والمتطرفين، من الجهات المختلفة. ونتساءل هنا: لماذا تنعدم في الساحة - أو تقل - مبادرات ذوي الرأي في الانفتاح على بعضهم البعض، والتحاور من أجل رأب الصدع، والاهتمام بالمصلحة العامة، متجاوزين انتهااتهم الفكرية والاجتماعية؟ وفي الجواب عن هذا التساؤل يمكن القول: إن هناك مجموعة من الأسباب والعوامل، تضعف توجه ذوي الرأي، وتقلل مبادراتهم باتجاه الحوار، ومن أبرزها ما يلي:

#### ١- ضعف الاهتمام بالشأن العام:

إذا وفق الله تعالى الإنسان لنصيب من العلم والمعرفة، وقدر من الوعي والخبرة، فإنه بنفس الدرجة يكون مسؤولاً عن توظيف ذلك في خدمة المجتمع والمصلحة العامة، لكن بعض ذوي الرأي يعيشون همومهم الخاصة، ويسعون لتأمين مصالحهم الذاتية. فإذا كان الحوار والانفتاح على الآخر لا يحقق كسباً شخصياً، فإنه لا يكون من دائرة اهتماماتهم، ولا ضمن سلم أولوياتهم.

لقد طرحت على أحد علماء الدين موضوع علاقته مع عالم آخر، يختلف معه في التوجه، ويعمل معه في نفس الساحة الاجتماعية، فأجابني قائلاً: لا أجد نفسي بحاجة للعلاقة معه، فأموري مستقرة وأوضاعي مرتبة!!

وهذا هو منطق الكثيرين من علماء الدين أو المفكرين في مجتمعاتنا. إنه لا يشعر بحاجة شخصية، ولا يتوقع مكسباً ذاتياً من خلال الانفتاح على الآخر والحوار معه. ولكن ماذا عن المصلحة العامة؟

إنك قد لا تكون محتاجاً للآخر على المستوى الذاتي الشخصي، وهو قد لا يكون محتاجاً لك كذلك، ولكن الوطن والمجتمع يحتاج إلى تلاحق الآراء، وتضافر الجهود، وسد

ثغرات الفتن والنزاعات، وترسيخ الوحدة الوطنية والاجتماعية.

## ٢- مشاعر الاستعلاء أو الرهبة :

حينما يكون ذو الرأي في موقع متقدم، من حيث القوة أو المنصب، أو الإمكانيات المادية والاجتماعية، فإنه قد يهيمن عليه شعور بالاستعلاء والتفوق على أمثاله، من ذوي الرأي الذين لا يصلون إلى مستوى مكانته وقدرته، فيعزف عن الانفتاح عليهم، ويرتفع عن الحوار معهم، لأنه لا يجدهم أنداداً، ويرى أن عليهم الخضوع له، والإقرار بأحقية وأفضليته.

وقد لا يكون ذو الرأي شخصياً في موقع قوة، لكن انتماؤه إلى فئة تكون في موقع القوة، يكفي لمنحه ذلك الشعور بالاستعلاء.

وعلى العكس من ذلك، فقد يكون الشعور بالضعف والرهبة من الطرف الآخر سبباً للعزوف عن الانفتاح والحوار، فمن لا يكون واثقاً من نفسه، أو من علمه ورأيه، فإنه يتلكأ في التواصل مع الآخرين، خوفاً من ظهور ضعفه، أو رهبة من احتوائهم له. أو أن يفتح ذلك منافذ للتأثير على جمهوره وقاعدته.

## ٣- التصنيف والأحكام المسبقة :

في أجواء التشنج والخصام، وحينما تتضخم مسائل الخلاف، يصنّف الناس بعضهم بعضاً تصنيفاً حاداً، ويصدرون على بعضهم البعض أحكاماً غيائية قاسية، فهذا كافر، وهذا مشرك، وهذا مبتدع، وهذا فاسق، وهذا رافضي، وهذا علماني، وهذا عميل!!! وحتى تقليد المراجع تحوّل إلى سبب للتصنيف، يُنظر إلى الناس من خلاله.

هذه التصنيفات الحادة، وما تستبطنه من أحكام قاسية، ثم التسرع في وضع الناس ضمن هذه الخانات والقوالب الضيقة، كل ذلك يمثل حالة متخلفة، تهدم الثقة بين أبناء الأمة، كما لا تنسجم مع سماحة الإسلام، وأفق الأخلاقي الواسع.

وأين هؤلاء المتسرعون في تكفير الناس، واتهامهم في دينهم من قول الله تعالى:  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ  
السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَتُّغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة النساء الآية ٩٤].

يقول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية:

«وقد دلت الآية على حكمة عظيمة في حفظ الجامعة، وهي بث الثقة والأمان بين أفراد الأمة، وطرح ما من شأنه إدخال الشك لأنه إذا فُتِحَ هذا الباب عَسَرَ سَدُّه، وكما يتهم غيره فللغير أن يتهم من اتهمه، وبذلك ترتفع الثقة، ويسهل على ضعفاء الإيمان المروق، إذ قد أصبحت التهمة تظلُّ الصادق والمنافق، وانظر معاملة النبي ﷺ المنافقين معاملة المسلمين. على أن هذا الدين سريع السريان في القلوب فيكتفي أهله بدخول الداخلين فيه من غير مناقشة، إذ لا يلبثون أن يألفوه، وتحالط بشاشته قلوبهم، فهم يقتحمون على شك وتردد فيصير إيماناً راسخاً، ومما يعين على ذلك ثقة السابقين فيه باللاحقين بهم»<sup>(١)</sup>.

وينقل ابن أبي شيبه في مصنفه أنه: سئل علي عن أهل الجمل - الذين تمددوا عليه فحاربهم - قال: قيل: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا. قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا. قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا<sup>(٢)</sup>.

وورد عن الإمام جعفر الصادق ﷺ ما يؤكد مضمون هذه الرواية حيث يروي عن أبيه ﷺ: أن علياً ﷺ لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكنه كان يقول: هم إخواننا بغوا علينا<sup>(٣)</sup>.

وحينما يصنف الإنسان الآخرين عداً، ويحكم عليهم بالإدانة سلفاً، فإنه بالطبع

(١) ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ج ٤ ص ٢٢٦.

(٢) ابن أبي شيبه: الحافظ أبو بكر، الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار ج ١٥ ص ٢٥٦ خبر رقم ١٩٦٠٩ الطبعة الأولى ١٩٨٣م الدار السلفية، الهند.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٨٣ الطبعة الأولى ١٩٩٣م مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت.

لا يندفع للانفتاح عليهم والحوار معهم.

ولكن حتى إذا غضضنا النظر عن خطأ التصنيف والحكم المسبق، فإنه لا يصح أن نتجاهل أن تطوراً واضحاً في مستوى الوعي، والثقة بالذات، والاستقلالية في الرأي، قد حصل في ساحة المجتمع، نتيجة للتطورات العلمية والاجتماعية، وهذا يعني أن الأيديولوجيات والمذاهب والمدارس الفكرية، ما عادت تحكم سيطرتها في جميع الآراء والمواقف على المتتمين لها، لذا لا يصح أن تحاكم شخصاً أو تدينه من خلال ما تكونه من انطباع عن الاتجاه أو الجهة التي ينتمي إليها، فالأحكام التعميمية والشمولية الكاسحة لم تعد دقيقة ولا صائبة.

ثم إن كون الآخر متمياً لهذا الاتجاه أو ذاك، ومهما كان تصنيفك له، فإنه لا يصح أن يمنعك من إشادة جسر العلاقة الإنسانية والاجتماعية معه، وخاصة مع وجود مصلحة مشتركة، ولقد عاهد رسول الله ﷺ يهود المدينة ونصارى نجران، وتعاطى الخلفاء من بعده مع مختلف أتباع الديانات، وجرت اللقاءات والحوارات بين زعاماتهم والقيادات الإسلامية، وبكفيينا قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة الآية ٨].

#### ٤- ضغوط التعبئة الجماهيرية :

يبالغ بعض القادة الدينيين أو المفكرين أحياناً، في تعبئة جمهوره ضد الرأي الآخر، والطرف الآخر، وإلصاق مختلف التهم والعيوب فيه، والتشكيك في نياته وأصله وفصله، ويرتب على ذلك تحريم وتجريم أي نوع من التواصل معه، أو التعاطي ولو في الحدود الإنسانية الدنيا.

ويحصل حتى ضمن المذهب الواحد، أن يعبأ المنتسبون لمرجع معين جمهورهم



ضد أتباع مرجع آخر، بحيث لا يتواصلون ولا يأتّمون ببعضهم في صلاة الجماعة، ولا يتعاونون في مشاريع مشتركة.

إن مثل هذه التعبئة تصبح أسراً وقيداً على حركة منتجها، ويجعل من الصعوبة بمكان أن يتجرؤوا على الانفتاح على الطرف الآخر، أو الحوار معه، لأن جمهورهم قد تربى على منحنى مخالف.

ولا أدري ما هو المبرر الشرعي لهؤلاء في تربية جمهورهم على الأحقاد والأضغان، وسوء الأخلاق؟ مع أن القرآن الكريم يأمر المسلمين أن يتعاملوا مع الكفار المشركين بالتي هي أحسن، لإظهار وجه الإسلام الحضاري الإنساني، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت الآية ٣٤].

إن التعامل الحسن مع الآخرين يساعدك على استقطابهم والتأثير فيهم، بينما إساءة التعامل والأخلاق تنفّر الآخرين من الحق الذي تعتبر نفسك داعية له!!  
كما يأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يستقبلوا الناس - كل الناس - بحسن المعاشرة وطيب الكلام، يقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة الآية ٨٣] وفي تفسير هذه الآية الكريمة يقول عالم نجد الشيخ عبد الرحمن السعدي: «ثم أمر بالإحسان إلى الناس عموماً، فقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب. ولما كان الإنسان لا يسع الناس بهاله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى الكفار»<sup>(١)</sup>.

(١) السعدي: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٦، دار الذخائر - مؤسسة الريان - بيروت ١٩٩٧ م.

**٥- مراكز القوى:**

هناك مراكز قوى خارجية وداخلية، لا يعجبها أن تسود أجواء الوئام والانسجام في شعوب الأمة، ولا أن تتصلب الوحدة الوطنية في بلاد المسلمين، لذلك تستخدم كل أساليبها ووسائلها للإبقاء على حالة التفرقة والنزاع، ولمنع أي تقارب جاد بين الجهات والاتجاهات المختلفة.

تلك هي أبرز العوامل - فيما يبدو لي -، التي تعيق انطلاق مبادرات الانفتاح والحوار بين ذوي الرأي من علماء ومفكري هذه المجتمعات، لكن الواعين المخلصين قادرون على تجاوزها بإذن الله تعالى.

لقد آن أن يتحمل ذوو الرأي في مجتمعاتنا، وخاصة علماء الدين، مسؤوليتهم في تجاوز حالة القطيعة مع بعضهم البعض، وأن يتحلّوا بالجرأة والشجاعة في الانفتاح والحوار، وأن ينقذوا المجتمع من مشاكل الصراع والنزاع، فالتحديات والأخطار التي تواجهها أجيالنا المعاصرة، أكبر من القضايا الجانبية التي يتم على أساسها التصنيف والافتراق.

# الفراغ الروحي: قلق واضطراب

كلمة الجمعة بتاريخ ٢١ شوال ١٤٢٠ هـ



للإنسان في هذه الحياة احتياجات ومتطلبات، ولا تستقر حياته إلا إذا وجد أمامه الفرصة لتحقيق تلك الاحتياجات، ويمكننا أن نقسم متطلباته إلى ثلاثة أصناف، يرتبط كل صنف منها ببعد من أبعاد شخصيته.

**الصنف الأول:** الاحتياجات المادية، وترتبط بالبعد الجسمي المادي من حياة الإنسان، كالحاجة إلى الغذاء، والكساء، والسكن، والعلاج، والجنس..

وهي احتياجات ضرورية، إذا لم تتوفر تضطرب حياة الفرد والمجتمع، ومعلوم أن معاناة الفقر والحرمان ولو في جزء من المجتمع، قد تسلب الأمن والاستقرار من المجتمع كله، لأنها تكون أرضية للتمرد والإجرام، لذا ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كاد الفقر أن يكون كفراً»<sup>(١)</sup> وينقل عن الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قوله: «عجبت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه»<sup>(٢)</sup>.

**الصنف الثاني:** المتطلبات العقلية، فالعقل الذي منحه الله تعالى للإنسان، يتطلب العلم والمعرفة، ويحتاج إلى الأجواء التي تتيح له حرية الفكر، وإلى الوسائل والأدوات المساعدة على النشاط العلمي والفكري، ومن الوهلة الأولى التي خلق الله تعالى فيها

---

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال ج ٦ ص ٤٩٢ رقم ١٦٦٨٢، الطبعة الخامسة ١٩٨٥ م مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢) خالد: خالد محمد، رجال حول الرسول ص ١٠٠ دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٦٨ م.

الإنسان، وقر له فرصة العلم والتعلم، يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة الآية ٣١]، ويقول تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [سورة الرحمن الآية ٣-٤].

وإذا حظر على الإنسان نشاطه الفكري، وحرته العلمية، وسلب حق المعرفة، فإنه يفقد الجزء الأساس من إنسانيته، وبالتالي لا يشعر بالكرامة والراحة.

لذا أوجب الإسلام بذل العلم، وإتاحة الفرصة للمعرفة والتعلم، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كتم علماً نافعاً، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة البقرة الآية ٣] يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «مما علمناهم يبثون»<sup>(٢)</sup>.

**الصف الثالث: التطلعات الروحية المعنوية، فالإنسان روح وجسد، وكما أن للجسد احتياجاته ومستلزماته كذلك فإن للروح تطلعاتها، وهي ذات تأثير كامل على سير الجانب المادي في حياة الإنسان، فلو توفرت له كل احتياجاته المادية، لكنه كان يعيش الخواء والجوع الروحي، فإن حياته لا يمكن أن تستقر أو تهناً.**

### احتياجات الروح:

والروح تحتاج إلى الطمأنينة والثقة والرضى، وراحة الضمير والوجدان، والماديات بمحدوديتها وتقلباتها ونقائصها ومنغصاتها، لا توفر للإنسان السعادة والاطمئنان والاستقرار الروحي.

فلا بد أن تتصل روح الإنسان بما فوق المادة، بالقوة المطلقة، التي لا حد لها، والتي إليها مرجع الأمور.

صحيح أن الإنسان يمتلك شيئاً من القدرة والقوة، خاصة في هذا العصر، حيث تطورت إمكانات البشر، وتقدمت قدراتهم العلمية والتكنولوجية، لكن الإنسان يدرك

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢ ص ٧٨.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٦٧.

أن حياته وقدراته وقواه ليست ذاتية، فهو جاء إلى الحياة بغير قرار منه، ويخرج منها دون اختياره، وفي أي لحظة من اللحظات، حيث لا يستطيع التحكم في توقيتها. ويدرك الإنسان بفضل تقدمه العلمي الآن، مدى محدوديته وضآلته، قياساً إلى هذا الكون الفسيح الذي يعيش في رحابه، فالكرة الأرضية التي يجيا على سطحها يمتد عمرها إلى ما قبل ٥, ٤ بليون سنة، وهي على ضخامتها مجرد كوكب يدور حول الشمس، مع تسعة كواكب أخرى، تكوّن مجموعة شمسية، وهذه الشمس يبلغ حجمها ٣٠٠, ٠٠٠, ١ مرة قدر حجم الأرض، وهي نجم واحد بين البلايين من النجوم، تتكون منها مجرة تدعى درب التبانة، ويقدر عمرها بما يتراوح بين ١٠ و ١٥ بليون سنة، وهذه المجرة واحدة من بلايين المجرات التي تسبح في محيط الكون<sup>(١)</sup>!!

وكما يقول أحد العلماء: لو أردنا أن نشبه الكون لقلنا: إنه يشبه المحيط الكبير، وكل مجرة من المجرات هي جزيرة في ذلك المحيط الكبير، وكل مجموعة شمسية في كل مجرة، تشبه قطعة أرض في تلك الجزيرة، وأرضنا التي نعيش عليها بمقدار نملة في قطعة أرض، ضمن جزيرة من بلايين الجزر، في ذلك المحيط الكبير!! فما هو إذن حجم الإنسان قياساً إلى هذا الكون العظيم؟

إنه يشعر بضعفه وعجزه، مع كل ما أنجز وحقق من تقدم علمي، ومكاسب تكنولوجية، ويظهر ذلك جلياً حيننا تعصف به الكوارث الطبيعية، كالزلازل والبراكين، والفيضانات والأعاصير.. وهو يفقد السيطرة حتى على جسمه ومشاعر نفسه، فبينما هو في قمة الصحة والنشاط، تغزوه العلل والأمراض، وتدركه الشيخوخة والهرم، وحين يصبح في غاية السرور والبهجة، فقد تصيبه الكآبة والحزن، وهكذا يتقلب بين الحالات المختلفة، لا يستطيع أن يحتفظ لنفسه بحالة معينة، ولا أن يدفع عنها أخرى. هذا الشعور العميق بالمحدودية والضعف، والإحساس الكبير بالضآلة والعجز،

(١) الموسوعة العربية العالمية ج ١٤ ص ٢٤٦ الطبعة الثانية ١٩٩٩ م، الرياض.

يدفع الإنسان إلى البحث عن مصدر القوة والقدرة، وعن الجهة المهيمنة على الكون والحياة، لتطمئن نفسه بالارتباط بها، وليسكن قلبه، وتستقر مشاعره، بالاقتراب منها. وذلك هو الدين، الذي يقدم للإنسان الإجابة عن تساؤلاته الحائرة، حول وجوده ومصيره، ويشق له طريق التواصل والتعاطي مع خالق الكون والحياة.

فالتدين نزوع فطري عند الإنسان، لتركيبته المميزة من روح وعقل وجسد، يقول (وول ديورانت) في قصة الحضارة: «إن الكاهن لم يخلق الدين خلقاً، لكن استخدمه لأغراضه فقط، كما يستخدم السياسي ما للإنسان من دوافع فطرية وعادات، فلم تنشأ العقيدة الدينية عن تلفيقات أو ألعيب كهنوتية، إنما نشأت عن فطرة الإنسان بما فيها من تساؤل لا ينقطع، وخوف وقلق وأمل وشعور بالعزلة»<sup>(١)</sup>.

لكن الإنسان قد يضل الطريق إلى الدين الصحيح، إذا لم يتوفق للّهدي الإلهي والرسالات السماوية.

### التقدم المادي هل يكفي؟

قد يتصور البعض أن مجتمعاتنا في حاجة للرقمي العلمي، والتقدم التكنولوجي، والتطور السياسي والاقتصادي، لتلحق بركب الحضارة والتقدم، أما الجوانب الروحية والدينية، فهي أمر هامشي كحالي، لا دور له في صناعة واقع التطور والتقدم.

لكن ومع الإقرار بحاجة مجتمعاتنا إلى الرقمي العلمي والتكنولوجي والسياسي والاقتصادي، إلا أن إشباع الجانب الروحي له أولوية ومركزية، لا يمكن التساهل تجاهها.

إن المجتمعات الغربية المتقدمة، التي نطمح للاقتراب من مستوى تقدمها، تعيش أزمات اجتماعية خطيرة، تنعص عليها لذة التقدم، بسبب ما تعانيه من خواء

(١) ديورانت: وول، قصة الحضارة ج ١ ص ١١٧ دار الفكر ١٩٨٨ م.



وفراغ روحي.

فالوفرة المادية، والتفوق العلمي، وحدهما لا يمنحان الإنسان السعادة والاطمئنان، وإذا لم يملأ الفراغ الروحي، فإن حياة الإنسان تكون عرضة للعذاب والاضطراب.

### اينشتاين نموذجا:

الرجل الذي وضع النظرية النسبية كان فاشلاً في حياته الخاصة، بل كان (البرت اينشتاين) زير نساء، شرساً قاسياً مع أطفاله، وأباً لابنة غير شرعية، لم يرها ولا اعترف بها تدعى (ليزريل)، وتكشف وثائق ومستندات بينها رسائل شخصية - ضمن العائلة - أن زواج اينشتاين الأول من (ميليجا ماريك) أدى إلى الطلاق بسبب علاقة سرية ربطته بقريبته (إلسا).

وتشير الرسائل إلى شراسة اينشتاين حيال زوجته ميليجا أثناء فراقهما، مما أصابها بانحيار عصبي لم تشف منه حتى وفاتها. وتنسحب تلك الشراسة على معاملته ولديه (هانز البرت) البكر وكان في الخامس عشرة عندما غادر والده المنزل العائلي، (وإدوارد) الأصغر الذي أصيب بالحبال بعد طلاق أبويه وأمضى حياته في عيادة سويسرية للأمراض العصبية، فلم يزره والده مرة<sup>(١)</sup>.

ومثل اينشتاين ما حصل لـ (آرمسترونج: نيل اولدن) وهو أول إنسان وطأت قدماه سطح القمر في ٢٠ يوليو ١٩٦٩م، إلا أنه كان يفقد السعادة والاطمئنان، فقد طلق زوجته واصطدم مع أبنائه، واصطبغت حياته بالاضطراب والكآبة.

### عن واقع المجتمع الأمريكي:

المجتمع الأمريكي هو في القمة من الحضارة المادية المعاصرة، لكن الفراغ الروحي في ذلك المجتمع، أنتج مضاعفات ومعاناة خطيرة في حياة وسلوك الأمريكيين، حيث

(١) الحياة: جريدة يومية - لندن ١٤ صفر ١٤١٤هـ.

ينتشر القلق، وتزداد حوادث الانتحار، وتتصاعد جرائم العنف، حتى على مستوى طلاب المدارس الابتدائية، كما تحدثت عن ذلك وسائل الإعلام، عدا عن الفساد الأخلاقي المستشري.

ففي سنة ماضية تصدر قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في أمريكا، حسب صحيفة (نيويورك تايمز) كتاب عنوانه (الخروج النهائي) تأليف البريطاني (ديريك همفري سينندر) الذي يتحدث عن أساليب الانتحار ووسائله المختلفة، بلغة إرشادية توجيهية<sup>(١)</sup>. هذا الواقع المأزوم لفت أنظار المفكرين الغربيين إلى موقع الخلل في الحضارة المادية، وهو الخواء والفراغ الروحي، كما دفع بفئات من المجتمع الأمريكي والغربي، إلى البحث عن مصدر إلهام روحي، يسد ذلك الفراغ، ويملاً ذلك الخواء، مما أفسح المجال لنمو التوجهات الأسطورية والخرافية.

وعن هذه الحالة يتحدث الباحث الأمريكي (روستو) في كتابه الرائد (مراحل النمو الاقتصادي)، حيث يرى:

أن الدول تمر بمراحل عدة: مرحلة المجتمع البدائي، مرحلة التهيؤ للانطلاق، مرحلة النضج، مرحلة الاستهلاك الجماهيري وما بعده. ويؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية، هي المجتمع الوحيد الذي وصل إلى مرحلة الاستهلاك الجماهيري، وأنه ينتقل إلى ما بعده، ومن مظاهر هذه المرحلة أن المجتمع ينتج أكثر مما يستهلك، وتحدد مشكلته الاقتصادية في خلق الطلب، وليس في توفير العرض، وتتحكم فيه وسائل الإعلام وأدوات الدعاية، فيما يتحول عن الإشباع المادي إلى ما يمكن أن يسمى الاتجاه الروحي، ومن ثم تنتشر الخرافات والأوهام والمذاهب والبدع والادعاءات، سواءً تعلقت بالدين أو خرجت منه أو عليه.

كما يشير إلى أن المجتمع الأمريكي ذو خصوصية مميزة هي الغنى، بل إن الولايات

(١) السفير: جريدة يومية - بيروت ٣٠ محرم ١٤١٢ هـ.

المتحدة أغنى دول العالم، إذ يزيد ناتجها القومي الإجمالي عن ٥, ٥ تريليون دولار، بينما يزيد متوسط الدخل الفردي عن ٢٢ ألف دولار، مع ارتفاع مستوى التصنيع والتقدم التكنولوجي، والعمر المتوقع عند الميلاد. والمدقق في الحياة الأمريكية، قد يفاجأ بمظاهر عدة للتدهور الاجتماعي، إلى حد الفوضى الداخلية التي لا رابط لها.

ومن القضايا التي يتناولها التلفزيون الأمريكي أيضاً، مسألة كشف الغموض، ومعرفة الحظ، أو قراءة الطالع، والبحث عن المفقود، حتى وإن كان حبيباً أو رفيقاً، أو ربما مالاً وجاهاً، ففي هذه الحال عليك أن تتصل برقم مكتوب على شاشة التلفزيون، وتحكي ما تعاني منه، أو تبحث عنه، أو ربما ما تريد أن تتجنبه، وسوف تعطى الإجابة عما تريد: هل فقدت مالا؟ هل فقدت أوراقاً ووثائق مهمة؟ سوف يظهر لك شخص دجال أو طبيب، يقودك بالإيحاء لإيجاد ضالتك ويحصل منك على حاجته وهو المال بالطبع<sup>(١)</sup>.

### الدرس والعبرة:

ليس المقصود من استعراض مكنن الضعف والخلل في الحضارة المادية، رسم صورة سوداء قائمة لهذه الحضارة، ولا مجرد التشهير بأوضاع تلك المجتمعات، فهي حضارة تفرض هيمنتها على واقع الحياة، بإنجازاتها العلمية والتكنولوجية، ويجب أن تطمح مجتمعاتنا للالتحاق بركبها المتقدم، إلا أن المطلوب هو التمييز والفرز بين نقاط القوة والضعف في هذه الحضارة المادية، وحتى ندرك خطورة الجانب الروحي، فلا نتجاهله ونهمله، في تقويم أوضاع مجتمعاتنا، بل نهتم بالبرامج والخطط التي تنمي التطلعات الروحية وتغذيها.

إن الله سبحانه وتعالى يحذّر البشرية من أن تجاهل الجانب الروحي يسبب القلق الفردي، والاضطراب الاجتماعي، وبالتالي ضنك العيش، وشقاء الحياة، يقول تعالى:

(١) الحياة: جريدة يومية - لندن ٢٩ شوال ١٤١٥ هـ.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [سورة طه الآية ١٢٤] بينما التوازن والتكامل في تلبية احتياجات الإنسان في توجهاتها المادية والعقلية والروحية، يضمن للإنسان حياة طيبة سعيدة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النحل الآية ٩٧].

## تقدم الفرد وتقدم المجتمع

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٨ شوال ١٤٢٠ هـ



يطمح كل إنسان سوّي أن يحقق لنفسه التقدم والعزة في هذه الحياة، وأن يحمي ذاته عن المكاره والنوائب، وهو طموح سليم مشروع، ولكن ما هو الطريق إلى التقدم؟ وكيف يحقق الإنسان أهدافه ومصالحه في هذه الحياة؟ إن الطريق الطبيعي هو أن يفجّر الإنسان طاقاته وقدراته، ويتعب على نفسه لنفسه، فيتعلم ويفكر ويخطط، ويعمل ويتحرك ويجتهد، وكلما اجتهد أكثر كانت فرصه في التقدم أكبر.

لكن السؤال المطروح هو عن مدى العلاقة بين تقدم الفرد وتقدم المجتمع الذي ينتمي إليه، فهل لواقع المجتمع تأثير على مستوى الفرد وواقعه؟ أم أن الفرد يمكنه أن يشكل حالة منفصلة، فيحقق لنفسه التقدم بغض النظر عن واقع مجتمعه متقدماً كان أو متخلفاً؟

إن الأكثرية من الناس مستغرقون في همومهم الذاتية، ومتجهون إلى تحقيق مصالحهم الشخصية، دون أن يكون الهم الاجتماعي العام حاضراً في تفكيرهم، أو مدرجاً في جدول اهتماماتهم، ولسان حال كل واحد منهم: أني معني بنفسي، ببناء مستقبلي، وترتيب أمور حياتي.

والنظرة الواعية للحياة، تكشف للإنسان أن هناك علاقة وثيقة بين واقعه وواقع المجتمع، فمهما كانت قدراته وكفاءته، ومهما حقق من تقدم وإنجاز، فسيفيق متأثراً

بالوضع العام لمجتمعه، لذلك ينبغي أن يكون تفكيره واهتمامه ضمن دائرتين ومحورين: البناء الذاتي لنفسه، والإسهام في البناء العام للمجتمع. ولمزيد من التوضيح نشير إلى بعض النقاط والحقائق، التي تظهر عمق الارتباط بين تقدم الفرد وتقدم المجتمع.

### توفير فرص التقدم

صحيح أن الإنسان يتقدم بجده واجتهاده، وبكفاءاته وقدراته، لكن توفر الفرص وتهيؤ الظروف، هو الذي يمكنه من تفجير طاقاته، وتفعيل نشاطه، والمجتمع المتقدم يوفر لأبنائه فرص التقدم، بينما المجتمع المتخلف تنعدم أو تقل فيه تلك الفرص. فمثلاً في مجال التعليم، ليس طلابنا في البلاد العربية أقل ذكاءً أو نبوغاً من نظرائهم في أمريكا واليابان وأوروبا، والبعض من أبنائنا متفوق في جده واجتهاده، لكن آفاق التقدم العلمي، ومستوى البرامج التعليمية، والاهتمام بمستويات الذكاء والنبوغ، وتوفر مجالات التعليم في جميع الحقول والتخصصات، هو الذي يعزز فرص الطالب هناك أكثر.

وفي المجال الفكري والمعرفي توجد في البلاد الإسلامية عقول جبارة، وأذهان وقادة، لكن قلة مراكز البحوث والدراسات، وضعف وسائل التعبير عن الرأي، تجعل فرص التقدم العلمي ضئيلة، وكشاهد على ذلك فإن بعض أبنائنا في المجتمعات المتقدمة، قد حققوا تقدماً كبيراً في حقول علمية وتكنولوجية مختلفة، وأول عربي ينال جائزة نوبل في مجال علمي هو الدكتور (أحمد زويل) المصري الذي يعيش في أمريكا، ونال الجائزة لعام ١٩٩٩م في الكيمياء.

### تأثير الأجواء

من طبيعة الإنسان التأثر بالأجواء التي يعيشها مجتمعه، فإذا كانت أجواءً صالحة،



تعقب بالقيم الرفيعة، وتدفع نحو الفاعلية والرقى، فإنها تشكل أرضية مساعدة لانطلاق الفرد وتقدمه، وإذا كانت أجواء المجتمع سيئة يهيمن عليها التخلف، وتحكمها حالة الكسل والتبرير، وتشوبها المفاسد والفتن، فإنها ستترك آثارها وبصماتها على نفسية الفرد وسلوكه في الأعم الأغلب.

الفرد لا يعيش في جزيرة معزولة، أو صحراء نائية، بل هو جزء من مجموع، يتفاعل ويتناغم مع الحالة السائدة عادةً، وهذا واضح في المجال الصحي مثلاً، حيث إن اختلاطه بالناس المصابين ببعض الأمراض، يعرضه للإصابة عن طريق العدوى، وهكذا فإن كثيراً من الأفكار والسلوكيات، يأخذها الفرد ويتطبع عليها من خلال تكييفه الاجتماعي.

### النتائج والمضاعفات

إذا ما حلت بالمجتمع مشكلة أو فتنة، فإن النتائج والمضاعفات ستشمل الجميع، دون فرق بين المشارك والمحيد، فوجود حالة فقر في المجتمع، قد تفرز آثاراً تطال الأغنياء، وانتشار المعاصي والمنكرات، ينذر بالخطر حتى على المتدينين الصالحين.

لذلك يقول الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [سورة الأنفال الآية ٢٥]، ومن هنا أوجب الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحمل الإنسان ليس مسؤولية إصلاح نفسه فقط، وإنما السعي لهداية الآخرين وإصلاحهم أيضاً، لحماية أجواء المجتمع من التلوث والفساد.

ويشبه رسول الله ﷺ نتائج أعمال الفاسدين على المجتمع كله، بمن يخرق سفينة فيعرضها للغرق بجميع من فيها، يقول ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا

ونجوا جميعاً»<sup>(١)</sup>.

وكمثال شاخص أماننا ما يعانيه أبناء الشعب العراقي، حينما ابتلوا بحكم صدام، وسياساته الفاسدة، حيث لم يسلم من مضاعفات ونتائج هذا الفساد أحد منهم، وحتى من يرى نفسه بعيداً، وغير متدخل في شأن من الشؤون، فإنه لم يكن بمنجى من تلك المعاناة والمآسي.

### موقعية المجتمع

إذا كنت تنتمي لأمة قوية، وترتبط بمجتمع عزيز، فإن ذلك يوفّر لك الحماية والمنعة، ويفسح أمامك مجالات الفرص الرابحة، أما إذا كانت أمتك مهينة الجناح، أو كان مجتمعك ضعيفاً مستضعفاً، فلن تحظ بنظرة محترمة من الآخرين، ترعى حقوقك، وتحترم كفاءتك، وبالتالي فموقعية مجتمعك ومكانته بين المجتمعات، لها دخل في تحديد موقعيتك، ومكانتك شئت أم أبيت.

إننا نرى الآن بوضوح كيف تحسب أي جهة في العالم ألف حساب للتعامل مع أي يهودي، أو شأن من شؤون اليهود، لأنهم أصبحوا في موقعية تتيح لهم ذلك، فقبل فترة قررت الحكومة المصرية شق طريق دائري حول القاهرة، بطول ٩٥ كم، لتخفيف ازدحام السير في عاصمة يحتشد في شوارعها يومياً زهاء ١٥ مليون شخص، لكن هذا الطريق يمر بمقبرة قديمة لليهود، في منطقة (البساتين) مضى عليها أكثر من سبعين عاماً، وتضم حوالي ٣٥٠ قبراً، وأرض المقبرة في الأصل ليست ملكاً لليهود، بل هبة من الحكومة المصرية، وقد عرضت الحكومة إزاحة المقبرة بمقدار ٣٠ متراً فقط، إلا أن اليهود أثاروا ضجة كبرى في العالم، وشكلوا وفداً من رؤساء الجاليات اليهودية في العالم لمقابلة الرئيس المصري والمسؤولين، وأقاموا دعاوى بمختلف العناوين أمام القضاء المصري، لمنع أي

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الشركة ج ٣ ص ٢٧٨، المكتبة الثقافية - بيروت.

مساس بمقبرة أمواتهم، وكانت النتيجة إبقاء المقبرة وبناء جسر فوقها!!

### دور الفرد في تقدم المجتمع

من كل ما سبق يتجلى لنا الارتباط الوثيق بين واقع الفرد وواقع المجتمع، وأن من يفكر في بناء مستقبله، وإنجاز التقدم لذاته، عليه أن يستحضر التفكير والاهتمام بواقع مجتمعه، وأن يجعل ذلك جزءاً أساسياً في برنامج حركته وسعيه.

كيف يسهم الفرد في تقدم مجتمعه؟

١. إن اهتمام الفرد ببناء ذاته، واجتهاده في إحراز الرقي والتقدم لنفسه، هو في حقيقته إسهام منه في تقدم المجتمع، ذلك أن تقدم المجتمع حصيلة لتقدم الأفراد، فكل فرد ينجز تقدماً، يضيف قوة لرصيد المجتمع، شريطة إحساسه بانتمائه الاجتماعي، وتفاعله مع الحركة العامة للمجتمع.

٢. يمكن للفرد أن يوجه نشاطه وفاعليته ضمن مسعاه الذاتي، ليصب في قناة خدمة المجتمع، وإنجاح خطط تقدمه، فالطالب إذ يختار تخصصاً علمياً لدراساته العليا، عليه أن يتلمس حاجة مجتمعه، ورجل الأعمال حين يفكر في الاستثمار، عليه أن يتجه للمشاريع التي تنشط حركة اقتصاد المجتمع، وتعالج بعض مشاكله، والأديب والمفكر يوظف موهبته الأدبية، وإبداعه الفكري، في استنهاض المجتمع، وتطوير واقعه..

٣. كدور مباشر يقوم به الفرد في تقدم المجتمع، عليه أن يقتطع جزءاً من إمكاناته الفكرية والعملية والمادية، ليصرفه في خدمة الصالح العام، وذلك عبر المشاركة في المؤسسات الاجتماعية، والنشاط التطوعي.

ومهما كان انشغال الإنسان بشؤون الخاصة، فإن بإمكانه صرف شيء من الوقت

يوميّاً أو أسبوعياً من أجل الخدمة العامة.

ويتصور البعض أن تحملهم لشيء من المسؤوليات الاجتماعية، وبذلهم بعضاً من وقتهم أو جهدهم أو مالهم، سيكون على حساب شؤونهم وقضاياهم الخاصة، لكن هذا التصور ليس دقيقاً، فإن مردود ما ينفقونه في المصلحة العامة سينعكس عليهم، لما سبق بيانه من آثار ونتائج تقدم المجتمع على واقع الفرد، لذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة الإسراء الآية ٧]. كما أن ما نعتقده من لطف الله وكرمه، يعطينا الثقة والاطمئنان بتعويضه على من بذل في سبيل الله، ولمساعدة عباده أضعافاً مضاعفة، يقول تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٦١].

وروي عن الحبيب المصطفى ﷺ أنه قال: «خير الناس من ينفع فكن نافعاً لهم»<sup>(١)</sup>. إن الله تعالى يبارك للإنسان في وقته، حينما يصرف جزءاً منه في خدمة المجتمع، ويزيد في رزقه إذا بذل منه في أمور الخير، ويمنحه القوة والنشاط، لسعيه في حوائج الناس وقضاياهم، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة سبأ الآية ٣٩]، والآية وعدٌ صادقٌ من الله سبحانه وتعالى، بالتعويض على من أنفق في سبيله.

يقول الإمام علي عليه السلام: «مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرَوْحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيَدْلُجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ، فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُروراً إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرورَ لطفاً، فإذا نزلت به نازلة جرى لها كالسيل في انحداره حتى يطردها كما تطرد غريبة الإبل».

٤. لدعم مسيرة التقدم في المجتمع، على الأفراد أن يشجعوا كل مبادرة ونشاط إيجابي، ينبثق من أرض مجتمعهم، فالتشجيع والتفاعل أمر ضروري لتحفيز

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال ج ١٦ ص ١٢٨ حديث ٤٤١٥٤، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

الإنتاجية، وتطويرها في مختلف المجالات، فالعالم إذا التف حول أبناء مجتمعه، والخطيب إذا تجاوب معه المستمعون، والمفكر إذا لاحظ الاستقبال لأفكاره، والأديب إذا أحس بأصداء عطائه، والمصنّع إذا راجت بضاعته، والمزارع إذا اشترى الناس إنتاجه، كل ذلك يشكل ديناميكية للتقدم والتطور في حركة المجتمع.

أما الاستهانة بالإنتاج المحلي، والطاقات الوطنية، لصالح الاستيراد من الخارج، والانشداد لما وراء الحدود، فتلك حالة انهزامية أنانية، قد تبلى بها بعض المجتمعات، حتى شاع عند الناس المثل القائل: حمامة الحي لا تطرب.

وأصبح البعض يتفاخر بأنه يتسوق من خارج بلده، أو يستهلك المنتجات من خارج وطنه، وقد يحتج بجودتها أو إتقانها، لكن الأمر في بعض الأحيان، لا يخلو من الانبهار بالخارج، والتأثر بالدعاية والإعلام، ولكي يرتفع مستوى الجودة وتتطور الإنتاجية في الوطن، لا بد من التشجيع والدعم، مع تقديم الملاحظات التطويرية، والنقد البناء.

ومرة أخرى نضطر للإتيان بشاهد من حالة معادية، هي الحالة اليهودية، من أجل أخذ العبرة والدرس، فاليهود في كل مكان، يهتمون بتشجيع بعضهم البعض، ودعم إنتاجيتهم المحلية، وحينها بدأ السياح الإسرائيليون يتوافدون على الأردن، في أعقاب اتفاقية السلام بين الأردن وإسرائيل، فوجئ الوسط السياحي في الأردن - كما تحدث الصحف ووسائل الإعلام - بسياسة التقدير الذي يتميز به السياح الإسرائيلي، فهم يحضرون معهم وجبات الطعام الخاص بهم، تحت زعم أنهم يحافظون على طقوس تناول الطعام اليهودية، التي تحتم عليهم تناول الطعام اليهودي الحلال، أو الكوشر، لكنها ليست سوى تبريرات، إذ إنهم لا يحضرون مآكلهم الحلال فقط، بل وزجاجات الماء، فهل هناك ماء حلال وآخر حرام؟ وقد تحدث رئيس وزراء الأردن السابق عبد السلام

المجالي مع المسؤولين الإسرائيليين حول الموضوع، مشيراً إلى أن زجاجات الماء في الأردن أرخص منها في إسرائيل، ومع ذلك فالسياح الإسرائيليون وهم من المقتدرين الأثرياء، يحضرون معهم زجاجات الماء<sup>(١)</sup>!!

### الاهتمام الاجتماعي

وأخيراً، فإن الله تعالى لا يقبل أن نعيش الأنانية نفكر ونسعى في حدود الدائرة الشخصية الذاتية، إن ذلك لا يتوافق مع التدين الحقيقي الصادق، حيث يؤكد القرآن الكريم، أن تجاهل قضايا المجتمع، ومناطق الضعف فيه، دليل وعلامة على كذب ادعاء الدين، يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [سورة الماعون، الآيات: ١-٣] إن مجرد إهمال الأيتام وتركهم، وعدم الحث على الاهتمام بحاجات الفقراء، يعني أن التدين كاذب زائف. والرسول محمد ﷺ يعتبر غير المهتم بأمور الأمة خارجاً عن دائرة الإسلام «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»<sup>(٢)</sup>.

(١) الحياة - جريدة يومية - لندن ١٨ مارس ١٩٩٥ ص ١٢.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي ج ٢ ص ١٦٣، دار الأضواء - بيروت.

# المجتمع الراشد

كلمة الجمعة بتاريخ ١٢ ذو القعدة ١٤٢٠ هـ





لكي يصبح الإنسان شخصية مستقلة مؤهلة لاتخاذ القرار، وللتعاقد مع الآخرين، لا بدّ أن يصل إلى مستوى الرشد، حسب أحكام الفقه الإسلامي. ذلك أن أحكام المعاملات بالنسبة للإنسان تختلف باختلاف مراحل حياته من حيث اكتمال الأهلية ونقصانها، فهو في المرحلة الأولى، من الولادة إلى سن التمييز، يكون قاصراً، وبالاصطلاح الفقهي (غير مميز) فلا تصح معاملاته، قانونياً لأنه فاقد الأهلية. وفي المرحلة الثانية: من سن التمييز إلى سن الرشد، حيث يفرق بين الأمور، ويميز النافع من الضار، لكنه بعد لم يصل إلى مرحلة النضج والرشد، وهنا أيضاً يرى أكثر الفقهاء عدم استقلاليته في التصرف واتخاذ القرار في المعاملات، حتى وإن كان بالغاً عاقلاً، فالبلوغ والعقل شرطان للتكليف الشرعي بمعنى أنه ملزم بالتكاليف والأوامر الدينية، لكنه إذا لم يصل مستوى الرشد، لا تكون أهليته مكتملة لإمضاء قراراته وتصحيح معاملاته.

أما المرحلة الثالثة: إذا وصل إلى مستوى الرشد فإنه يكون مكتمل الأهلية، ويطلق عليه فقهاء: رشيداً أو راشداً، حيث تصح جميع معاملاته وقراراته. ومعنى الرشد: حسن التصرف، ووضع الأمور في مواضعها، وقد يرافق البلوغ، وقد يتأخر عنه قليلاً أو كثيراً، وقد يتقدمه، لكن لا اعتبار له قبل البلوغ.

وليس للرشد سن معينة عند جمهور الفقهاء، وإنما الأمر متروك لاستعداد الشخص وتربيته وبيئته، وليس في النصوص الشرعية تحديد له. وأغلب القوانين المدنية للأحوال الشخصية في الدول، تعتبر الإنسان كامل الأهلية، ومستقل الشخصية في سن الثامن عشرة، وبعضها كالقانون المصري يرفعها إلى سن ٢١ سنة.

كما أن معرفة رشد الإنسان راجع إلى ملاحظة تصرفاته وممارساته، فيختبر مستواه عن طريقها يقول تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [سورة النساء الآية ٦].

حيث إن أموال اليتيم الصغير تكون بيد وليه، فإذا ما بلغ، ولوحظ منه الرشد، دفعت إليه أمواله، ليتحمل هو مسؤولية التصرف فيها. ويفرق بعض الفقهاء بين الرشد في المجال المالي، والرشد في المجال الاجتماعي، فقد يكون الإنسان حسن التصرف في الشؤون المالية، لكنه لا يمتلك النضج الاجتماعي لإدارة الحياة العائلية، فهنا لا يستقل بالقرار في عقد الزواج، بل لابد من إذن وليه، وإن كانت تصرفاته المالية ممضاة وصحيحة. كما أشار إلى ذلك السيد محمد كاظم اليزدي في العروة الوثقى، في المسألة الثامنة من مسائل أولياء العقد.

### الرشد في منطلق القرآن

جاء الحديث عن الرشد في القرآن تسع عشر مرة، وفي بعضها جاء بضم الراء وسكون الشين ﴿رُشِدًا﴾ كقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ [سورة النساء الآية ٦]، وجاء في موارد أخرى بفتح الراء وفتح الشين ﴿رَشَدًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [سورة الكهف الآية ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [سورة الجن الآية ١٤] وهما مترادفان.

ويبدو أن المقصود بالرشد في منطق القرآن، ما يقابل الغي، فهو بمعنى الهدى في مقابل الضلال والانحراف، وهي مقابلة واضحة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [سورة الأعراف الآية ١٤٦].

كما جاء استخدام الرشد في مقابل السفه، فيكون بمعنى حسن التصرف والتدبير في مقابل خفة الرأي وضعف التدبير، وذلك هو مفاد المقابلة ضمن الحديث عن رعاية شؤون الأيتام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا. وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [سورة النساء الآية ٥-٦]. فقبل امتلاك الرشد يكون الإنسان ضعيف الرأي غير ناضج التصرف، وهو ما يعبر عنه بالسفه، فإذا تجاوز هذه الحالة أطلق عليه راشداً.

### الرشد الاجتماعي

قد نتحدث عن الرشد على مستوى الأفراد، فنلاحظ فرداً رشيداً يميز مصلحته، ويحسن التصرف والتدبير، في مقابل فرد ضعيف الرأي، لا يتخذ الموقف المناسب فيما يواجهه من ظروف وأوضاع.

وقد نتحدث عن الرشد على مستوى المجتمعات والجماعات، فهناك مجتمع راشد، ومجتمع يفتقد الرشد والنضج، فكيف نقوم المجتمعات والجماعات على هذا الصعيد؟ وما هي سمات الرشد الاجتماعي؟

في القرآن الحكيم جاء الحديث عن المجتمع الراشد ضمن قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [سورة الحجرات الآية ٧].

والآية الكريمة تشير إلى أهم صفة في المجتمع الراشد، وهي الانسجام النفسي

والفكري والسلوكي مع المبادئ والقوانين الشرعية..

فالمبدأ الذي يؤمن به المجتمع، تارة يكون مجرد هوية وعنوان، وتارة يؤخذ المبدأ على أساس التلقي من الأسلاف دون وعي واقتناع، وقد يتفاعل المجتمع مع المبدأ على المستوى الروحي النفسي، لكنه من الناحية العقلية الفكرية لديه تحفظات وإشكالات، وقد يحصل العكس بوجود اقتناع فكري نظري، دون توفر انشداد روحي نفسي، وقد يكون المبدأ وقوانينه أمراً مفروضاً على ذلك المجتمع لسبب أو لآخر، وكل تلك الحالات تنبئ عن ضعف وخلل في بنية المجتمع وكيانه، حين يؤمن بعقيدة موروثه دون اقتناع، أو يدين بمبدأ لا يلتزم بتطبيق أنظمتها وقوانينه في واقع حياته، أو يخضع لشريعة بالقوة والفرص..

أما المجتمع الراشد الذي تشير إليه الآية الكريمة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ فهو يتمتع بالصفات التالية:

١. حب العقيدة والمبدأ ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ بما تحمله كلمة الحب من معاني

الانجذاب النفسي، والانشداد الروحي.

٢. الوعي بالمبدأ ﴿وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي أدركتم بعقولكم صحة منهجكم

الإيماني، وأنه الأفضل الذي تزدان به حياتكم.

٣. الردع الذاتي عن المخالفة والانحراف ﴿وَكَّرَهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ

وَالْعِصْيَانَ﴾ وهو ناتج عن الصفتين السابقتين، فإذا كان الإنسان محباً لمبادئه،

من أعماق نفسه، وواعياً بدينه في فكره وعقله، فإنه بذاته يكره المعصية، وينفر

من الخروج عن حدود النظام والقانون، وهكذا فإن الحالة العامة في المجتمع

الراشد، هي الالتزام والانضباط بدافع ذاتي، واجتناب المخالفة.

بالطبع حينما ينسب الخالق جلّ وعلا لنفسه التحبيب والتكريه، ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ

و﴿وَكَّرَهُ إِلَيْكُمُ﴾ فإنه لا يعني الإجبار التكويني على ذلك، وإنما المقصود تهيئة الوسائل

والظروف المناسبة، والتوفيق للقبول والاستجابة.

ومن خلال الآية الكريمة، وعلى ضوء ما حدد به الفقهاء معنى الرشد، الذي يشترط توفره لإقرار أهلية التعاقد وصلاحيته التصرف عند الإنسان، يمكننا الإشارة إلى أهم سمات وصفات المجتمع الراشد.

### ١. الوعي والمعرفة:

إذا كان الفقهاء يعتبرون القدرة على تمييز المصلحة، والتفريق بين النافع والضار، هو أول مستويات الرشد، التي يترتب عليها الأثر الشرعي والقانوني، لجهة الاعتراف بأهلية الإنسان واستقلال شخصيته، فيمكننا أن نقبس من ذلك تحديد أول مستويات الرشد الاجتماعي، وهو وعي المجتمع ومعرفته بالأمور والشؤون التي ترتبط بواقعه، ليتمكن من تشخيص مصلحته، والتفريق بين ما ينفعه أو يضره كمجتمع.

إن كثيراً من الناس في المجتمع يستغرقون في همومهم الذاتية الشخصية، أو ينشغلون بمسائل جانبية ثانوية، ولا يلتفتون لقضايا مجتمعتهم، ولا يعون الظروف والأوضاع التي تُحيط بآمتهم.

يحدثنا القرآن عن الجماعة الراشدة في العهد الإسلامي الأول، يوم كانوا أقلية في مكة الخاضعة لأجواء الشرك آنذاك، كيف كانوا مهتمين بنتائج معركة بين الروم والفرس، تجري في أدنى أرض الروم وأقرب نقاطها إلى الفرس، ومع هذا البعد الجغرافي، إلا أن المؤمنين في مكة كانوا يتابعون المعركة، وحينما انتصر الفرس المشركون على الروم الكتابيين، تأثر المؤمنون لهزيمة الروم، رغم عدم وجود تواصل أو تحالف بينهم، مما يدل على وعي وإدراك بأبعاد تلك الحرب، وآثارها وانعكاساتها، لذلك أنزل الله تعالى سورة كاملة من القرآن باسم سورة (الروم)، تتحدث عن تلك المعركة، وعن تفاعل المؤمنين مع نتائجها، ويبشرهم بتغيير المعادلة خلال فترة زمنية وجيزة، حيث سينتصر الروم في بضع سنين قادمة، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نُغَلِّبِ الرُّومَ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ

سَيَغْلِبُونَ. فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿سورة الروم الآية ١-٤﴾.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار دور الشهادة على العالم، الذي أناطه الله تعالى بالمؤمنين ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة البقرة الآية ١٤٣]. فإن ذلك يعني ضرورة تطلع المجتمع الإيماني إلى أرفع مستوى من الوعي، يتمكن به من مراقبة التحولات العالمية، والمعادلات الدولية، فضلاً عن وعيه بأوضاعه وقضاياها، يقول الإمام علي (عليه السلام): «لا بد للعاقل من ثلاث: أن ينظر في شأنه، ويحفظ لسانه، ويعرف زمانه»<sup>(١)</sup>.

## ٢. حسن التصرف:

كيف يتصرف المجتمع تجاه الظروف والمشاكل والأزمات؟ هل تسوده حالة الاستسلام وانتظار المعجزة من المجهول؟ أم تسيطر عليه الانفعالات والأحاسيس، ويجرّكه الحماس المجرد عن التخطيط السليم؟ أم يواجه التحديات بتفكير موضوعي، وبرامج حكيمة؟

يقاس رشد المجتمع ونضجه بما يختار ويسلك من هذه الخيارات، فالانزمام أمام المشكلة، يكشف عن فقد الإرادة وضعف الثقة، بينما الوقوع تحت حالة العاطفة والانفعال، وغياب الحكمة والتعقل، قد يضاعف المشكل ويعمّق الأزمة.

وما يقتضيه الرشد هو حسن التصرف، واتخاذ الموقف المناسب في الطرف المناسب، فقد يستلزم الطرف شدة وقوة، وقد يستدعي حماسة وانفعالاً، وقد يتطلب مرونة واستيعاباً.

وفي سيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أروع النماذج والأمثلة لحسن التصرف في الظروف

(١) بن شعبة الحراني: الحسن بن علي، تحف العقول ص ١٤٤، الطبعة الخامسة ١٩٧٤م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

المختلفة، فالمسلمون الأوائل مع رسول الله ﷺ كانوا كما وصفهم الله تعالى ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [سورة الفتح الآية ٢٩] والمعارك والغزوات التي خاضوها تكشف عن شجاعتهم وتضحياتهم، لكن هؤلاء الأشداء على الكفار، تقبلوا صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة، بما تضمنته اتفاقية الصلح من شروط لصالح المشركين في ظاهرها، وعلى حساب عزة المسلمين، حتى إن بعض الأصحاب سيطرت عليه حالة الحماس والانفعال، واعترض على ما حصل، كما يذكر ابن هشام وسائر المؤرخين: أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ألسنت برسول الله؟ قال: بلى، قال أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني! قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق، من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً<sup>(١)</sup>.

لقد رفض سهيل بن عمرو والمفاوض من قبل قريش أن يكتب في وثيقة الصلح: بسم الله الرحمن الرحيم، وأصر أن يكتب بدلها: باسمك اللهم. فوافق الرسول ﷺ على ذلك. ثم اعترض سهيل على كلمة «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله» قائلاً: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقط: ووافق الرسول على ذلك أيضاً. واشترط سهيل: أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه، ومع أنه شرط مجحف إلا أن الرسول ﷺ وافق عليه، وحدث أن جاء أحد المسلمين المضطهدين في مكة، يجر القيود والأغلال لاجئاً إلى معسكر المسلمين، وهو أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فقام له أبوه سهيل وضرب وجهه، وطلب من الرسول أن يرده إلى قريش، وأن يرفض لجوءه، فوافق الرسول على ذلك، فصاح أبو جندل: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ مما آثار

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٤٦، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

حماس المسلمين لكن الرسول ﷺ قال له: يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً<sup>(١)</sup>.

ومع كل ذلك اعتبر الله تعالى هذا الصلح فتحاً مبيناً ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [سورة الفتح: الآية ١]، لأن نتيجته كانت في الأخير لمصلحة الإسلام، هكذا يجب أن يتحكم العقل في الموقف، وليس العاطفة المجردة، والمجتمع الراشد هو الذي يقوم الظرف، ويتخذ الموقف المناسب تجاهه بموضوعية وتفكير.

### ٣. الاستفادة من الإمكانيات:

لكل مجتمع إمكانياته الطبيعية والبشرية، التي تختلف وتتفاوت من مجتمع لآخر، وما يميز المجتمع الراشد عن غيره، هو الاهتمام باكتشاف الإمكانيات، والعمل على استثمارها والاستفادة منها، وتوظيفها في مصلحة تقدم المجتمع.

إن بعض المجتمعات تهمل مواردها الطبيعية، وتتجاهل كفاءات وقدرات أبنائها، بينما تسعى المجتمعات الواعية، لتنمية مواردها، والاستفادة من إمكانياتها الطبيعية والبشرية بأكبر قدر ممكن.

وهذه قبرص الجزيرة الصغيرة القريبة منا تشكل مثلاً للاستفادة من الإمكانيات الطبيعية، فهي تقع في الركن الشمالي الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، وتبعد عن جنوب تركيا ٦٤ كم وعن غرب سوريا ١٠٠ كم، ويقل سكانها عن السبعمئة ألف نسمة، وهم في مستوى معيشي مرتفع كالأوروبيين، وتبلغ نسبة المتعلمين فيهم ٩٠٪ ومع أنهم ليست لديهم ثروات نفطية ومعدينية، لكنهم استثمروا الطبيعة الخلابة وحولوا بلادهم إلى منطقة سياحية مهمّة، تشكل السياحة فيها مورداً اقتصادياً أساسياً، إضافة إلى الإنتاج الزراعي الوفير.

وفي مجال استثمار الموارد البشرية تقدم اليابان مثلاً رائعاً، حيث تكمن قوتها العلمية

(١) المصدر السابق ص ٣٤٧.



والاقتصادية، في تطوير مستوى الأداء التكنولوجي والصناعي لأبنائها، فاليابان الآن قوة اقتصادية عظمى في العالم رغم قلة مواردها الطبيعية، فهي تستورد كثيراً من المواد الخام التي تحتاجها الصناعات.

وكم تمتلك مجتمعات أمتنا الإسلامية من قدرات وإمكانات هائلة، لكن ما تحتاجه هو التوجه لاستثمارها وتنميتها وتوظيفها من أجل التقدم والازدهار.



## منطلقات التجديد

كلمة الجمعة بتاريخ ١٩ ذو القعدة ١٤٢٠ هـ



يمتاز تاريخ حياة الإنسان بأنه حافل بالتطورات والتغيرات، بينما سائر الكائنات الحيّة، تتسم حياتها بنسق واحد، وطريقة واحدة، طوال التاريخ، إن بعض الحيوانات قد تقوم بمهام، وتؤدي أدواراً تبهر الإنسان بروعتها وإتقانها، لكنها تقوم بذلك ضمن وضع رتيب، وكيفية ثابتة، لا يطرأ عليها أي تجديد أو تغيير.

فالنحلة مثلاً، هذه الحشرة الجميلة النافعة، التي تنتج لنا العسل، وتنتج شمع العسل، الذي نستخدمه في منتجات عديدة، كالصمغ والشموع ومستحضرات التجميل، كما تنقل حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى، فتساعد النباتات على التكاثر.

هذه النحلة تعيش ضمن مستعمرة نموذجية، في قفائر أو خلايا نحل، على شكل صندوق يحتوي على قرص العسل، وهو كتلة من الحجيرات السداسية الشكل، تبنيه شغالات النحل، من الشمع الذي تنتجه أجسامها، وتحتوي كل ١٠ سم على نحو ٦٠ خلية سداسية وتضم بعض المستعمرات ما بين ٥٠ ألف و ٦٠ ألف نحلة. من بينها ملكة واحدة، مهمتها الوحيدة، وضع البيض بمعدل ٢٠٠٠ بيضة في اليوم في الربيع، أي بيضة واحدة كل نحو ٤٣ ثانية، وتضم المستعمرة بضع مئات من الذكور من نسل الملكة، لا عمل لها إلا إخصاب الملكة فقط، لكن ليس الملكة التي أنجبته، لأنها تتزاوج في العادة من ذكور مستعمرة أخرى. وهناك آلاف من النحل الشغالات، تقوم بأعمال تنظيف

الخلية، وتغذية نحل العسل وتنميته وإنتاج الشمع، وبناء خلايا قرص العسل، وحراسة مدخل الخلية، وتسلم الرحيق المجموع عن طريق النحل.  
وتستطيع النحلة الشغالة أن تطير بسرعة ٢٥ كم في الساعة، وتجمع في حياتها رحيقاً يكفي لصناعة ٤٥ جم من العسل.  
هذا الترتيب الرائع والتنظيم المتقن لحياة النحل، هو وضع ثابت مضى عليه الآن منذ وجود النحل ما يقرب من ٨٠ مليون سنة حسب تقدير العلماء، لم يلامسه تغيير أو تطوير<sup>(١)</sup>.

### ١. التطور مميزة الإنسان؛

الإنسان وحده يملك العقل، وبه يتمكن من التطوير والتجديد في حياته، أما سائر الحيوانات والكائنات، فتسيرها غرائزها وطبيعتها التي خلقها الله تعالى عليها، ولا قدرة لها على التفكير والتغيير، لذا تبقى طريقتها في الحياة ثابتة رتيبة، بينما تستمر التطورات والتحويلات في حياة الإنسان.  
وكلما اتجه الإنسان لعقله، واستخدم فكره، وارتقى بعلمه ومعرفته، زادت وتيرة التجديد والتغيير في حياته. وبذلك يرتفع إلى مستوى تميزه كإنسان.. وإذا ما تجاهل قدراته العقلية، وجمّد تفكيره، ولم يَنمَّ علومه ومعارفه، عاش حياة الركود والجمود، ليقرب من حضيض عالم الحيوانات الرتيب.  
والدارسون لتاريخ التحويلات في حياة البشر، يلحظون مدى علاقتها بالمستوى الفكري والعلمي للإنسان، لذا فإن جيلنا الحالي يبدو كأنه قد ولد في منتصف التاريخ، لأن ما حدث لجيلنا منذ ولادته حتى الآن، يعادل تقريباً كل ما حصل في التاريخ البشري منذ آدم ﷺ حتى اللحظة الراهنة.

(١) الموسوعة العربية العالمية ج ٢٥ ص ٢٦٨ - ٢٧٨، الطبعة الثانية ١٩٩٩ م، الرياض.

وكمثال على ذلك: في سنة ٦٠٠٠ قبل الميلاد، كانت أسرع وسيلة نقل للمدى البعيد، متوفرة لدى الإنسان هي الجمال، بمتوسط ٨ أميال في الساعة، وظل هذا المستوى إلى حوالي ١٦٠٠ سنة قبل الميلاد، حين اخترعت العرب ذات العجلات، وارتفع معدل السرعة إلى حوالي ٢٠ ميلاً في الساعة، وبقي هذا المستوى آلاف السنين، وفي الثمانينات من القرن الماضي، وبفضل القاطرات البخارية المتطورة، استطاع الإنسان أن يصل إلى سرعة ١٠٠ ميل في الساعة. لكنه بعد ٥٨ عاماً على استخدام القاطرات البخارية، استطاع في سنة ١٩٣٨ م أن يطير بسرعة ٤٠٠ ميل في الساعة، أربعة أضعاف المستوى السابق، وبعد عشرين عاماً، في الستينيات من هذا القرن وصلت سرعة الطائرات الصاروخية إلى ٤٠٠٠ ميل في الساعة، واستطاع الإنسان أن يدور حول الأرض في كبسولات الفضاء التي تسير بسرعة ١٨٠٠٠ ميل في الساعة<sup>(١)</sup>.

إذاً، فالتطور والتجديد علامة على ارتقاء الإنسان في مستوى تميزه عن سائر الكائنات، ومؤشر على استشهاده لنعمة العقل التي حباه الله تعالى بها.

## ٢. الكون تجدد مستمر:

هذا الكون الذي نعيش فيه، هو في حالة صيرورة دائمة، وتجدد مستمر، فهناك نجوم جديدة تنشأ في الفضاء باستمرار، ويقرر الفلكيون أنهم لا يعرفون مدى اتساع الكون، فربما يمتد إلى ما لا نهاية، واكتشف الفلكيون أن معظم المجرات يتحرك بعضها بعيداً عن بعض بسرعة فائقة، وبالإضافة إلى ذلك يبدو أن المجرات الأكثر بعداً عن الأرض هي الأسرع تحركاً، ولهذا فإن معظم العلماء يعتقدون أن الكون يتسع باطراد، ففضاء العالم المتشكل من مليارات المجرات في حالة انبساط سريعة، والبحوث الفضائية أشارت إلى وجود أدلة على أن هناك حالة تكون لمجرات جديدة في أعماق الفضاء..

(١) قافلة الزيت ص ١٦ عدد محرم ١٤١٦ هـ.

وتلك حقيقة يقرها القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة الذاريات الآية ٤٧]. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [سورة الرحمن الآية ٢٩]. فحالة الصيرورة في الكون مستمرة بيد الله تعالى، وفي كل يوم، والمقصود باليوم هنا الوقت، أي كل وقت ولحظة، وليس الوقت الخاص من الفجر إلى آخر الليل. ففي كل لحظة هناك شأن عظيم وحدث مهم يحصل في الكون.

قال الألوسي: فإنه تعالى لا يزال ينشئ أشخاصاً، ويفني آخرين، ويأتي بأحوال، ويذهب بأحوال، حسبما تقتضيه مشيئته عز وجل المبنية على الحكم البالغة، وأخرج البخاري في تاريخه، وابن ماجه، وابن حبان، وجماعة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: « من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين »<sup>(١)</sup>. وجاء في خطبة للإمام علي عليه السلام: « الحمد لله الذي لا يموت ولا تنقضي عجائبه، لأنه كل يوم هو في شأن من إحداث بديع لم يكن »<sup>(٢)</sup>.

وأجسامنا كجزء من هذا الكون تعيش حالة من التغيير والتجديد الدائم، فالمواد الزلالية التي توجد في خلايا دمائنا تتلف ثم تتجدد، ومثلها جميع خلايا الجسم تموت وتحل محلها خلايا جديدة، وتفيد البحوث العلمية أن دم الإنسان يتجدد تجدداً كلياً خلال ما يقرب من أربع سنين، وتتغير جميع ذرات الجسم في بضع سنين، فالجسم كنهر جارٍ. ففي كل دقيقة تموت في جسم الإنسان نحو ثلاثة بلايين خلية، وفي نفس الدقيقة يتولد عدد جديد مماثل من الخلايا، بالانقسام الخلوي، عوضاً عن الخلايا الميتة، وخلايا الجلد الميتة تتقشر، بينما تمر الخلايا الميتة من خلايا الأعضاء الداخلية إلى خارج الجسم مع

(١) الألوسي البغدادي: السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن ج ٢٧ ص ١١٠ الطبعة الرابعة ١٩٨٥ م دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) الحويزي: تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٩٣ الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ مؤسسة إسماعيليان، قم.



الفضلات، ويتفاوت المدى الزمني للخلايا، فخلايا الدم البيضاء مثلاً تعيش لمدة ١٣ يوماً، بينما تعيش خلايا الدم الحمراء لمدة ١٢٠ يوماً، وخلايا الكبد حوالي ١٨ شهراً، أما الخلايا العصبية فتعيش حوالي ١٠٠ سنة<sup>(١)</sup>.

إذاً، فهناك حركة تجدد داخل جوهر الأشياء، وكان الفلاسفة يعتقدون أن الحركة غير ممكنة في جوهر ذات الجسم أبداً، لأنه في كل حركة يجب أن تكون ذات الجسم المتحرك ثابتة، إلا أن عوارضه قد تتغير، وإلا فإن الحركة لن يكون لها مفهوم. لكن الفلاسفة المتأخرين قد رفضوا هذه النظرية، واعتقدوا بالحركة الجوهرية، وقالوا: إن أساس الحركة هي الذات (الجوهر) التي تظهر آثارها في العوارض، وأول من بين هذه النظرية بشكل تفصيلي استدلالاً هو المولى صدر الدين الشيرازي حيث قال: إن كل ذرات الكائنات وعالم المادة متحركة، أو بتعبير آخر، إن مادة الأجسام وجودية، كالماء الجاري الذي تكون ذاته متغيرة، وفي كل لحظة يصبح له وجود جديد، يختلف عن الوجود السابق له، ولكون هذه التغيرات متصلة مع بعضها فإنها تحسب شيئاً واحداً<sup>(٢)</sup>.

#### أهداف التأمل والنظر في الكون :

وحينها يأمرنا الله تعالى بالتأمل والنظر في الكون، ويلفتنا إلى حالة التجدد والإبداع الدائم في الخلق، فذلك للأهداف التالية:

أولاً: إدراك عظمة الخالق القدير سبحانه.

ثانياً: الوعي بطبيعة السنن الحاكمة في الوجود فلا يصيبنا اليأس والقنوط.

ثالثاً: فهم دور التغيير والتجديد في حركة الحياة.

فنستوحي من ذلك الدرس والعبرة في تعاملنا مع أوضاعنا الاجتماعية، وسلوكنا

الحياتي.

(١) الموسوعة العربية العالمية ج ١٠ ص ١٤٧ الطبعة الثانية ١٩٩٩ م الرياض.

(٢) الشيرازي: الشيخ ناصر مكارم، الأمثل ج ١٧ ص ٣٤٧ الطبعة الأولى ١٩٩٢ م مؤسسة البعثة، بيروت.

### ٣- سباق التطور

الحياة ميدان سباق يتفوق فيه رواد التطوير والتجديد، فالمجتمع الأكثر تجديداً، والأسرع تطوراً، يحرز التقدم ويفرض نفوذه وهيمته، بينما المجتمع الراكد البطيء الحركة تتأسن أوضاعه، ويصيبه الهرم، ويصبح متخلفاً، يخضع لهيمنة المتقدمين. وخاصة في هذا العصر، حيث انعدمت المسافات، وسقطت الحدود والحواجز، ولم يعد هناك مجال للتوقف والجمود، فإما أن تكون منتجاً لحركة التطوير والتجديد، أو متهيئاً لاستقبالها واستيعابها بدرجة ثانية، حتى لا تصطدم مع ثوابتك ومبادئك، وإلا فستعصف بك حركتها الجارفة، دون خيار منك، لتصبح تابعاً مستهلكاً لما ينتجه الآخرون، من سلع وأفكار وبرامج وسلوكيات.

### ٤- مواجهة التحديات

في مسيرة الحياة تواجه المجتمع مشاكل وتحديات، قد تتطلب مواجهتها نوعاً من التجديد في الأفكار، والتطوير في البرامج، والتحديث في الوسائل والأساليب، فإذا تلكأ المجتمع في حركة التغيير، وتشبث بما تعود عليه وألفه، فستهمه التحديات، وتعرقل مسيرته المشاكل والأزمات.

ونلاحظ كيف أن تحديات الطبيعة، ومشاكل الحياة، هي التي دفعت الإنسان للاكتشاف والاختراع، فابتدع الأساليب والوسائل في مختلف المجالات، وبذلك تجاوز تلك التحديات والمشاكل إلى حد كبير، وكذلك الحال على المستوى الاجتماعي، لا بد من إبداع وتطوير، يمكن المجتمع من مقاومة سلبيات الواقع، والتغلب على إفرازات الظروف والأوضاع.

### ٥- الإسلام: دعوة للتجديد

واجهت رسالات السماء حالة الجمود في مجتمعاتها، والتشبث بما ورثوه من

أسلافهم، وألفوه في حياتهم، ودعت المجتمعات إلى التحرر من أسر الماضي وأغلال الحاضر، والأخذ بالحق والصواب.

لكن منطق الرجعيين أمام أنبيائهم كان: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف الآية ٢٢].

فما سار عليه الآباء، وما اعتاد عليه المجتمع، يجب أن يبقى ويستمر، وأي طرح جديد، يواجه بتحفظ ورفض، تحت شعار: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ﴾ [سورة المؤمنون الآية ٢٤].

والإسلام كرسالة خاتمة للرسالات السماوية، يدعو البشرية للانفكاك من القيود التي تعيق وتمنع حركتها نحو الحق والتقدم، يقول تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الأعراف الآية ١٥٧].

ويهيب بالإنسان أن يفتح على الآراء والأفكار المختلفة، ليكتشف الأفضل منها ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [سورة الزمر الآية ١٨].

ويذم عقلية الركود وحالة الجمود، لأنها تنتهي بالإنسان إلى التخلف عن ركب الحياة، وتجعله في عداد الأموات، ورد في رواية عن الإمام جعفر الصادق ﷺ: «من اعتدل يومه فهو مغبون، ومن كان في غده شرًّا من يومه فهو مفتون، ومن لم يتفقد النقصان في نفسه دام نقصه، ومن دام نقصه فالموت خير له»<sup>(١)</sup>.

وبالمضمون نفسه هناك رواية عن الإمام موسى الكاظم ﷺ<sup>(٢)</sup> وأخرى عن الإمام علي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

تلك هي أهم المنطلقات التي تنبثق منها حركة التطوير والتجديد في حياة الإنسان

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٧.

(٣) المصدر السابق ج ٧٤ ص ٣٧٧.

المسلم، وللتجديد مناهجه وضوابطه، ومجالاته وآلياته، ليكون في مصلحة الإنسان ومنسجماً مع المبادئ والقيم.

## روح التجديد

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٦ ذو القعدة ١٤٢٠ هـ



لماذا ترتفع وتيرة التجديد والتطوير وتمشي سريعة في بعض المجتمعات، بينما تكون منخفضة بطيئة أو شبه معدومة في مجتمعات أخرى؟  
قد يقول البعض: إن السبب في ذلك توفر الإمكانيات هنا، وافتقادها أو قلتها هناك، فالمجتمع الذي يمتلك الإمكانيات والثروات، يمكن أن تنطلق فيه مسيرة التطوير، أما المجتمعات الفقيرة فقدورها أن تعيش راكدة جامدة.

وقد يرى آخرون أن للمسألة علاقة بجذور المجتمع وتاريخه، فإذا كان ينتمي لماضي حضاري، وتاريخ عريق، فإن ذلك سيدفعه للتغيير والتقدم، أما إذا كان مجتمعاً حديث التكوّن، أو كان ماضيه خاملاً، فإنه سيشكل امتداداً لتاريخه السابق.  
وقد يذهب طرف ثالث إلى تأثير واقع المجتمع على إمكانية حركته، من حيث حرية المجتمع واستقلاله، أو وقوعه تحت هيمنة معادية، أو قوة مناوئة، تشل إرادته وتمنع تقدمه.

هذه الآراء وأمثالها وإن كانت تتضمن شيئاً من الحقيقة، وتعكس جانباً من الصورة، لكنها لا تكشف لنا سر المفارقة وجوهر الإشكالات، فتاريخ الحضارات والأمم المعاصرة، يحدثنا عن مجتمعات قليلة الثراء، حققت معاجز التقدم كاليابانيين. ومجتمعات ناشئة أصبحت في القمة كالأمريكيين، ومجتمعات محاصرة مهزومة، تجاوزت واقعها،

وبنت قوتها من جديد، كألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية. بينما نجد أمماً أخرى تمتلك الثراء والعمق التاريخي، والظروف الخارجية المناسبة، إلا أنها تعيش حضيض التخلف والجمود.

يذكر (باول كندي) في كتابه (التحضير للقرن الواحد والعشرين): أن كوريا وغانا كانا يعيشان مستوى اقتصادياً متقارباً عام ١٩٦٠م، وكان دخل الفرد في البلدين بحدود ٢٣٠ دولاراً في السنة، وبعد ثلاثين عاماً (سنة ١٩٩٠م) تضاعف دخل الفرد في كوريا إلى اثني عشر ضعفاً، ليصبح ٢٧٦٠ دولاراً، بينما بقي دخل الفرد الغاني على حاله ٢٣٠ دولاراً!!

كما أن اليابان ومصر بدأ نهضتهما الحديثة في سنة واحدة، وكانت اليابان تعيش ظروفاً صعبة قاسية، في أعقاب هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، وإصابتها بالقنابل الذرية، ولكن كم هو الفارق الآن بين تقدم اليابان ومصر؟ فالنهضة والتجديد روحٌ وحالةٌ داخلية، قبل أن تكون ظروفاً وإمكانات خارجية، فإذا ما سرت هذه الروح في جسد أمة، بعثت فيه الحركة والنشاط، وانطلق يبحث عن الإمكانيات، ويصنع التاريخ، ويواجه التحديات. وإذا افتقدت أمة هذه الروح، تحولت حياتها إلى موت، وإمكاناتها إلى فقر وحرمان، وتكالب عليها الأعداء من كل جهة وجانب.

لذلك يركز القرآن الكريم على أهمية تغيير النفس، ويعتبره الشرط الوحيد لتغيير الواقع الخارجي، فالانطلاق يبدأ من داخل نفس الإنسان والأمة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد الآية ١١].

ومهما امتلك المجتمع من كفاءات وقدرات، وتوفر له من إمكانيات وثروات، فإنه بدون روح النهضة والتجديد لا يحقق لنفسه شيئاً، بل يبدد إمكانياته هدرًا، وتذهب ثرواته هباءً، ويعيش جموداً يقترب به من حياة البهائم، كما يقول تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا



يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿سورة الأعراف الآية ١٧٩﴾.

إنهم غافلون عما منحهم الله تعالى من نعم، وأهمها نعمة العقل والتفكير ﴿هُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ وحتى جوارحهم وحواسهم لا يستفيدون منها الاستفادة المطلوبة ﴿وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ فلن تتطور حياتهم إذاً، بل تكون كحياة الأنعام راكدة جامدة، بانصرافهم عن هدي الله تعالى، ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ وإذا كانت الأنعام معذورة لأنها غريزة بلا عقل، فما عذر الإنسان؟ إذاً ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ وأسوء حالاً من البهائم.

وفي آية أخرى يؤكد الباري عز وجل على أهمية داخل الإنسان، وما تنطوي عليه أعماق نفسه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنفال الآية ٢٣] فإذا كانت النفوس لا تنطوي على خير، ولا تحمل رغبة ولا إرادة للتطور والتغيير، فلن تنفعها أية محاولة أو فرصة خارجية.

### سمات وصفات الإبداع:

إن روح التجديد والتطور، تعني امتلاك صفات وسمات، تملأ حياة الإنسان بالحيوية والنشاط، وتدفعه للإبداع والإنجاز، وتجعله يتخطى العقبات والحواجز، وسنبحث أهم تلك السمات.

#### ١. التطلع والطموح:

الواقع الذي يعيشه الإنسان إذا كان سيئاً متخلفاً، فإنه لا يشكل حتمية ثابتة، ولا قدراً مفروضاً، بل هو نتاج أسباب وعوامل قابلة للتغيير والتبدل، وفي طليعتها كسب الإنسان نفسه، فهو يتحمل بالدرجة الأساس مسؤولية الواقع الذي يعيشه. يقول تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [سورة الشورى الآية ٣٠].

وبذلك فالفرصة متاحة للإنسان لكي يتخلص من ذلك الواقع السيئ، حينما يرفض الاستسلام له ويتطلع لتجاوزه، والتاريخ حافل بالتغيرات الاجتماعية، فكم من مجتمع مستضعف أصبح قوياً، وكم من حضارة سادت ثم بادت، وإرادة الله تعالى مع كل مجتمع يسعى للنهوض ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [سورة القصص الآية ٥].

وإذا كان الواقع المعيش حسناً جيداً، فإن على الإنسان أن لا يعتبر واقعه نهاية وسقفاً، ولا يستولي عليه الغرور والإعجاب، فيتوقف عن التقدم، وإذا لم يتقدم فإنه يتخلف، يقول الإمام علي عليه السلام: « من جهل اغتر بنفسه وكان يومه شرّاً من أمسه »<sup>(١)</sup>، « من اغتر بحاله قصر عن احتياله »<sup>(٢)</sup>، « الإعجاب يمنع الازدياد »<sup>(٣)</sup>.

إن التطلع إلى الأفضل، والطموح إلى الأحسن، هو الشرارة الأولى التي تنقذ بها حركة التجديد والتغيير، بينما الخمول والرضا بالواقع والاستسلام له، أو الغرور والإعجاب بما تحقق، يجعل الإنسان يراوح في مكانه، ولا يحافظ عليه بالتالي بل يتراجع عنه.

إن المؤسسات الناجحة هي التي تقوم أداءها بشكل منتظم، وتخطط لرفع المستوى، وزيادة الفاعلية والإنتاج.

وتعاليم الإسلام توجهنا إلى التطلع والطموح الدائم، في مختلف المجالات، ففي دعاء مكارم الأخلاق، للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام تذكير للإنسان بالتفكير في التقدم، على صعيد الإيمان والمعرفة والعمل، ويأتي هذا التوجيه على شكل دعاء وطلب، يلتمسه الإنسان من ربه، ليتجذر في أعماق نفسه، ويتحول إلى برنامج في حياته، يقول

(١) الأمدى التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الدعاء: « وبلغ يا أيها أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وانته بنيتي إلى أحسن النيات، وبعلمي إلى أحسن الأعمال ». وفقرات الدعاء تعني أن أي مستوى من الإيمان أو اليقين أو النية الحسنة والعمل الصالح، لا يشكل نهاية ولا حدًا أخيرًا، وإنما يبقى أفق الكمال والتقدم مفتوحاً أمام الإنسان، لتحقيق الأحسن والأكمل والأفضل.

## ٢. الثقة بالنفس:

حينما يرى الإنسان إنجازات الآخرين وإبداعاتهم، فيجب أن يدفعه ذلك للثقة بنفسه، والتوجه إلى تفجير قدراته وطاقاته، فهو إنسان مثلهم، يمتلك ما يمتلكون من عقل وإرادة، وكما استخدموا عقولهم، ومارسوا إرادتهم، فأبدعوا وأنجزوا، فعليه أن يفعل مثل ذلك لكي يبدع ويتبع. هذا هو المنهج الصحيح. لكن بعض الناس على العكس من ذلك ينهرون بإنجازات غيرهم، إلى حدّ فقد الثقة بأنفسهم، وتجميد عقولهم وطاقاتهم، بحيث لا يرون أنفسهم قادرين على المجازاة والمماثلة، فضلاً عن التفوق والتقدم. وبهذا تتوقف الحركة، ويتعذر التطوير والتجديد.

وتارة يكون الانبهار بالسلف، كجيل سابق، أو شخصيات تاريخية، تُضفي عليها هالة من التقديس والتعظيم، فتكون سقفاً لفكر من بعدها، وحدًا في الإنجاز لا يمكن تحطيه وتجاوزه. فيتم الوقوف عند مستوى فهم السلف، وطريقة حياتهم، أو تعظيم شخصية كان لها شأن، ودور تاريخي مميز، لا يجراً أحد على نقدها، أو مخالفة آرائها ونظرياتها.

إن غير المعصوم مهما كانت كفاءته وقدرته، فهو بشر محدود بزمانه وظرفه، واجتهاده لا يمنع من بعده من الاجتهاد، ورأيه يحتمل فيه الخطأ والصواب.

إن أسلاف الأمة الصالحين ينبغي تقديرهم، والاستفادة من آرائهم وتجاربهم، لكن لا ينبغي الوقوف عند حدود فهمهم، فقد حباننا الله تعالى عقولاً كما حبانهم، وخاطبنا بوحيه كما خاطبهم، ولعل بعض آرائهم أو أساليب تعاملهم، كانت من وحي ظروفهم،

كما أن تطور الحياة وتراكم التجارب، قد تفتح لنا آفاقاً أو تكشف لنا أموراً، لم تكن متاحة لهم.

والشخصيات القيادية في مجالات العلم أو العمل، مهما كان مستوى علمها، أو حجم عملها، فإن أحداً منها لا يشكل نهاية للعلم، ولا سقفاً للعمل، و « كم ترك الأول للآخر » كما يقول شاعر عربي، ويقول شاعر آخر:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

وأصدق من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف

الآية ٧٦].

وكمثال على دور تقديس الشخصيات، والانبهار بها إلى حدّ التوقف والجمود، نشير إلى ما ذكره العلماء في ترجمة الشيخ الطوسي محمد بن الحسن رحمه الله (٣٨٤هـ - ٤٦٠هـ) إنه لعظم مكانته العلمية، في نفوس تلامذته ومن بعدهم فقد « مضت على الشيعة سنون متطاولة وأجيال متعاقبة، ولم يكن من الهين على أحد منهم، أن يعدو نظريات شيخ الطائفة - الطوسي - في الفتاوى، وكانوا يعدون أحاديثه أصلاً مسلماً، ويكتفون بها، ويعدون التأليف في قبالها، وإصدار الفتاوى مع وجودها، تجاسراً على الشيخ وإهانة له، واستمرت الحال على ذلك حتى عصر الشيخ ابن إدريس - محمد بن أحمد بن إدريس الحلي توفي ٥٩٨هـ - فكان يسميهم بالمقلدة، وهو أول من خالف بعض آراء الشيخ وفتاواه، وفتح باب الرد على نظرياته»<sup>(١)</sup> ولولا شجاعة الشيخ ابن إدريس، وتحليه بالثقة بالنفس، ورفضه لحالة الانبهار والاستلاب أمام شخصية الشيخ الطوسي، لأوشك أن يغلق باب الاجتهاد في الوسط الديني العلمي.

### ٣ - انطلاق العقل:

هناك علاقة وثيقة بين حركة التطوير وحرية التفكير، فإذا قمع الناس عقولهم رهبة

(١) الأمين: السيد محسن، أعيان الشيعة ج ٩ ص ١٦٠ دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٩٨٦ م.

أو رغبة، وسادتهم أجواء الكبت والإرهاب الفكري، بحيث يجبر الإنسان على عقله الانطلاق خارج المألوف، أو أن المجتمع يرفض الآراء المتطورة الجديدة، ولا يعطيها فرصة الطرح والمناقشة والتجربة، فحينئذٍ تتعطل مسيرة التجديد ولا يحصل تطور أو تغيير.

إن حرية الفكر والرأي حق أساس من أهم حقوق الإنسان، بها يشعر الإنسان بإنسانيته، ويستثمر أعظم نعمة وهبها الله تعالى له، وهي نعمة العقل، وعبرها يتمكن من تسخير الكون، وإعمار الحياة، حيث أراد الله تعالى منه ذلك.

وقد اهتم الإسلام بحماية هذه الحرية وضمانها، وترشيد أدائها، حتى لا تقع تحت تأثير الأهواء والشهوات، فأيات كثيرة في القرآن الكريم، تدعو الإنسان بإلحاح لاستخدام عقله، وتفعيل تفكيره، في مختلف الجوانب والمجالات، ففي سياق الحديث عن الكون والحياة وفي قضايا المجتمع والدين، يتكرر قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف الآية ١٠٩] و﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة الآية ٧٣] و﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية ٥٠].

وإذا كان الدين يأمر بالتفكير وإعمال العقل، فلا يمكن أبداً أن يرضى بمصادرة حرية الرأي، أو إرهاب الفكر، نعم هناك ضوابط لحماية هذه الحرية من عبث العابثين وإفساد المغرضين.

#### ٤. الشجاعة والجرأة:

قد يكشف الإنسان خطأ فكرة من أفكاره، أو نقطة ضعف في بعض سلوكياته وممارساته، وقد يتعرف منهجاً أفضل، وأسلوباً أحسن، لشأنٍ من شؤون حياته، لكن تخونه الشجاعة والجرأة، وتأسره العادة التي ألفها، أو تأخذ العزة بالإثم - على حدّ تعبير القرآن الكريم - وهنا يفوت على نفسه فرصة التطوير والتجديد، واختيار الأصح والأفضل.

صحيح أن للعادات ضغطها ونفوذها في حياة الإنسان، كما يقول الإمام علي (عليه السلام):

« للعادة على كل إنسان سلطان »<sup>(١)</sup> و « أصعب السياسات نقل العادات »<sup>(٢)</sup>.

لكن قوة الإرادة تستطيع أن تواجه سلطان العادة، والإنسان الواعي هو الذي ينتزع قراره من ضغوط العادات ونفوذها، يقول الإمام علي عليه السلام: « غالبوا أنفسكم على ترك العادات وجاهدوا أهواءكم تملكوها »<sup>(٣)</sup>، « ذلوا أنفسكم بترك العادات وقودوها إلى أفضل الطاعات »<sup>(٤)</sup>.

وعلى الصعيد الاجتماعي، فإن بعض المجتمعات تتحلى بمرونة كافية، وتمتلك شجاعة وجرأة، لتغيير بعض عاداتها وأعرافها، حينما يتضح لها ما هو أفضل منها، لكن مجتمعات أخرى تتشبث بما ألفت وتعودت، وإن كان ذلك على حساب مبادئها ومصالحها.

وكمثال على ذلك بعض العادات المتداولة في مناسبات الزواج والعزاء، التي تستلزم الكثير من التكاليف والنفقات، وتسبب إرهاقاً وعناءً، ورغم أن أكثر الناس يرونها عبئاً ثقيلاً يتمنون الخلاص منه، وهناك قناعة نظرية بذلك، لكن الشجاعة والجرأة لا تتوفر بالمقدار المطلوب لتغيير هذه العادات، واستبدالها بالأفضل والأسهل.

وأيضاً فقد تعودت بعض مجتمعاتنا الخليجية على نمط معين من الحياة الاستهلاكية، أيام الطفرة الاقتصادية - كما يقولون -، ومع أن الأوضاع الاقتصادية قد اختلفت، وأصبحت ضاغطة على حياة الأغلبية من الناس، إلا أن عادات الفترة السابقة لا زالت تراوح مكانها، لصعوبة تغييرها وتجاوزها بشكل عام.

هذه السمات الأربع: التطلع والطموح، والثقة بالنفس، وانطلاق العقل، والشجاعة والجرأة، هي تجليات روح التجديد، التي إذا سرت في حياة المجتمع، قادت إلى التغيير والتطوير، وإذا فقدت لن تنفع الشعارات والتمنيات، ولا تجدي الطروحات والنظريات.

(١) الأمدى التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

# الاستطاعة للحج وتحديد الأولويات

كلمة الجمعة بتاريخ ٤ ذو الحجة ١٤٢٠ هـ





الحج عنوان لموسم روحي اجتماعي، يتفاعل معه كل المسلمين، الذين يربو عددهم الآن على المليار نسمة، في مختلف أنحاء العالم.

صحيح أن من يشارك فعلاً في مناسك الحج في حدود المليون شخص، لكنهم ينتمون لمختلف الأعراق والشعوب والمجتمعات الإسلامية، كما أن أنظار جميع المسلمين في هذا الموسم، تشخص باتجاه مكة والمشاعر المقدسة.

والحج عنوان لرحلة مادية معنوية، يقوم بها الإنسان المسلم، بروحه وجسده وأفكاره وأحاسيسه، يقطع فيها مسافات المكان والزمان، ليتعلق بأستار الكعبة أول بيت وضع للناس، وليصافح الحجر الأسود (يمين الله تعالى في الأرض)، وليصلي عند مقام إبراهيم أبي الأنبياء، وليترسم خطوات رسول الإسلام محمد ﷺ، حيث نشأ في بطاح مكة وانطلق بدعوته من غار حراء.

وإذا كان الحج معناه اللغوي: القصد على جهة التعظيم، ومعناه الشرعي: القصد إلى بيت الله الحرام بأعمال مخصوصة في أوقات مخصوصة، حسب تعريف (أبي البقاء) في الكلديات. فإنه في الأساس من الظواهر الدينية العامة والقديمة، تقول الموسوعة العربية الميسرة: عرف الحج منذ القدم، ودعت إليه الأديان السماوية الثلاثة، وكذلك عرف في سائر الديانات كالديانة الهندوسية التي من طقوسها الدينية الحج إلى نهر الغانج

(ganges) الذي يقع في الجزء الشمالي من الهند، يخرج من جبال الهملايا، ويجري جنوباً بشرق ليصب في خليج البنغال. ولشهرة الحج كظاهرة دينية اشتهر تعريفه في الموسوعات الثقافية ودوائر المعارف العامة بأنه: رحلة إلى مكان مقدس لغرض ديني. والأغراض الدينية التي يهدف إليها المتدينون من القيام بالحج تختلف باختلاف المعتقد<sup>(١)</sup>.

### فلسفة الحج:

١. أعمال الحج ومناسكه تدرّب الإنسان على الخضوع لله تعالى، فيما يأمر به وينهى عنه، وتؤكد في النفس حالة العبودية والانقياد لأوامره تعالى، على اختلاف أصنافها وأشكالها، ومهما استلزمت من تعب وعناء، وحتى لو لم يعرف الإنسان مقاصدها وأغراضها المباشرة.

بدءاً من عملية الإحرام، حيث ينزع الحاج ما كان اعتاد عليه من الملابس، ليرتدي قطعتي الإحرام إزاراً ورداءً، ومن ثم يتقيد بمحظورات الإحرام، التي تصل إلى ما يقرب ٢٥ محظوراً، على اختلاف في بعضها وفي تفاصيلها بين فقهاء المسلمين. ومروراً بواجب الطواف والسعي، والتقصير أو الحلق، ورمي الجمار والذبح أو النحر، والوقوف بعرفة ضمن زمن محدد، وكذلك المزدلفة، والمبيت بمنى، إلى سائر شعائر الحج ومناسكه، التي تشكل بمجموعها دورة تدريبية، تربي الإنسان على الطاعة والخضوع لخالقه، في مسائل الزمان والمكان، وما يرتبط بجسده، وحركته وسائر تصرفاته وممارساته. يقول الإمام علي عليه السلام: «وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلةً للأمم... وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزته»<sup>(٢)</sup>.

٢. والحج ارتباط واتصال بالمسيرة الإيمانية في بعد الزمان والمكان، والرموز والقيادات

(١) الفضلي: الدكتور عبد الهادي، مبادئ علم الفقه ج ٣ ص ٤.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة ١.

التاريخية، فلا يكون الدين مجرد عقيدة نظرية فكرية، بل حركة مستمرة عبر التاريخ، يرتبط بها المسلم، فيرى موقع انطلاقها، ويعيش في رحاب انبثاقها، ويتفقد الأماكن التي شهدت أحداثها المصيرية، ويخترق الزمان ليتواصل مع حياة الأنبياء، وسيرة الأئمة والأولياء، ومواقف الصحابة والسلف الصالح، فهنا مقام إبراهيم، وهنا حجر إسماعيل، وهنا سعت هاجر، وهنا ولد النبي محمد ﷺ، وفي هذا الغار - غار حراء - كان بدء نزول الوحي والبعثة النبوية، وهنا اختبأ الرسول - في غار ثور - مع صاحبه أبي بكر عند هجرته إلى المدينة، وهنا مسرح بطولات علي بن أبي طالب في بدر وأحد وخيبر والحنديق، وهنا تضحيات الصحابة وشهداء الإسلام الأوائل..

ويشير إلى هذه الحكمة الإمام جعفر الصادق ﷺ في حديثه عن الحج حيث

يقول: «ولتعرف آثار رسول الله ﷺ، وتعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى»<sup>(١)</sup>.

٣. وفي الحج تتجسد أمام المسلم عالمية الإسلام، ويشعر بانتمائه إلى الأمة الإسلامية العريضة، حيث يؤدي مناسك الحج ضمن حشد بشري، من مختلف الأعراق والقوميات والشعوب والقبائل والمذاهب والتوجهات المتعددة، التي يجمعها إطار الإسلام، وتوحدتها شعائره وأصوله وأركانه، فقد يعيش المسلم في بلده وبين قومه، فلا يدرك اتساع رقعة الإسلام، ولا تنوع المجتمعات الإسلامية في انتماءاتها ومذاهبها، لكنه في الحج يلحظ هذا التنوع والتعدد تحت لواء واحد، وفي ظل راية الإسلام الواحدة، فكلهم مسلمون يطوفون حول كعبة واحدة، ويتجهون إليها في صلاتهم، ويرددون هتاف الاستجابة لأوامر الله: لبيك اللهم لبيك، ويقومون بنسك موحد، فنحن جزء من أمة كبيرة، تعيش تنوعاً وتعددية، ضمن المبدأ الواحد، ولا تؤثر تلك الانتماءات الاجتماعية والمذهبية المختلفة، على

(١) ابن بابويه القمي: الشيخ الصدوق، علل الشرائع ص ٤٠٦ المكتبة الحيدرية - النجف ١٩٦٣ م.

حقيقة وحدة الأمة، واجتماعها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٤. وللحج منافع ومكاسبه العظيمة في جميع مجالات حياة الأمة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لذلك يتحدث الخالق تعالى عن منافع الحج بشكل مفتوح مطلق، يقول تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [سورة الحج الآية ٢٧-٢٨]. وتنكير ﴿مَنَافِعَ﴾ للتعظيم والمراد منه الكثرة وهي المصالح الدينية والدينية<sup>(١)</sup>.

ويسأل الربيع بن خيثم الإمام جعفر الصادق ﷺ عن قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ منافع الدنيا أو منافع الآخرة؟ فقال: الكل<sup>(٢)</sup>.

### شرط الاستطاعة :

وإذا كانت سائر العبادات والفرائض الإسلامية يؤديها الإنسان وهو في بلده ومكانه، فإن فريضة الحج تستلزم منه سفراً وحركة وانتقالاً، لذلك جعل الله تعالى فرضها مرة واحدة في العمر، حيث يجب على كل مسلم مكلف، أن يؤدي فريضة الحج ولو كان يعيش في أبعد نقطة من الأرض عن البيت الحرام، لكن ذلك مشروط بالتمكن والاستطاعة، يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران: الآية ٩٧].

وإذا كانت الاستطاعة لغة تعني الاقتدار على فعل الشيء أو الكف عنه، إلا أنها هنا يراد بها ما هو أخص من القدرة، ذلك أن القدرة تعني امتلاك القوة على إنجاز الفعل أو الكف عنه، وإن كان ذلك يستلزم العسر والخرج، لكن الاستطاعة هي المقدرة التي لا يشوبها عسر أو حرج، كما أشار إلى ذلك الشريف المرتضى بقوله: «والاستطاعة عبارة

(١) ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التنوير والتحرير ج ١٧ ص ١٧٨.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب، فروع الكافي ج ٤ ص ٤٢٢ دار الأضواء - بيروت.

عن تسهيل الأمر وارتفاع المشقة فيه، وليست بعبارة عن مجرد القدرة»<sup>(١)</sup>. ويرى جمع من الفقهاء أن الاستطاعة هنا يحددها العرف، فهو الذي يقدر أن المكلف مستطيع أو غير مستطيع، وذلك حسب شأن الإنسان ووضعه الاجتماعي، «فالمراد من الاستطاعة هو المعنى العرفي المتفاهم من هذه الكلمة، فليس للشارع معنى خاص، ولا اصطلاح جديد، بل المراد هو المعنى العرفي، الذي يطلق في سائر الموارد»<sup>(٢)</sup>. وتشمل الاستطاعة سعة الوقت ليكفي للذهاب إلى الأماكن المقدسة وإدراك أيام الحج، وصحة البدن وقوته، وتوفر الأمن والسلامة، والإمكانية المالية.

### تحديد الأولويات:

بالتأمل في المسائل التي يذكرها الفقهاء حول موضوع الاستطاعة، كشرط لوجوب الحج على المكلف، تتجلى لنا قضية مهمة، هي ضرورة تحديد الأولويات في حياة الإنسان، فأمام الإنسان مهام عديدة، وحاجات ورغبات مختلفة، والبعض من الناس ليست له ضوابط يحدد على أساسها أولويات اهتماماته وتوجهاته، بل تستقطبه رغبة معينة، أو يسيره جو يحيط به، فيتجه إلى المهم على حساب الأهم، أو إلى الأمور الثانوية على حساب القضايا الرئيسية، ويحصل هذا في جانب بذل الجهد الفكري، أو الإنفاق المالي، أو الحركة العملية.

بينما يوجهنا الشرع إلى تقديم الأهم على المهم، وهي من القواعد الفقهية التي يعتمدها الفقهاء، وإلى أولوية الفريضة الواجبة على النافلة المستحبة، يقول الإمام علي عليه السلام: «لا قرينة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض»<sup>(٣)</sup> «إذا أضرت النوافل بالفريضة فارفضوها»<sup>(٤)</sup>.

(١) الفضلي: الدكتور عبد الهادي، مبادئ علم الفقه ج ٣ ص ١٥.

(٢) الشيرازي: السيد محمد الحسيني، الفقه ج ٣٨ ص ١٠ الطبعة الثانية ١٩٨٨م دار العلوم - بيروت.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة حكمة رقم ٣٩.

(٤) المصدر السابق حكمة رقم ٢٧٩.

ولعل ما نراه في الجانب الاقتصادي - مثلاً - عند بعض الناس، من الإنفاق على الكماليات والأمور الرفاهية، على حساب القضايا الأساسية، هو نموذج واضح للتغافل عن هذه الحقيقة.

### ضرورات المعيشة :

بالدرجة الأولى يجب أن يهتم الإنسان بتوفير متطلبات حياته المعيشية، من قوت وكسوة وسكن وزواج وعلاج، وسائر الاحتياجات، التي قد تختلف باختلاف المجتمعات، ومستوى الأفراد وشأنهم. وإذا عجز الإنسان عن توفير شيء من ضرورات معيشته، فإن على المجتمع أن يساعده في ذلك ويسد حاجته.

لذا أفتى الفقهاء بعدم تحقق الاستطاعة ووجوب الحج إذا كان على حساب ضرورات المعيشة، يقول السيد اليزدي: « يستثنى من ذلك ما يحتاج إليه في ضروريات معاشه، فلا تباع دار سكنه اللائقة بحاله، ولا خادمه المحتاج إليه، ولا ثياب تجمله اللائقة بحاله، فضلاً عن ثياب مهنته، ولا أثاث بيته من الفراش والأواني وغيرهما، مما هو محل حاجته، بل ولا حلي المرأة مع حاجتها بالمقدار اللائق بها بحسب حالها، في زمانها ومكانها، ولا كتب العلم لأهله، ولا آلات الصناعات المحتاج إليها في معاشه، ولا فرس ركوبه مع الحاجة إليه، ولا سلاحه، ولا سائر ما يحتاج إليه، لاستلزام التكليف بصرفها في الحج العسر والحرج، ولا يعتبر فيها الحاجة الفعلية... نعم لو زادت أعيان المذكورات عن مقدار الحاجة وجب بيع الزائد في نفقة الحج»<sup>(١)</sup>.

ويقول في مسألة أخرى: « إذا كان عنده مقدار ما يكفي للحج ونازعت نفسه إلى النكاح، الأقوى عدم وجوبه - الحج - مع كون ترك التزويج حرجاً عليه، أو موجباً لحدوث مرض، أو للوقوع في الزنا ونحوه»<sup>(٢)</sup>.

(١) اليزدي: السيد محمد كاظم، العروة الوثقى، المسألة ١٠ من الاستطاعة.

(٢) المصدر السابق مسألة ١٤.

ويقول السيد الخوئي: «الرجوع إلى الكفاية وهو التمكن بالفعل أو بالقوة من إعاشة نفسه وعائلته بعد الرجوع، وبعبارة واضحة يلزم أن يكون المكلف على حالة لا يخشى معها على نفسه وعائلته من العوز والفقر، بسبب صرف ما عنده من المال في سبيل الحج»<sup>(١)</sup>.

### حقوق الناس:

وبالدرجة الثانية ينبغي للإنسان أن يؤدي ما للناس عليه من حقوق مالية، وأساساً فإن بقاء دين أو حق في ذمة الإنسان أمر سيئ مزعج، لا يلجأ إليه إلا لضرورة تقتضيه، وعليه المبادرة لأدائه بأسرع وقت ممكن، ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إياكم والدين فإنه هم بالليل ومذلة بالنهار»<sup>(٢)</sup>، «صاحب الدين مغلول في قبره لا يفكه إلا قضاء دينه»<sup>(٣)</sup>.

والمؤسف أن كثيراً من الناس يتساهلون في موضوع الديون وحقوق الآخرين، بينما ينفقون الكثير من المال في قضايا الترفيه والأموال الكمالية.

لقد اعتبر الفقهاء الذين مانعاً عن وجوب الحج، وأن الأولوية لوفاء الدين: «لو كان في يد الإنسان مال يفي للحج به، لكنه كان مديوناً بحيث لو أدى طلبه لم يقدر على الحج، ولو حج لم يستطع أداء طلبه، فإنه لم يجب عليه الحج سواء كان طلبه حالاً أم مؤجلاً، سابقاً على حصول ذلك أم بعد حصوله»<sup>(٤)</sup>.

### الحقوق الشرعية:

الحقوق الشرعية المالية التي تتوجب على الإنسان، كالزكاة والخمس والكفارات،

(١) الخوئي: السيد أبو القاسم، مناسك الحج، مسألة ٢٢ الطبعة الثامنة ١٣٩٧ هـ.

(٢) الهندي: علي المتقي، كنز العمال ج ٦ ص ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الشيرازي: السيد محمد الحسيني، مناسك الحج، مسألة ٤٣.

هي حقوق لله تعالى من ناحية لأنه فرضها، وهي حقوق للناس من جهة أخرى، لأنها ترتبط بحاجات الفئات الضعيفة والمستحقة في المجتمع، وإذا ما تساهل الإنسان في أداء الحقوق الشرعية، فإنه يكون معتدًا على حقوق الله، وحقوق الفقراء والمحتاجين.

لذا أفتى الفقهاء بأولوية أداء الحقوق الشرعية على أداء فريضة الحج، بل لو حج بنفس المال غير الخمس أو غير المزكى، لما صح حجه وما سقط الفرض عنه، بل هو ماثوم لتصرفه في حقوق الآخرين.

هكذا تعلمنا الأحكام الشرعية مراعاة سلم الأولويات، وتقديم الأهم على المهم، فمع عظمة الحج ومكانته، حيث اعتبر الله تعالى تركه كفرًا، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ إلا أنه لا يلغي الأولويات الأخرى، ولا يكون على حسابها. اللهم وفقنا لحج بيتك الحرام، ويسر للحجيج أداء مناسكهم، وتقبل منهم أعمالهم، وأرجعهم إلى ديارهم سالمين، وأشركنا في صالح دعواتهم يا رب العالمين.



# الكنيسة: تاريخ من الظلم باسم الدين

كلمة الجمعة بتاريخ ١١ ذو الحجة ١٤٢٠ هـ



إنما جاءت الشرائع السماوية والأديان الإلهية، لإقرار العدل في حياة البشر، ومقاومة الظلم والجور ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد الآية ٢٥] والقسط هو العدل.

وليس هنالك شيء بعد الشرك بالله تعالى، أسوأ من الظلم والاعتداء على حقوق الناس. ذلك هو جوهر دعوات الأنبياء والرسل.

لكن المؤسف هو أن بعض أذعياء الأديان، يستغلون مواقفهم القيادية، ويطلقون العنان لأهوائهم التسلطية وشهواتهم المصلحية، على حساب كرامة الناس وحياتهم وحقوقهم، فيمارسون الظلم والعدوان باسم الدين، وتحت لوائه وشعاراته، وذلك لتبرير جورهم، ولتضليل الناس وإخضاعهم.

وإذا كان الظلم قبيحاً بكل أشكاله وصوره، فإن أبشعه وأفظعه ما يكون باسم الدين، فهو تحدّد مزدوج لأمر الله تعالى، بالافتراء عليه أولاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ \* قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴿[سورة الأعراف: الآيتان ٢٨ - ٢٩] وبالبغي على عباده ثانياً.

وقد عانت البشرية كثيراً من هذا اللون من الظلم، الذي يمارس بغطاء ديني، مما أحدث ردة فعل لدى بعض المجتمعات تجاه أصل الدين، وأوجد تياراً إلحادياً يتهم الدين

بأنه أفيون الشعوب، وهكذا يكون استغلال الدين أرضية للإلحاد والكفر. وتمثل الكنيسة المسيحية عبر تاريخها الطويل أبرز مثل لاستغلال الدين، وممارسة الظلم باسمه وتحت شعاراته، فهي تنتسب لنبي الله العظيم عيسى بن مريم عليه السلام، وتسيطر على أكبر رقعة ومساحة دينية من البشر.

هذه الكنيسة وباعتبارها مرجعية الدين المسيحي، والمؤسسة التي ترعى شؤون أتباعه الدينية، أساءت استخدام موقعيتها، فبدلاً من أن تنشر المحبة والعدل، وتدافع عن المظلومين والمستضعفين، وتكافح الجور والظلم، كما هو جوهر الرسالات والأديان السماوية، إذا بها تصبح على العكس من ذلك تماماً.

### اعتذار البابا :

لقد ارتفع مستوى الوعي عند الناس وسادت المعرفة، واتضح الحقائق، فما عادت جماهير الكنيسة خانعة مضللة كالسابق، بل توالى فيها حركات الاحتجاج، وتعلت أصوات النقد والاعتراض، ومن ناحية أخرى فإن سائر الشعوب والمجتمعات طمح بها كيل الظلم والجور، واستعادت شيئاً من ثقتها بنفسها، وبدأت المطالبة بحقوقها وبرد الاعتبار لتاريخها.

كل ذلك كان من الأسباب التي دفعت البابا يوحنا بولس الثاني إلى الاعتراف ببعض الأخطاء، وتقديم الاعتذار وطلب الصفح والمغفرة، عن تاريخ الكنيسة المظلم. هذه المبادرة من الكنيسة جاءت استجابة لضغوط داخلية وخارجية، حيث تشكلت لجنة من ثمانية قساوسة عملوا لمدة عام كامل، لإعداد دراسة لمراجعة الأخطاء الماضية لدى الكنيسة، وقدموا للبابا مذكرة تتألف من ٤٦ صفحة، وتقرر على أثرها إقامة احتفال خاص في يوم الأحد الماضي ١٢ مارس ٢٠٠٠م الذي سمي يوم التسامح لعرض المذكرة وإعلان طلب المغفرة والصفح من قبل البابا.

وأقيم الحفل الديني الضخم (قداس)، في كنيسة القديس بطرس في حاضرة الفاتيكان، بحضور، عدد كبير من المسؤولين الإيطاليين، ورجال السلك الدبلوماسي، وجمهور غفير قدر بأكثر من عشرين ألفاً، داخل الكنيسة والميدان الرئيسي للفاتيكان. وتعتزف المذكرة بأنه على فظاعة الأخطاء التي حصلت في تاريخ الكنيسة « فإنه لم يرد خلال تاريخ الكنيسة أية دعوة للمراجعة، والتعرض للأخطاء، وطلب المسامحة، وأن أفضل المحاولات في هذا المجال، كانت تختصر في نعت القساوسة، الذين مورست في عهودهم بعض الأخطاء، بأنهم كانوا خارجين على طقوس وتعليقات الكنيسة، وربط هذه الأخطاء بأشخاصهم دون الكنيسة نفسها»<sup>(١)</sup>.

### عنف الصراع المذهبي:

تحدثت المذكرة عن عنف الصراع المذهبي، وحادّة التفرقة التي حصلت بين أتباع الكنيسة المسيحيين: « حدثت خلافات كبيرة بين المسيحيين، وخاصة خلال القرن المنصرم، فمع بداية القرن الماضي (١٠٥٤م) برزت خلافات حادة بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، واستمرت لفترة طويلة، وتميزت بالعداء، وتبادل الاتهامات، وانعدام الثقة.. ومن الملحوظ أن من العقبات التي تقف دون وحدة المسيحيين هي العوامل الثقافية، والقضايا التاريخية، والتعصب الذي يغذي الخلاف بين المسيحيين»<sup>(٢)</sup>.

إنها مجرد إشارة مقتضبة إلى ما عاناه المسيحيون من زعامات كنائسهم، حيث انقسمت الكنيسة على نفسها، وتعددت المذاهب المسيحية، من كاثوليك، وأرثوذكس، وبروتستانت..

وكان زعماء كل كنيسة ومذهب يعبّون أتباعهم ضد الكنيسة الأخرى وأتباع المذهب الآخر.. فحين اعتنق الإمبراطور قسطنطين النصرانية بداية القرن الرابع الميلادي

(١) بيانات الفاتيكان: موقع الفاتيكان على الانترنت.

(٢) المصدر السابق.

وانحاز لآراء بولس، الذي كان يهودياً متعصباً ضد النصارى ومشاركاً في اضطهادهم، لكنه انقلب فجأة إلى المسيحية مدعياً أنه تلقى الوحي، وأصبح داعية للمسيحية يعرف باسم (بولس الرسول) مؤسس المسيحية الجديدة، القائمة على تأليه المسيح والتثليث، فقد قمعت الآراء المخالفة وسط المسيحيين.

فحينما عارض (أريوس ٣٣٦م) القول بالوهية المسيح، انعقد المجمع الكنسي الأول الذي عرف بمجمع نيقية عام ٣٢٥م، وقرر إدانة (أريوس) وإحراق كتاباته، وتحريم اقتنائها، وخلع أنصاره من وظائفهم، ونفيهم، والحكم بإعدام كل من أخفى شيئاً من كتاباته.

ولما ظهر مذهب (البروتستانت) في المسيحية، معترضاً على الآراء السائدة لدى الكنيسة الكاثوليكية، ومعنى كلمة (البروتستانت) في اللاتينية: المحتج، فقد اتجهت لهم الكنيسة بالاضطهاد العنيف، وكثرت المذابح، ومن أهمها مذبحه باريس في ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢م، التي سطا فيها الكاثوليك على ضيوفهم من البروتستانت، الذين دعوا لباريس للتقريب بين وجهات النظر، ثم قتلوا خيانة وهم نيام، وجرت دماؤهم في شوارع باريس، وانهالت التهاني على (تشارلس التاسع) من البابا ومن ملوك الكاثوليك وعظمائهم على هذا العمل الدنيء!! والعجيب أن البروتستانت لما قويت شوكتهم مثلوا نفس دور القسوة مع الكاثوليك، ولم يكونوا أقل وحشية في معاملة خصومهم.

والكنيسة الكاثوليكية تمثل الأكثرية المسيحية، وهي تتحمل بشكل أساس مسؤولية اضطهاد الأقليات المذهبية المسيحية الأخرى، وقمع الرأي المخالف لتفسيرها للدين.

### الإرهاب الفكري:

تبنت الكنيسة في العصور الوسطى آراء أرسطو وبطليموس اليونانية في الطبيعة والفلك، وأطلقت عليها الجغرافيا المسيحية، وعملت على فرضها على الناس باعتبارها

معتقدات دينية، وأن ما يخالفها كفر ومروق عن الدين، وأنشأت محاكم التفتيش عام ١١٨٣م، لمساءلة الناس عن آرائهم في أمور الطبيعة والكون، ومعاقبة المخالف منهم، ويقدر عدد من عاقبتهم هذه المحاكم ٣٠٠,٠٠٠ شخصٍ أحرق منهم ٣٢,٠٠٠ أحياء، كان منهم العالم الطبيعي المعروف برونو، الذي حكم عليه بالقتل وأن لا تراق قطرة من دمه على الأرض، فأحرق حياً سنة ١٦٠٠م، وكذلك حكم بالقتل على العالم الفلكي الإيطالي غاليلو غاليلي سنة ١٦٤٢م لأنه قال بحركة الأرض ودورانها حول الشمس.

### الاضطهاد والاستعمار:

أشارت مذكرة الاعتذار إلى بعض المآسي التي أصابت العديد من الشعوب والمجتمعات المستضعفة، من القوى الأوروبية والغربية، التي كانت تمارس طيغانها وسيطرتها الاستعمارية تحت نظر الكنيسة ورعايتها ومباركتها.

فالهنود الحمر، وهم السكان الأصليون للأمريكتين الذين نزحوا إليها من آسيا، قبل أكثر من ٢٠,٠٠٠ عام حسب تقديرات العلماء، لكن الأوربيين البيض حينما اكتشفوا أمريكا وثوراتها، جاؤوا لاستيطانها، وخاضوا مع الهنود الحمر حروباً طويلة وعنيفة، انتهت عام ١٩٠٠م بإبادتهم واغتصاب أراضيهم وتشريدتهم، واضطهاد من بقي منهم، فقد كان عدد الهنود الحمر في أمريكا أكثر من مليون نسمة، وفي نهاية حروب الإبادة تقلص عددهم إلى ٢٣٧,٠٠٠ ألفاً!!

والأفارقة السود كانت تغزوهم سفن الأوربيين العسكرية والتجارية، وتصطادهم كالحوانات دون رحمة أو شفقة، تنتزع الولد من حضن أبيه، وال بنت من حجر أمها، وتختطف الأخ من بين إخوته، وتصدرهم كرقيق إلى أوروبا، يباعون ويشترون، يزرعون ويعملون في خدمة الأوربي الأبيض بإهانة وإذلال، وبحلول القرن التاسع عشر كان الأوربيون قد جلبوا إلى الأمريكتين نحو عشرة ملايين رقيق من أفريقيا!!

كما تفرجت الكنيسة على اضطهاد اليهود وإبادتهم على أيدي النازيين، واستجابة للضغط اليهودي العالمي فقد جاء الحديث عن قضيتهم في مذكرة الاعتذار أوضح من أي قضية أخرى.

أما معاناة الشعوب الإسلامية من الطغيان الأوربي خلال الحروب الصليبية بمباركة الكنيسة، فلم يأت الحديث عنها واضحاً، رغم أنها كانت معاناة قاسية طويلة حيث نظم الغزاة الأوربيون ثمان حملات عسكرية رئيسية، استمرت لأكثر من ٢٠٠ سنة من عام ١٠٩٦م إلى ١٢٧٠م، للاستيلاء على فلسطين وما حولها من البلاد الإسلامية، وقد طلب الإمبراطور البيزنطي (الكسيوس كومنينوس) عام ١٠٩٥م المساعدة من البابا أوربان الثاني بابا الكنيسة الكاثوليكية في قتاله ضد الأتراك، ووافق البابا على ذلك، وعقد البابا في خريف ١٠٩٥م مجلساً لقادة الكنيسة في (كليرمونت) الفرنسية، حث فيه الأوربيين على وقف القتال فيما بينهم، والاستيلاء على الأراضي المقدسة في فلسطين، ووعدهم بمكافآت روحية ومادية مقابل أعمالهم، وأثارت الرغبة في القتال أوربا الغربية، وانضم الآلاف إلى جيوش الغزاة!!

وما حصل من استعمار الدول الغربية لأكثر البلدان الإسلامية في أعقاب سقوط الخلافة العثمانية، وما تخلل ذلك من اضطهاد وجور لم يكن خافياً على الكنيسة ولا بعيداً عن مباركتها.

وقيام الكيان الصهيوني الغاصب في قلب المنطقة العربية والإسلامية، وحمايته ودعمه للاستمرار في وجوده وعدوانه، ليس إلا مظهراً من مظاهر التآمر والحقد الغربي على الإسلام والمسلمين..

### الدرس والعبرة:

لقد علمنا القرآن الكريم أن الحديث عن مظالم ومفاسد الأمم الأخرى، يجب



أن يكون مبعثاً للتفكير والاعتبار، ولاستفادة الدروس والتجارب من التحولات التي حصلت لسائر الأمم، حتى نتلافى ما وقعوا فيه من أخطاء.

لذا تحدث القرآن كثيراً عن أهل الكتاب، لاشتراكهم مع المسلمين في الانتماء لرسالة سماوية، والإيمان بنبي مبعوث من قبل الله تعالى، فقد جاء الحديث عن أهل الكتاب بهذا الاسم، في أكثر من ٣٢ آية في القرآن، كما جاء الحديث عن اليهود، ما يقرب ١٨ مرة، وعن النصارى ما يقرب ١٥ مرة. ليحذر القرآن المسلمين مما فعل اليهود والنصارى بدينهم، إذ حرفوه وتلاعبوا به وأسأؤوا استخدام عنوانه وشعاراته.

وحينما يعترف زعيم الكنيسة المسيحية بأخطاء الماضي بشيء من الإجمال والاعتضاب، ويطلب الصفح والمغفرة عن ذلك التاريخ المظلم، فإن ذلك يجب أن يحفز كل مؤسساتنا وجهاتنا الدينية للحذر والوعي واليقظة، حتى لا تصاب سمعة الإسلام من خلال تصرفاتها وممارساتها.

فالظلم مدعاة لغضب الربّ وسخط الناس، بأي شكل حصل، ومن أي جهة صدر، والإسلام دين العدالة والحق، فيجب أن تكون صفحته بيضاء مشرقة ناصعة.



# الإمامة بين النص والشورى

كلمة الجمعة بتاريخ ١٨ ذو الحجة ١٤٢٠ هـ



يتفق المسلمون سنة وشيعة على الإيمان بالله تعالى إلهها واحداً لا شريك له، وعلى التسليم بنبوّة النبي محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، والاعتقاد بالبعث والمعاد يوم القيامة، ويؤمنون جميعاً بقرآن واحد منزل من قبل الله تعالى، هو هذا المصحف الكريم المتداول بين المسلمين، دون زيادة أو نقصان، وأن القرآن والسنة هما مصدر الدين والتشريع. كما يتجهون إلى قبلة واحدة في أداء الصلوات الخمس، ويحجون إليها، ويؤدون الزكاة ويصومون شهر رمضان.. فهم متفقون في أصول الدين وأركانها.

ونقطة الاختلاف الرئيسية، بين الطائفتين المسلمتين السنة والشيعة، تكمن في موضوع الإمامة والخلافة، حيث يرى أهل السنة أنها أمر متروك للأمة، فهي تختار الإمام والخليفة بالشورى والانتخاب، بينما يرى الشيعة، أن الإمامة تكون بالنص والتعيين من قبل الرسول ﷺ.

### لماذا الحديث عن الإمامة؟

أولاً: الحديث عن الإمامة ليس له تأثير على مجرى التاريخ، وعلى ما حصل وتحقق بالفعل في حياة المسلمين، فقد كان الخليفة الأول هو أبو بكر بن أبي قحافة، وبعده كان الخليفة عمر بن الخطاب، وبعده الخليفة عثمان بن عفان، وبعده الإمام علي بن أبي طالب،

وبعده ابنه الحسن، لبضعة أشهر، ثم تولى معاوية بن أبي سفيان، وتوارث الأمويون بعده الخلافة، إلى أن زالت دولتهم، وجاءت دولة بني العباس، وهكذا تسلسل الحكم في التاريخ الإسلامي كما هو معروف.

ثانياً: الحديث عن الإمامة لا ينبغي أن يكون ضمن مسار إثارة الخلافات والضغائن، ولا أن يتم بطريقة متشنجة منفعلة، تشغل المسلمين عن قضايا واقعهم المعاصر، وهم أحوج ما يكونون إلى الوحدة والوئام.

ثالثاً: من الضروري جداً أن يتعرف المسلمون إلى بعضهم البعض، وأن تتضح وجهة نظر كل طرف للآخر، بشكل موضوعي هادئ، ليس بقصد التبشير المذهبي، وأن يقتنع السني بوجهة نظر الشيعي أو العكس، وإنما لأن المعرفة والوضوح، توفر أجواء الفهم المتبادل، وتقطع الطريق على المغرضين، الذين يشوهون صورة كل جهة أمام الأخرى، ليصطادوا في الماء العكر.

إن الدول المتقدمة تعتمد الآن منهج التعارف الموضوعي حتى للجماعات الوافدة على بلدانها، من أجل دمجهم في المجتمع، وصنع أرضية لتقبلهم ومشاركتهم في الحياة العامة، وللوقوف أمام الاتجاهات العنصرية المتطرفة ضد الآخرين.

وتخوض الحكومة الإسرائيلية الغاصبة حالياً معركة في الكنيسة الإسرائيلية، لأن وزير التربية والتعليم يريد إقرار بعض المناهج التي تتضمن نصوصاً أدبية لأدباء فلسطينيين، على أساس ضرورة تعرّف الإسرائيليين إلى الفلسطينيين المجاورين لهم.

وديننا الإسلامي الحنيف يربينا على الاستماع للرأي الآخر: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [سورة الزمر الآية ١٨] ويأمرنا أن نتأكد من معلوماتنا عن الآخرين، فلا نتهمهم بشيء عن جهل، وقبل أن نثبت ونتبين ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة الحجرات الآية ٦].

من هذا المنطلق نتحدث عن موضوع الإمامة بين النص الذي يعتقد الشيعة

ضرورته فيها، والشورى التي يرى السنة تحقق الخلافة بها.

### الإمامة وشمولية الإسلام:

الإسلام كنظام شامل لجميع أبعاد الحياة، هل يمكن أن يهمل موضوع القيادة والإمامة في الأمة؟

إنها الموضوع الأكثر خطورة وحساسية، فلا بد أن يكون للإسلام فيه رأي ومنهج، ونرى أن أي نظام اجتماعي يعطي الأولوية لتحديد قضية القيادة وتداول السلطة، حتى على مستوى المؤسسة المحدودة، أو الجمعية الخيرية، فكيف يمكن إذاً أن يهمل الإسلام موضوع الإمامة؟ ولا يبين رؤيته حولها؟ ولا طريقة تداولها في المجتمع الإسلامي؟ علماً بأن هذا المجتمع جديد التكوّن والنشأة، على هدي الإسلام.

إن الفقهاء في تناولهم لصلاة الجماعة، يتناولون موضوع الإمامة في الصلاة، ويذكرون تعاليم الإسلام في تحديد الأحق أو الأولى بإمامة الجماعة، طبقاً لأحاديث مروية عن رسول الله ﷺ في هذا المجال، فهناك من تصح إمامته، وهناك الأحق والأولى، وهناك من تكره إمامته.. وفي الكتب الفقهية تفصيل لهذه المسألة واختلاف بين المذاهب والفقهاء على بعض تفاصيلها، فإذا كانت الإمامة في صلاة الجماعة، لها نصيب من الطرح والتحديد في الشريعة الإسلامية، فهل يمكن القول بتجاهل قضية إمامة الأمة وخلافة رسول الله ﷺ؟ وأن الإسلام لم يحدد معالمها وضوابطها؟

### النبى ﷺ ومستقبل الدعوة:

وفاة رسول الله ﷺ وارتحاله عن دار الدنيا، لم يكن أمراً مفاجئاً له، فهو يعلم أن شأنه كبقية الناس ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [سورة الزمر الآية ٣٠] بل كان يشير إلى قرب أجله في الفترة الأخيرة من حياته، فهل كان يفكر في مستقبل الدعوة والأمة بعد وفاته؟ أم أنه لم يكن مبالياً ولا مهتماً بذلك؟ إن الموقف السلبي من مستقبل الدعوة، أمر مستبعد

عن رسول الله ﷺ، وهو الحريص على حماية الدين ومصصلحة الأمة. كما أن الاطمئنان والثقة بالمستقبل، وأن لا خطر على الدين والأمة من الفراغ القيادي، الذي سيحدث بسبب وفاته ﷺ، هو الآخر أمر مخالف لطبيعة الحالات البشرية، وخاصة في مجتمع جديد، وحديث عهد بالإسلام، وقد يحتفظ بعض أبنائه بشيء من رواسب تاريخهم الماضي، حيث الانتماءات القبلية، والخلافات والنزاعات المصلحية، مع وجود أخطار خارجية تحيط بالإسلام، وعناصر منافقة مندسة في المجتمع الإسلامي.

وهناك شواهد كثيرة تدل على أن النبي ﷺ تحدث عن بعض الفتن والمشاكل التي ستصيب أمته، وحذر منها، فهو إذًا مهتم بمستقبل الدعوة، وعارف بالأخطار والتحديات التي تواجهها، ويتوقع حصول مختلف الاحتمالات والأحداث، كيف لا، وقد صرح القرآن الكريم فيما نزل حول واقعة أحد، وتداعيات النكسة التي أصابت المسلمين فيها، وظهور إشاعة قتل رسول الله ﷺ بأن جماعة قد اهتز موقفهم بسبب تلك الإشاعة يقول تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٤٤].

وحرص الرسول على الدعوة، واهتمامه بمستقبل الأمة، يستدعي أن يعالج موضوع الفراغ القيادي الذي سيحدث بوفاته.

### الشورى:

هناك أحد احتمالين لموضوع الإمامة بعد رسول الله ﷺ، الأول منهما: أنه ﷺ ترك الأمر ليكون شورى بين المسلمين، فهناك جيل من الصحابة تربي على يد الرسول ﷺ، ونهل من توجيهات الوحي، وعلى عاتقهم تقع مسؤولية اختيار الإمام والخليفة، على أساس الشورى والانتخاب من قبلهم. والاحتمال الآخر هو أنه ﷺ قد نص على شخص معين ليكون الإمام والخليفة من بعده.



لكن الملاحظ هنا: أن الشورى، إذا كان معولاً عليها كمنهج ونظام، فهي بحاجة إلى طرح وتأكيد في أوساط الأمة، وتبيين لمعالمها وضوابطها، فمن هم أهل الشورى؟ كل المسلمين؟ أم أهل المدينة خاصة؟ أم أهل الحل والعقد؟ ومن هم بالتحديد؟ وهل هي بالإجماع أو الأكثرية؟ كل ذلك ليس واضحاً من خلال حديث الرسول ﷺ أو سيرته.

من ناحية أخرى: فإن الرسول ﷺ لم يهين أصحابه، ولم يدرّب أمته على ممارسة الشورى في هذه المسائل القيادية، فهو حينما كان يغادر المدينة كان يستخلف عبد الله ابن أم مكتوم، لإمامة الصلاة وغيرها من الشؤون، ولم يكن يترك الأمر للناس أن يختاروا لأنفسهم إماماً وأميراً، وكذلك الحال حين يبعث سرية أو فرقة من الجيش، يعين عليها الأمير من قبله، وفي بعض الأحيان كما حصل في غزوة مؤتة، عين ثلاثة أمراء على التعاقب، جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.

لكل ذلك لم تكن فكرة الشورى في أمر الإمامة والخلافة راسخة ولا واضحة في أذهان الصحابة، ومن يقرأ المداولات التي حدثت في سقيفة بني ساعدة، قبيل بيعة الخليفة الأول أبي بكر، وحسب الصورة التي نقلها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، يتضح له أن آراء الصحابة ومواقفهم آنذاك لم تنطلق من هذه الفكرة، لذا كان الباب مفتوحاً على مختلف الاحتمالات، وطبقاً لقول الخليفة عمر: أن بيعة أبي بكر كانت فلتة إلا أن الله وقى شرها<sup>(١)</sup>.

وامتناع علي بن أبي طالب، وعدد من الصحابة معه، عن قبول نتائج ما حصل في السقيفة، إلى فترة من الزمن، ثم اعتماد الخليفة أبي بكر لطريقة الاستخلاف، حيث عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب، وتقنين الخليفة عمر لموضوع الشورى عند وفاته، حيث اختار ستة من الصحابة، ليجتمعوا ويتداولوا الرأي، ويختاروا واحداً منهم خليفة على

(١) بن عبد الوهاب: الشيخ محمد، مختصر سيرة الرسول ص ١٨٠ مؤسسة دار الكتاب السعودي - الرياض.

الأمة، وإصرار جماهير الأمة بعد مقتل الخليفة عثمان، على علي بن أبي طالب لتولي الخلافة، وما آل إليه أمر الخلافة فيما بعد حيث توارثها الأمويون والعباسيون بالقوة والغلبة، هذه الطرق المختلفة والمتعددة في معالجة موضوع الإمامة والخلافة، تدل على عدم وضوح معالم الشورى، كمنهج معتمد من قبل الرسول ﷺ أو في ذهنية المسلمين.

### النص والتعيين:

لذلك يرى الشيعة أن الإمامة تكون بالنص والاختيار من قبل رسول الله ﷺ، منعاً لاحتتمالات الخلاف والنزاع، ولأن اختيار الله ورسوله أصوب وأفضل، ولورود نصوص ثبتت صحتها عند الشيعة وغيرهم، يفهم منها الشيعة دلالتها على التعيين والنص بإمامة علي بن أبي طالب.

ويأتي في طليعة تلك النصوص حديث غدير خم، الذي روته مصادر الحديث الموثوقة والمعتمدة عند السنة والشيعة، بطرق كثيرة صحيحة.

ونذكر هنا ما أورده حول هذا الحديث المحدث السلفي المعاصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الرابع، حديث رقم (١٧٥٠) حيث أثبت روايته عن عشرة من الصحابة، بثلاثة وعشرين طريقاً، واستغرق تعداده لتلك الطرق أربع عشرة صفحة، من ٣٣٠ إلى ٣٤٤.

والصحابة العشرة الذين ذكر الألباني روايتهم لحديث الغدير هم:

١. زيد بن أرقم، وله عنه طرق خمسة.
٢. سعد بن أبي وقاص، وله عنه ثلاثة طرق.
٣. بريدة بن الحصيب، وله عنه ثلاثة طرق.
٤. علي بن أبي طالب، وله عنه تسعة طرق.
٥. أبو أيوب الأنصاري، وله عنه طريق واحد.

٦. البراء بن عازب، وله عنه طريق واحد.

٧. عبد الله بن عباس، وله عنه طريق واحد.

٨. ٩ - ١٠ / أنس بن مالك، أبو سعيد الخدري، أبو هريرة، له عنهم طريق واحد.

ونص حديث الغدير بالطريق الأول من حديث زيد بن أرقم كما أورده الألباني: «عن أبي الطفيل عنه قال: لما دفع النبي ﷺ من حجة الوداع، ونزل غدِير (خم)، أمر بدوحات فقممن، ثم قال: كأني دعيت فأجبت، وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، ثم قال: «إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن». ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: «من كنت مولاه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ثم يضيف المحدث الألباني: وللحديث طرق أخرى كثيرة، جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في (المجمع) (٩/١٠٣ - ١٠٨) وقد ذكرت وخرجت ما تيسر لي منها، مما يقطع الواقف عليها، بعد تحقيق الكلام على أسانيدھا بصحة الحديث يقيناً، وإلا فهي كثيرة جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، قال الحافظ بن حجر: منها صحاح ومنها حسان<sup>(١)</sup>.

ومن علماء أهل السنة الذين أوردوا الحديث وأثبتوه ودافعوا عن صحته، المحدث أحمد بن حجر الهيثمي المكي (توفي ٩٧٤هـ) في كتابه (الصواعق المحرقة) ذكر «قوله ﷺ يوم غدِير خم - موضع بالجحفة - مرجعه من حجة الوداع، بعد أن جمع الصحابة، وكرر عليهم: أأست أولى بكم من أنفسكم؟ ثلاثاً، وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف، ثم رفع يد علي، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث

(١) الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٤ ص ٣٤٣ الطبعة الأولى ١٩٨٣م الدار السلفية - الكويت. المكتبة الإسلامية - الأردن.

دار» وأكد ابن حجر: «أنه حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد، وطرقه كثيرة جداً، ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي، لما نوزع أيام خلافته، كما مر وسيأتي، وكثير من أسانيدھا صحاح حسان، ولا التفات لمن قدح في صحته، ولا لمن ردّه»<sup>(١)</sup>.

وحديث الغدير هذا واحد من أحاديث كثيرة، يرى الشيعة أنها تعني النص على إمامة علي بن أبي طالب، ولا مانع أن يختلف معهم الآخرون، في فهم هذه النصوص ودلالاتها، لكن الفرصة يجب أن تتاح للجميع لممارسة حق الاجتهاد، وإبداء الرأي والنظر، على أساس من الموضوعية والاحترام المتبادل، ومع حفظ أجواء الأخوة والوحدة الإسلامية.

(١) الهيثمي: أحمد بن حجر، الصواعق المحرقة ص ٤٠ مكتبة القاهرة ١٣٧٥ هـ.

# عاشوراء: تطلعات وآفاق

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٠ هـ



آيات كثيرة في القرآن الكريم تذكر الإنسان بنعم الله تعالى عليه، وتحدث عن ألوان وأصناف تلك النعم المختلفة، التي اسبغها الله تعالى على الإنسان ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [سورة لقمان الآية ٢٠] ﴿وَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [سورة إبراهيم الآية ٣٤] كما تؤكد آيات عديدة على استحضر نعم الله تعالى وجعلها نصب العين والفكر، ففي ثمان موارد جاء قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، وفي ثلاثة موارد أخرى جاء قوله تعالى ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ إضافة إلى العشرات بل المئات من الآيات الكريمة، التي تستعرض آلاء الخالق جل وعلا وعطاءاته اللامحدودة.

إن هذا التذكير من قبل الله تعالى بنعمه وآلائه، إنما يستهدف أمرين:

الأول: ليهتم الإنسان بأداء واجب الشكر تجاه المنعم، بالخضوع لله تعالى والتزام أوامره، واجتناب نواهيه.

الثاني: أن يلتفت الإنسان تجاه النعم المحيطة به، ويفكر في استثمارها والاستفادة منها، فهي إنما خلقت لأجله، وسخرت لخدمة مصالحه، وتوفير سعادته. وبمقدار توجه الإنسان لخيرات الكون، وثروات الحياة، وسعيه لاكتشافها واستثمارها، يكون مستوى تقدمه، وتطور حياته.

فنعم الله الكثيرة الواسعة تحيط بكل البشر، ومتاحة لكل الناس، لكن هناك من يلتفت لبعض النعم ويستفيد منها، وهناك من يغفل عنها ولا يهتم بها، لقصور أو تقصير، يقول تعالى: ﴿وَكَأَيُّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [سورة يوسف الآية ١٠٥].

والمجتمعات المتقدمة، سرّ تقدمها وتطورها، هو توجهها واستثمارها للإمكانات والثروات المتاحة، بينما تتوفر الإمكانات نفسها لمجتمعات أخرى، وتبقى معطلة مجمدة.

### الثروات المعنوية :

حركة الإنسان وفاعليته في هذه الحياة، تعتمد بالدرجة الأولى على قواه وقدراته الروحية والمعنوية، فالهمة العالية، والإرادة القوية، والاستقامة النفسية، وسعة الأفق، وتحرر الفكر، وبقظة الوجدان والضمير، والصبر والثبات، وسائر الملكات والصفات الفاضلة كلها تشكل المنبع والوقود الذي يمد الإنسان بالطاقة لإدارة شؤون الحياة، ومواجهة تحدياتها.

والجهات والعوامل التي تنمي هذه الصفات في نفس الإنسان تعتبر مصادر للثروة المعنوية والقوة الروحية، وكلما كان رصيد المجتمع من هذه المصادر والعوامل أكبر، كانت إمكاناته أفضل، وبالتالي سيكون أكثر فاعلية وسعادة ونجاحا.

لذلك، فإن القيم السامية، والمبادئ الحقة، والمناهج السليمة، هي من أعظم النعم التي تشرى حياة الإنسان وتسعدّها، وكما يمتن الله سبحانه وتعالى، على عباده بالآله المادية، ويذكرهم بها، كذلك يمتن عليهم بالنعم المعنوية التي أفاضها عليهم عبر هديه الإلهي، ورسالاته السماوية، ويلفتهم إليها ويذكرهم بها، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٦٤]، ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ



وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ﴿[سورة البقرة الآية ٢٣١]﴾، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [سورة آل عمران الآية ١٠٣].

إن وجود الهدي الإلهي، والمناهج القويمه للحياة، والتعاليم والتوجيهات التي تعالج المشاكل النفسية والاجتماعية، وتربي الإنسان وتنمي قدراته وطاقاته، وتسيره في الطريق الصحيح، إن ذلك يشكل نعمة كبرى، إنها نعمة الهداية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [سورة الأعراف الآية ٤٣].

لكن توفر هذه النعم المعنوية شيء، والالتفات إليها واستثمارها والاستفادة منها شيء آخر، تماماً كما هو الحال في النعم المادية.

فكم من مجتمع يعيش الشقاء والتخلف، ويعاني من الانحرافات والأمراض الفتاكة - النفسية والاجتماعية - وتسوده حالة الجهل والتمزق، وبين ظهرانيه رسالة الله، وكتبه الإلهية المقدسة، وتعاليمه الدينية العظيمة، لكنها مهجورة مهملة، لا يستفاد منها كمنهج حياة، أو كمصدر إضاءة وإشعاع؟

وفي تمثيل بليغ يشبه الله تعالى مجتمع اليهود، الذين أنزل الله عليهم التوراة، فانتموا إليها بالعنوان والشكل، وعطلوا مضامينها وبرامجها في حياتهم، بأنهم كالحمار الذي يحمل أهم الكتب العلمية على ظهره، لكنه بالطبع لا يستفيد منها شيئاً: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة الآية ٥].

والأمة الإسلامية تمتلك آخر وأفضل الرسائل السماوية، وأكمل الشرائع، إنه الإسلام بأنظمتها الشاملة لجوانب الحياة، وتعاليمه وبرامجها الخلاقية، التي تهدي الإنسان للتي هي أقوم، وتشق له طريق السعادة والصلاح. وحينما كان المسلمون يعرفون قدر هذه النعمة، ويتمسكون بها، ويصنعون حياتهم على ضوئها، أصبحوا خير أمة أخرجت للناس.

ومؤسف جداً ما تعيشه الأمة الإسلامية الآن من تخلف وانحطاط، ناتج عن خواء وضعف في القدرات المعنوية، والإمكانات الروحية، مع إنها تمتلك أضخم ثروة ورصيد معنوي روحي.

إن كل برنامج من برامج الإسلام يمكنه أن يشكل منبعاً روحياً ثراً يلهم العزيمة والقوة، ويمنح الفاعلية والنشاط، شريطة التوجه إليه، والالتزام به، وتفعيله في واقع الحياة، أما الممارسة الشكلية، والتعاطي السطحي القشري مع برامج الدين، فإنه يضعف مفعول تلك البرامج، ويجمّد دورها المطلوب.

### موسم المحرم:

في بداية كل سنة هجرية تستقبل المسلمين ذكرى شهادة الإمام الحسين بن علي سبط رسول الله وريحانته، وقد اعتادت المجتمعات الشيعية الإسلامية، الاحتفاء بهذه الذكرى، استجابة لتوجيهات أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث أمروا شيعتهم وأتباعهم بإحياء هذه الذكرى، والاهتمام بها، وأصبحت العشرة الأولى من شهر المحرم في كل عام موسماً حسينياً، يمتلئ بالبرامج، المكثفة، والنشاط الاجتماعي، الذي يشارك فيه كل أبناء المجتمع رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، مما يعطي هذا الموسم طابعاً استثنائياً، وحالة مميزة في واقع المجتمعات الشيعية، في مختلف أنحاء العالم.

إن الاحتفاء بذكرى عاشوراء ينطلق من دافع ديني ذاتي عند الجمهور الشيعي، ولاءً لأهل البيت عليهم السلام، وتأكيداً للهوية الخاصة في الانتماء إليهم، وتبذل في برامج هذا الاحتفاء جهود كبيرة، وإمكانات ضخمة، ضمن نشاط جماهيري أهلي، تشارك فيه كل الفئات والطبقات.

وتوفّر أجواء عاشوراء، وبرامج الاحتفاء بها، فرصاً هائلة، يمكن استثمارها والاستفادة منها في تنمية هذه المجتمعات، وتعميق الحالة الدينية، ومعالجة الكثير من

المشاكل الاجتماعية، ذلك أن النفوس تكون مهياة، وتفاعل الناس كبير، وما يسمعونه من سيرة الإمام الحسين عليه السلام يجعلهم أكثر استعداداً للتجاوب والبذل والعطاء، لكن البعض من الناس يمارسون هذه البرامج كطقوس تقليدية، وشعائر متوارثة معتادة، دون أن يهتموا باستثمارها وتوظيفها لخدمة المصلحة العامة للمجتمع والوطن.

فهي ثروة عظيمة هائلة بإمكانها أن تقدم الكثير من الخير والعطاء للمجتمع، فأين تجد مثل هذه الجموع والحشود التي تأتي بشكل عفوي تلقائي دون تعبئة إعلامية، ولا حوافز ولا مغريات مادية، وعلى مدار عشرة أيام صباحاً ومساءً؟ وأين تلقى مثل هذا التفاعل والتجاوب العاطفي الجيَّاش؟ ومتى ترى مثل هذا البذل السخي في المال من قبل الفقراء قبل الأغنياء؟

كل ذلك يتوفر في موسم المحرم عند المجتمعات الإسلامية الشيعية للاحتفاء بذكرى الإمام الحسين عليه السلام.

فكيف يستفاد من هذه الثروة؟ وكيف نغتنم ما توفره من فرص إيجابية كبيرة؟

### ١- تعميق الدين:

هذا الجمهور الذي يحتشد باسم الإمام الحسين، ويصرف الوقت والجهد في إحياء ذكره، ويصغي إلى الخطباء والموجهين في مجالس العزاء، إنما يعلن عن انتمائه للدين، وانشداؤه القلبي والعاطفي إلى أئمة الدين وقياداته، وتجاوبه مع الشعائر والقضايا الدينية، وهذا يحملنا المسؤولية، ويوفر الفرصة الثمينة، لتوعية هذا الجمهور بأمر دينه، ولتعميق حالة التدين في النفوس، وصياغة السلوك والأخلاق والمواقف على هدي الدين.

إن برامج عاشوراء تتيح أفضل فرص التوعية والتوجيه، والناس بحاجة ماسة إلى معرفة مفاهيم الدين الحقيقية، وتجليتها عن غبار الزيف، وتراكمات الفهم القشري والسطحي، ومع استغراق إنسان هذا العصر في الاهتمامات المادية الجارفة، وتعرضه الدائم لوسائل الإعلام التي تحرض فيه الشهوات والأهواء، لتجعل منه إنساناً مادياً شهوانياً،

يبحث عن اللذة، ويعبد المصلحة، ما أحوج هذا الإنسان لأجواء روحية تعبويه، تذكّره بالقيم، وتشده إلى المبادئ، وتوجهه إلى القدوات الصالحة من الأنبياء والأئمة والأولياء.

## ٢. التنمية الاجتماعية:

عبر برامج عاشوراء يلتقي الناس بعضهم بعضاً، مما يؤكد وحدتهم الاجتماعية، ويرسخ عندهم الشعور الجمعي، وفي المجتمع حاجات، ومناطق ضعف، وثغرات وسلبات، لابد من استثمار هذه البرامج لتوجيه الناس لمواجهةها ومعالجتها. فعلى المستوى التعليمي ينبغي تحفيز الطلاب والطالبات على الجهد والاجتهاد، لإحراز التفوق، ونيل أفضل المستويات والمعدلات، ولا يصح أبداً التغاضي عن انخفاض المستوى التعليمي، لما يترتب على ذلك من تأخر وتحلف.

وعلى المستوى العملي والوظيفي على أبناء المجتمع أن يشمروا عن سواعدهم، وأن يسهموا في بناء وطنهم، عبر إخلاصهم في العمل، والبحث عن الفرص الجديدة، والمشاريع المبتكرة، وتوفير الكفاءة والخبرة في مجالات التكنولوجيا الحديثة، وأن لا يرهنوا مستقبلهم بتحصيل الوظائف الجاهزة، ويعتبرونها الخيار الوحيد لبناء حياتهم.

واجتماعياً هناك مناطق ضعف في المجتمع من فقراء وأيتام ومرضى، وهناك حاجات ومتطلبات للخدمة الاجتماعية، فينبغي التذكير بالمسؤولية الاجتماعية، وتشجيع المؤسسات العاملة كالجمعيات الخيرية الرسمية، وما يتفرع عنها من لجان كافل اليتيم، وصناديق الزواج الخيري ومهرجان الزواج الجماعي وغيرها. لتنهض بدورها ومهامها في هذا المجال.

إن بإمكان أجواء المحرم أن توفر زخماً معنوياً كبيراً لصالح تنمية المجتمع وخدمة أغراضه النبيلة.

## ٣. دراسة عاشوراء:

قد نقرأ عاشوراء قصة تاريخية حدثت وقائعها في زمان ومكان معين، ومن قبل

أشخاص معينين.

وقد نقرؤها صراعاً بين فئتين على أهداف وقضايا مختلفة.

وقد نقرؤها مأساة تستثير عواطفنا ومشاعرنا.

لكن المطلوب أن نقرأها ملحمة دينية وإنسانية ملهمة، نقتبس منها الدروس والعبر، ونأخذ منها القيم والمثل.

ففي وقائع عاشوراء يتجلى الالتزام الصادق بالدين، والتضحية من أجل مبادئه، وترسم أروع صور الوفاء، ومواقف البطولة.

في كربلاء، كان هناك الشاب الذي كرس شبابه لخدمة الرسالة والأمة، والمرأة التي كافحت بحجابها وعفافها، ومنطقها وصمودها، إلى جانب نصره الحق، والشيخ الطاعن في السن الذي لم يقعد به ضعفه وشيئته عن المشاركة في معركة الفداء، والأخ الوفي الموسمي لأخيه في أحلك الظروف، والجماعة المؤمنة التي لم تتوان عن أداء الصلاة عند وقتها تحت مشتبك الأسننة والرماح، والمصابون المثلون الذين لم تنل الرزايا والخطوب الفادحة من ثباتهم واستقامتهم..

إنها صور رائعة، ودروس عظيمة، يجب أن نقرأها، لنستلهم منها القيم والعبر، بما ينفعنا لإصلاح حاضرنا وبناء مستقبلنا على ضوء المبادئ والقيم.

#### ٤. بناء الوحدة الوطنية والإسلامية :

التحديات التي تواجهنا على المستوى الوطني والإسلامي، يجب أن تدفعنا جميعاً إلى التوحد والتلاحم، وتنوعنا المذهبي سنة وشيعة، لا يبرر التباعد والخلاف، مادامنا نتفق على الأصول، ويجمع بيننا الوطن الواحد والمصلحة المشتركة.

وبرامج عاشوراء يمكن الاستفادة منها في تعزيز الوحدة الوطنية والإسلامية، بأن تكون لغة الخطاب إسلامية تتجاوز الإثارات والمهاترات الطائفية، وأن تشكل برامج عاشوراء فرصة مناسبة لاطلاع بقية المسلمين على آراء وممارسات إخوانهم الشيعة، حيث

راجت في بعض الأوساط إشاعات وانطباعات مشوهة خاطئة عن حقيقة معتقدات الشيعة، وكيفية إحيائهم لموسم المحرم. والحمد لله، فالحسينيات مفتوحة في كل مكان في العالم، والبرامج علنية، فليس هناك مبرر للتشيب بالشائعات والدعايات المغرضة، مادامت فرصة التعرف المباشر متاحة.

وذكرى الإمام الحسين يجب أن تكون مناسبة لتعزيز وحدة الأمة، فالحسين قضية إسلامية عامة، وليس مشروعاً مذهبياً خاصاً، وهو إنما ثار واستشهد من أجل إصلاح الأمة ومصلحتها، كما يقول عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق. ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين».

وسلام على الحسين يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

---

## ندوات

---





## موقع الفكر الشيعي من الحوار الإسلامي<sup>(١)</sup>

الشيخ حسن الصفار: أهل البيت أصحاب رسالة أدركوا  
أهمية الحوار في نشرها

استكملت مكتبة الرسول الأعظم ﷺ بنمطقة بنيد القار القسم الثاني من ندوة  
(الحوار الإسلامي فضيلة أم فريضة؟) التي تنظم في إطار ندوة الإمام علي ﷺ السنوية  
الرابعة.

وتحدث في القسم الثاني كل من الشيخ حسن الصفار من المملكة العربية السعودية،  
والدكتور طارق السويدان، وعلي البغلي، وأدار الندوة الدكتور عبد العزيز الصفار.  
وتحدث الشيخ حسن الصفار عن موضوع «موقع الفكر الشيعي من الحوار  
الإسلامي» الذي قسمه إلى ثلاثة أبعاد، تمثل البعد الأول في ضرورة الحوار وأهميته  
وموقع فكر أهل البيت ﷺ في هذا المجال، والبعد الثاني المعالم النظرية للحوار عند أهل

---

(١) ندوة الإمام علي السنوية الرابعة ٢ - ٢، تنظيم مكتبة الرسول الأعظم، نقلاً عن جريدة الوطن ٢٠  
رمضان ١٤١٧هـ الموافق ٢٩ يناير ١٩٩٧م العدد ٧٥٣٠ / ١٩٧٦ - السنة ٣٥.

البيت، ويتضمن البعد الأخير ثلاثة جوانب هي الحوار مع أصحاب الأديان والمبادئ الأخرى، والحوار ضمن الدائرة الإسلامية مع المدارس والمذاهب الإسلامية المختلفة، وأخيراً الحوار في المجال السياسي، أي بين الحاكم والمحكوم وبين الاتجاهات السياسية في الأمة.

وفي إطار البعد الأول قال: بأن أهمية الحوار وضرورته تنبع من عدة جوانب أساس، أولها كون الحوار وسيلة للوصول إلى الحقيقة. إذ قد يتصور كل إنسان أن ما لديه هو الحق الكامل ولكن لا يستطيع أن يتأكد من ذلك إلا إذا اطلع على الآراء الأخرى وعرضها من مصادرها. ومن هنا، فإن القرآن الكريم يذكر بأن من صفات المؤمنين الذين يستمعون إلى القول فيتبعون أحسنه. وعندما يطلع المرء على آراء الآخرين، فإما أن يكتشف بأن رأيه خطأ، وبالتالي يتبنى الرأي الصحيح، أو أن يتأكد من صوابية رأيه، فالحوار هو الذي يكشف نقاط الضعف والقوة في فكرته. وثانياً: الحوار هو الطريق السليم لإقناع الآخرين، فالأفكار لا تفرض، والقناعات لا تكون بالإكراه، وعبر الحوار يمكن إقناع الآخرين بالآراء والمواقف. وثالثاً: الحوار يوفر أجواء التعايش بين الاتجاهات المختلفة حيث القطيعة والتباعد والتأزم، وبالتالي الانفجار البديل للحوار المقطوع ما بين الاتجاهات المختلفة وعن طريقه يقوم كل منهما بمعرفة الطرف الآخر ويتفهم كل منهما مواقف الآخر ومن ثم يتم امتصاص التشنجات والتأزمات.

**والجانب الثاني:** المتمثل بموقعية الحوار في فكر أهل البيت (عليهم السلام)، فإن مدرسة أهل البيت تجلّ للفكر الإسلامي الأصيل، إذ كانوا أصحاب رسالة ولم يكونوا أصحاب حكم وسلطان، إذ إن الأخير قد لا يجد حاجة كبيرة للحوار؛ لأنه يطبق رأيه بقوته وسلطانه، ولكن صاحب الرسالة يدرك أهمية الحوار في تقديم رسالته ونشرها، وأهل البيت باعتبارهم أصحاب رسالة لذلك كانوا يولون الحوار أهمية كبرى.

وفي جانب المعالم النظرية للحوار عند أهل البيت، فإنهم قد أبانوا أهمية الحوار،

وهي كلمة مرادفة لكلمة الجدل التي استخدمها القرآن الكريم في أكثر من ٢٧ موقعاً، بينما لفظة الحوار وردت في ثلاثة مواقف منه. والروايات المنقولة عن أهل البيت التي تشجع على الحوار كثيرة، وبالتالي تشجع على الانفتاح على الآراء الأخرى والتوجهات المختلفة، ونقلًا عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: ذكر عند الإمام الصادق عليه السلام الجدل في الدين وأن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة قد نهوا عنه، فقال الإمام الصادق عليه السلام: لم ينه عنه عند ذلك مطلقاً ولكنه نهى عن الجدل بغير التي هي أحسن، أما تسمعون الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: الآية ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٥] فالجدل بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين والجدل بغير التي هي أحسن محرم، وحرمه الله تعالى على شيعتنا. ثم يقول الإمام الصادق عليه السلام: وكيف يجرم الله الجدل جملة وهو يقول: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ قال الله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١١١] فجعل علم الصدق والإيمان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان إلا بالجدل بالتي هي أحسن.

وفي جانب المعالم النظرية هنالك آداب الحوار، وحتى يكون مثمرًا ومفيداً للطرفين وللمجتمع بشكل عام لا بد أن تكون له آداب تحميه من أن يتحول إلى حالة من التشنج والتعصب والخصومة، لذلك وردت أحاديث عن الأئمة عليهم السلام تبين آداب الحوار، وكانوا ذاتهم أكبر مثل وقدوة في هذا المجال، إذ سئل الإمام الصادق عن الجدل بالتي هي أحسن والتي ليست بأحسن، فقال: «أما الجدل بغير التي هي أحسن أن تجادل مبطلاً فيورد عليك باطلاً فلا تنطق بحجة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد قوله أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة أن تكون له عليك حجة، لأنك لا تدري كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا».

والعنصر النظري الثالث رفض الاشتغال بغير المفيد والمهم، إذ كان الأئمة ينهون

أتباعهم من أن يصرفوا جهود الناس وطاقت المجتمع في النقاش والجدال والحوار في قضايا ثانوية إذ إن ذلك سيكون على حساب القضايا المهمة والرئيسة في الأمة والمجتمع. ويروي الإمام الصادق عليه السلام حديثاً عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه: «من حسن إسلام المرء تركه الكلام فيما لا يعنيه».

ويقول الإمام الرضا عليه السلام لأحد تلامذته: «يا عبد العظيم: أبلغ أوليائي عني السلام ومرهم بالسكوت وترك الجدل فيما لا يعينهم». وكشاهد على ذلك سئل: «هل الشرك أقدم أم الكفر؟» فإذا بالإمام يجابه السائل قائلاً: «وما أنت وذاك؟» لماذا تفتعل معركة حول الموضوع وهو ليس بذي أهمية. وحينما نشأت فتنة خلق القرآن امتنع الأئمة عن الخوض بها ومنعوا أصحابهم من المشاركة فيها. وأي إمام كان يسأل فيها ما كان يجب وإنما يكتفي بالقول: «القرآن كلام الله» وإذا سئل: «هل تقول: إن القرآن قديم أو حادث مخلوق؟» فيقول: «القرآن كلام الله» وعندما ازدادت الفتنة كتب الإمام الهادي عليه السلام إلى بعض أتباعه كتاباً قال فيه: «عصمنا الله وإياك من الفتنة فإنه إن يفعل فقد أعظم بها نعمة، وإن لم يفعل فهي الهلكة».

وقال بأن الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فيتعافى السائل ما ليس له ويتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق سوى الله عز وجل وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله.

ومن أخلاقيات الحوار لدى أهل البيت نبذ التجادل والخصام. فالحوار قد لا ينتهي إلى اتفاق، وينهى الأئمة أن يتخذ المرء موقف المخاصمة بسبب ذلك باعتبار أن لكل إنسان الحرية في آرائه وأفكاره ومواقفه. وإن كنت تعتقد أن ما لديك هو الحق فإن الطرف الآخر يتحمل مسؤوليته لمخالفته الحق، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ولا تخاصموا الناس لدينكم، فإن المخاصمة ممرضة للقلب» وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّكَ لَأَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وقال أيضاً: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، ذروا الناس، فإن الناس أخذوا عن الناس». وهنا يتبين بأن من يخاصمون الناس تحت إطار ديني فهم مخطئون جداً لأن الدين لا يطلب منك معاداة الناس ومخاصمتهم وإن لم يقبلوا دينك أو رأيك.

وفي الجانب الثالث المتعلق بالتطبيق العملي للحوار في حياة أهل البيت (عليهم السلام). والجانب الأول يتمثل في الحوار مع أصحاب الأديان والمبادئ غير الإسلامية وهي كثيرة خاض فيها الأئمة الحوار مع قيادات ومفكري الأديان الأخرى، على أساس أن الدين لا يكون إلا بالاقناع، إذ لا إكراه في الدين، وعلى أساس أن الجدل بالتي هي أحسن هو الوسيلة المأمور بها من قبل الله سبحانه وتعالى ومن أبرز المواقف ما حدث في عصر الخليفة العباسي المأمون عندما جمع قادة الأديان والمبادئ كالنصرانية واليهودية والمجوسية والزرادشية وغيرها ودار بينهم وبين الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) حوار شيق وممتع وهي محفوظة ومسجلة في بحار الأنوار للمجلسي، وما جمعها المرحوم الطبرسي في كتاب (الاحتجاج).

وفي إطار الحوار ضمن الدائرة الإسلامية فإن القرن الثاني الهجري على وجه الخصوص قد شهد اجتهادات مختلفة ومدارس فكرية وفقهية متعددة. ومع قناعة أهل البيت بأن مدرستهم كانت امتداداً لمدرسة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن رأيهم هو الرأي الصائب. إلا أن ذلك لم يمنعهم من أن يتحاوروا ويتناقشوا مع المختلفين معهم في الآراء العقائدية والفقهية. ومن أمثلة تلك الحوارات التي كانت تجري بين الإمام الصادق والإمام أبي حنيفة حول القياس وبعض المسائل الفقهية. وكذلك آراء أهل البيت في مسألة الجبر والتفويض وغيرها من مسائل عقائدية.

والمجال الثالث يتمثل في الحوار ضمن المجال السياسي. ففي كل مجتمع هناك حاكم ومحكوم، وقد تكون العلاقة بينهما علاقة رضاً، بأن يرضى المحكوم بسياسة الحاكم وأن يرضى الأخير بسلوك المحكوم وموقفه تجاهه. ولكن في بعض الأحيان قد

يحصل خلاف بينهما. حيث يرفض المحكوم بعض تصرفات الحاكم أو ينكر شرعيته أو موقفه في الحكم، وقد لا يرضى الحاكم ببعض تصرفات التعامل في هذه الحالة؟ فهناك طريقتان، فإما أن يكون هناك انفتاح وحوار بين الحاكم والمحكوم، أو بصورة أوضح بين الحاكم والمعارضة، وبالتالي هذا الحوار قد يؤدي إلى تغيير وتعديل بمواقف الطرفين تجاه بعضهما، وقد لا يكون هناك انفتاح وحوار فتنشأ حالة من التشنج والتأزم وبالتالي تقود إلى الانفجار. وما الثورات والانتفاضات التي تحدث في التاريخ الإسلامي والتي تحدث الآن في عصرنا الحاضر في كثير من البلدان إلا نتيجة لغياب الحوار والانسداد السياسي، وحينما يكون هناك انفتاح سياسي بين الحاكم والمعارضة تكون فرصة امتصاص الخلاف والصراع أكبر، ولأهل البيت رؤيتهم ومنهجهم المتكامل في هذا الاتجاه.

أولاً هم يؤكدون أهمية انفتاح الحاكم على الشعب وأنه لا يصح له أن يجلب عن شعبه. فلأمير المؤمنين عليه السلام أكثر من رسالة وكتاب وجهه لولاته يأمرهم فيها بالانفتاح على الناس ومن أقواله: «إذا احتجب الوالي عن رعيته حجب الله يوم القيامة»، ويقول في عهده لملك الأشر: «إن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمر»، والاحتجاج عنهم يقطع عنهم علم ما احتجاجوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح يشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، مع أن أكثر حاجات الناس إليه مما لا مؤنة فيه عليه من شكاة مظلومة أو طلب إنصاف في معاملة»، ودخل الإمام الباقر عليه السلام على الخليفة عمر بن عبدالعزيز وقال له: «يا عمر افتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد الظلم».

وقد مارس الإمام علي عليه السلام عندما كان على قمة الحكم أكبر قدر من الانفتاح مع المعارضة، سواءً أصحاب الجمل أم جماعة صفين وواقعة التحكيم أم مع الخوارج. وفيما يرتبط بانفتاح المعارضة والمحكوم على الحاكم فقد كان لأهل البيت منهج

متكامل في ذلك. فالمعارضة لا يصح أن تكون معارضة احترافية، وإنما أن تكون معارضة من أجل الأفضل ومن أجل مصلحة الأمة والمجتمع. وهذا يقتضي أن تفتح المعارضة على الحاكم مادام هناك مجال وأن تتحدث له عن آرائها وتوجهاتها وانتقاداتها، وكان أهل البيت يقومون بهذا الدور، ونصحوا أتباعهم بالقيام به. ففي حديث عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها أثبت الله عز وجل قدميه على الصراط» وهذا يعني وجود أشخاص في المجتمع بمثابة الجسور بين الحاكم والناس.

ومن الأمثلة على ذلك أن الإمام علياً عليه السلام كان يرى في نفسه الأجدر بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنه لم يلجأ إلى الصراع والنزاع مع الخلفاء الذين تولوا الخلافة قبله ولم يقاتعهم، بل كان منفتحاً عليهم ومتعاوناً معهم متداخلاً معهم.

وأثنى الشيخ الصفار حديثه بامتداح تجربة الكويت وقال بأنها تقدم وضعاً جميلاً ورائعاً في مجال الانفتاح والحوار بين المعارضة والحكومة بينما في دول أخرى تقفل أبواب الحوار وتشتعل فيها لغة العنف والرصاص. مؤكداً بأن الحل لهذه المضلات هو الحوار والانفتاح بين الحاكم والمعارضة.





## تأبين الشيخ عبدالحميد العلي<sup>(١)</sup>

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته  
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا  
محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إذا كانت الأخلاق سمة ضرورية لكل إنسان مؤمن ولكل إنسان يريد النجاح في  
حياته فهي أشد ضرورة وإلحاحاً في شخصية رجل الدين؛ في شخصية العالم والخطيب  
الذي يقوم بوعظ الناس وإرشادهم وتعليمهم تعاليم الدين ذلك لأن:  
علماء الدين هم الأولى والأجدر بتقمص التعاليم الإسلامية.

وثانياً: لأنهم في نظر الناس يشكلون النموذج والمصدق للإسلام وللدين، فإذا  
ما تحلوا هم بمكارم الأخلاق والتزموا بتعاليم الدين فإن التزامهم سيكون أفضل

---

(١) توفي في ٢ / ١ / ١٤١٩ هـ.. ألقى الكلمة في ذكرى أربعينته، ونشرت في معجم الخطباء، تأليف السيد  
داخل السيد حسن، الجزء الثامن، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، دار الصفوة، بيروت - لبنان.

دعوة ودعاية للدين، كما قال الإمام الصادق عليه السلام فيما يروى عنه: «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم».

وثالثاً: لأن رجل الدين يحتاج إلى ثقة الناس ويحتاج إلى إقبال الناس، ولا تتوفر الثقة، ولا يتوفر الإقبال الذي يمكنه من القيام برسالته إلا إذا توفرت مكارم الأخلاق في شخصيته.

من هنا فإن صفة الأخلاق هي أهم صفة يجب أن نبحت عنها في شخصية رجل الدين، إذا توفرت فيه صفة العلم أو صفة الخطابة والبيان أو صفة الإدارة وما أشبه من سائر الصفات المطلوبة لكنه افتقد صفة الأخلاق - لا سمح الله - فإن قدرته على أداء رسالته ستكون ضعيفة بل منعدمة، وقد يكون تأثيره في المجتمع عكسياً، بدل أن يكون داعية للدين يصبح منفراً ويصبح مشوهاً للدين وهديه.

من هنا فإن الصفات الطيبة التي توفرت في شخصية فقيدنا الغالي تأتي في طليعتها صفة الأخلاق، يجمع كل عارفيه وكل من عاشره ولو لفترة في حياته، يجمعون جميعاً على حسن أخلاقه وطيب صفاته النفسية والسلوكية. ولقد تعرفت إليه ورأيت منذ الأيام الأولى التي توفقت فيها للهجرة إلى النجف الأشرف، وهناك على صغر سني كنت ناشئاً وكنت متعلماً أسعى لتعلم الخطابة الحسينية، أتذكر أني قرأت في أحد بيوت العلماء وهو منزل الشيخ أحمد آل سيف رحمة الله عليه، وكانت له عادة أسبوعية، وكان الشيخ الفقيد أحد الحاضرين وأتذكر كيف تعامل معي بعد استماعه لذلك المجلس، قابلني بالحفاوة والترحيب والتشجيع الذي أدركت من خلاله صدق إخلاص الرجل وطيب نفسه، لأنه اهتم كثيراً لطالب صغير ناشئ للتو قد بدأ بسلك طريق العلم والخطابة والدراسة.

والأخلاق مسألة مهمة، أخلاق رجل الدين يمكن أن نصنفها في قسمين:

**القسم الأول:** في تعامله مع الناس بشكل عام، ولا شك أن من الضروري أن يتحلى رجل الدين بالأخلاق الفاضلة في تعامله مع الناس فهو المعلم لهم وهو القائد وهو

الأب، وفي الناس الجاهل، وفي الناس غير المؤدب وغير المتعلم وغير المتأدب، فيحتاج العالم إلى سعة الصدر وإلى عظيم الأخلاق حتى يستوعب الناس بمختلف طبقاتهم وتوجهاتهم. ولا أريد التحدث كثيراً عن هذا الجانب وهذا القسم.

**القسم الثاني:** أخلاق العالم مع أبناء صنفته وطبقته. لا شك أن في كل مجتمع من المجتمعات وخاصة الآن والحمد لله مع هذه الصحوة الدينية التي هبت نسائمها على مجتمعاتنا أصبحت لدينا طبقة وفتة عريضة من رجال الدين من العلماء والخطباء وطلاب العلوم الدينية. ففي بعض الفترات كانت القرية الواحدة أو المدينة الواحدة فيها عالم واحد لذلك لم تكن هناك فئة من الطلبة والعلماء، أما الآن والحمد لله ففي كل قرية عندنا مجموعة من الطلبة والعلماء والخطباء، نسأل الله أن يزيدهم وأن يوفقهم وأن ينفع المجتمع بهم.

كيف يتعامل رجل الدين مع أبناء صنفته؟

لقد لاحظت في حياة الشيخ الفقيه صفة مهمّة كان يحترم كل أبناء صنفته، وكان لا يرضى بذكر سيئ لأحدٍ منهم، هناك صراعات وهناك خلافات ولكن الشيخ الفقيه كان يرفض الدخول في هذه الخلافات والصراعات، وما سمعت عنه أنه شارك ضمن خلاف أو صراع أو نزاع أو تأثر بالخلافات التي قد تدور هنا وهناك. كان يرفض استغابة أي عالم من العلماء أو الحديث ضد أي جهة من الجهات الدينية، ويحاول تغيير الحديث في المجلس بأي شكل من الأشكال، وهذه ناحية مهمة.

يروى عن إمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: « لا يكون العالم عالماً حتى لا يحسد من فوقه ولا يحتقر من دونه ».

العالم يحترم سائر العلماء، سواء كانوا أرفع منه بالمكانة والمرتبة، أو كانوا أنداذاً له، أو كانوا أقل منه مستوى ومكانة علمية.

لماذا؟

لأن أنظار الناس وأسماعهم موجهة إلى سلوك هذه الفئة، إلى سلوك رجال الدين. إذا ما رأوا أبناء هذا السلك وهم يذمون بعضهم بعضاً، ويختلفون فيما بينهم، ويسيء بعضهم إلى البعض الآخر فإن لذلك نتائج ضارة وسلبية. مصداقية رجال الدين تنحصر في المجتمع. الثقة بالعلماء بشكل عام تضعف في المجتمع ويعطي المبرر للمناوئين للدين وللعلماء لإبعاد الناس عن علماء الدين بمبرر هذه الاختلافات وهذه الصراعات.

إن هناك فرقاً بين الاختلاف بالرأي وبين إساءة التعامل والأخلاق. الاختلاف في الرأي هذه حالة طبيعية في الوسط العلمي. العلماء في الحوزات العلمية في البحث الخارج، نرى العالم يطرح رأيه ويدافع عن رأيه ويبين نقاط ضعف الرأي الآخر، هذا خلاف علمي لا إشكال فيه، بل هو مطلوب لبلورة الآراء وإنضاج الأفكار والمسائل، وما دام باب الاجتهاد مفتوحاً فهناك مجال لاختلاف الرأي والنظر. لا مانع أن يختلف العالم مع عالم آخر في رأيه أو وجهة نظره، لكن ليس من المقبول أبداً أن يتحول هذا الاختلاف في الرأي إلى خلاف، وإلى عدوان فإذا فرأى الناس العلماء لا يراعون آداب الإسلام فيما بينهم، وإذا رأوا الواحد منهم يفتش عن معائب ومساوئ الآخر فإنهم سيقولون كيف يكون هؤلاء دعاة لنا إلى الدين والأخلاق وهم لا يلتزمون بالدين والأخلاق فيما بينهم.

من هنا من الضروري جداً أن يكون الفقيه قدوة ونموذجاً لكل الخطباء والعلماء وطلاب العلوم الدينية في أخلاقهم فيما بينهم وفي تعاملهم مع الناس.

باب الحوار و باب النقاش مفتوح يمكن لأي شخص أن يناقش الآخر حينما يختلف معه في الرأي، أما أن يعبى خلفه.. أما أن يسعى إلى إسقاط شخصيته! إن ذلك محظور على كل إنسان مسلم فكيف إذا كان هذا الإنسان ضمن سلك الدعاة والوعاظ.

رحم الله الفقيه الغالي وتغمده الله بواسع رحمته، فقد كان سلوكه في هذا المجال سلوكاً مثالياً ما سمع عنه أنه هرج ضد أحد، أو عبأ ضد أحد، أو شارك باستغابة أحد من أبناء صنفته أو بشكل عام، وهذا يدل على ورعه، ويدل على تقاه رحمة الله عليه.

ولا يمكن أن ننسى خدمته للمنبر، وخدمته لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، هذه الخدمة الجليلة العظيمة التي سيلقى جزاءها وافرأ عند الله المزيّد من الثواب والمغفرة والرضوان عند الله ومن قبل أهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين. نسأل الله له المغفرة والرضوان، وأن يوفق الله الجميع لكي يسيروا في طريقه السليم الصحيح ولكي يتحلوا بأخلاقه الفاضلة، والحمد لله فإن علماءنا ومشايخنا وخطباءنا يضربون المثل الأعلى في التزامهم وأخلاقهم، وما يمكن أن يقال إنها هو نوع من التذكير والتأكيد.

وأعتذر إن كنت قد أطلت شيئاً قليلاً.

أشكر الأخوة الذين قاموا بهذا الاحتفال والاحتفاء وفاءً لبعض حق هذا الشيخ الذي له حق علينا جميعاً.

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.



---

## مقابلات

---





## الفكر الإسلامي بحاجة إلى التجديد في كل زمان<sup>(١)</sup>

الشيخ حسن الصفار:

- لا توجد حرب باردة بين (قم) و(النجف).
- ونعم لتأسيس حوزة علمية في الخليج
- الفكر المنحرف يواجه بالفكر لا بشيء آخر.

حوار ومتابعة: إياد الشارخ...

طراً على ساحة الفكر الشيعي منذ مطلع التسعينيات ما يسمى بفكر (التجديد) حيث يطالب المنادون به بإعادة النظر في بعض المفاهيم والقيم، ومراجعة منهجية وأسلوب طرح الرسالة الفكرية الشيعية، لقد طالب المنادون بهذا الفكر بالاعتدال ونزد الطائفية، وفتح قنوات الحوار والتعاون مع الآخر. وأعلنوا الحرب على بعض التقاليد التي تمارس باسم التشيع وهو غير معني بها، كما شهدت الساحة الفكرية الشيعية آراء جديدة تناقش قضايا أصولية في المذهب الشيعي (كالإمامة بالنص) و (عصمة الأئمة) و (المهدي المنتظر) بل طالب بعض أقطاب الفكر الشيعي بمراجعة بعض الروايات المشهورة لدى المذهب التي تسهم بتعزيز الفرقة مع السنة أو تكريس النظرة السلبية لأعلامهم وأئمتهم. وتتفاعل الساحة الفكرية الشيعية في حوارات تختلط أحيانا الأوراق العلمية والإقليمية

(١) حوار أجرته جريدة الوطن الكويتية، بتاريخ ٤ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ - ٢٤ سبتمبر ١٩٩٨ العدد ٨١٢١ / ٢٥٦٧ السنة ٣٧.

فيها. كما يشتد الحوار حالياً بين مدرسة التشدد ومدرسة الانفتاح. وخاصة أن رئيس الجمهورية الإيرانية (خاتمي) يعتبر من أنصار مدرسة الانفتاح والاعتدال. ويدور الحوار « الشيعي - الشيعي » في مجمله على مبدأ مهم هو مدى قبول مناقشة ومراجعة بعض المسائل الفكرية والأصولية، ومدى إمكانية الانفتاح على الرأي الآخر، وحدود ذلك. ويتأثر هذا الحوار بما يطرأ سياسياً على الساحة الإيرانية واللبنانية والعراقية.. بل ومؤخراً ما يحدث في الخليج.. ويبدو للمراقب من بعيد أن هناك حرباً خفية على الزعامة الفكرية إن صح التعبير، فمن (قم) إلى (النجف) مروراً بالأقطاب الفكرية في لبنان.. بل حتى القاعدة الشيعية في الخليج تعمل على أن يكون لها نصيب في ترتيب الأوراق الفكرية الشيعية.. وقد كان لـ (الوطن) هذا اللقاء مع الشيخ حسن الصفار.. في حوار جريء حول المستجدات الفكرية في الإطار الإسلامي عموماً والشيعي بشكل خاص، ولم يخل الحوار من الصراحة والوضوح، وندعو قارئنا العزيز لقراءة تفاصيل الحوار عبر مناطقه الملتهبة، خصوصاً أن الشيخ حسن الصفار من رواد مدرسة التجديد ودعاة الانفتاح.

### التجديد قضيتي:

الوطن: طرأ على ساحة الفكر الشيعي في السنوات الأخيرة ما يسمى بفكر التجديد، الذي يدعو إلى الانفتاح والاعتدال والتقارب مع الآخر.. أين يقع الشيخ حسن الصفار من هذا الإطار؟!

الصفار: التجديد في الفكر الإسلامي حالة حصلت في الساحة الإسلامية عند كل المذاهب.. فالإسلام كإسلام لا يتغير، لكن فهم المسلمين للإسلام في بعض الحقب والظروف يحدث أن يتخلف عن مسايرة التطور الفكري والاجتماعي، وتتراكم عليه مجموعة من الأفكار والتصورات التي تعبر عن فهم متخلف من قبل بعض المسلمين،

ولكنهم ينسبوننا إلى الإسلام، لكن يحتاج الفكر الإسلامي بل والإنساني بشكل عام بين فترة وأخرى إلى نوع من الانتفاضة أو الهزة أو إلى إزالة ما تراكم عليه من غبار، ودفعه لمسيرة التطور الذي يحدث في حياة المجتمع وحياة البشر، وهذه الحالة توجد في مختلف المدارس الفكرية والدينية وعلى الصعيد الإسلامي، وكل المذاهب الإسلامية أيضاً في الحالة الإيجابية تعيش مثل هذه الحالة (حالة التجديد).

وفي تراثنا الإسلامي هناك بعض النصوص الواردة التي تشير إلى هذا الجانب، كالحديث المتداول: «أنه على رأس كل قرن أو كل مئة سنة يبعث الله مجدداً يجدد الدين للناس».

وقد لا يكون المقصود بمئة سنة الفترة الزمنية المحددة، وإنما المقصود هو بين كل حقبة زمنية وأخرى يحتاج الناس إلى مجدد يدفع بالحالة إلى مواكبة التطورات، ويزيل التراكمات التي تنشأ والغبار الذي يحصل على فهم الناس الإسلام وللدين.

بالنسبة لي تعتبر هذه القضية هي منطلق نشاطي وتحركي، فقد نشأت في بيئة دينية محافظة، ورأيت أقراني من الشباب معرضين عن الدين وعن الحالة الدينية، وهناك من استقطبته الاتجاهات المادية الوافدة، فانضموا إلى الأحزاب اليسارية من شيوعية وبعثية وقومية مختلفة كانت موجودة آنذاك، وهناك من عاشوا حياة اللامبالاة، فلا يهتمون بالجانب الديني ولا بالجانب الاجتماعي، ويمارسون التدين ممارسة تقليدية عادية، في حين تخلى البعض حتى عن هذه الممارسة وهم كثيرون.

وفي مثل هذه الأجواء بدأت أفكر أنه لا يمكن أن يكون الخلل في الدين ذاته، كما لا يمكن أن تتهم هؤلاء الشباب بأن لديهم خبثاً أو مرضاً أو انحرفاً طبيعياً ذاتياً، فليست المشكلة في الدين ذاته ولا في الناس ذاتها والشباب ذاتهم، إنما المشكلة فيما يعرض من الدين، وفي طريقة عرض الدين.

لذلك بدأت أتوجه إلى التجديد في طرح الدين، والتجديد في فهم الناس للدين.

وبدأت بنفسي أولاً فحاولت أن أتعرف حقيقة الدين، وهل الدين هو نفسه السائد عند آبائنا وأمهاتنا وفي الأجواء التي نراها أمامنا؟ أم أن هناك شيئاً أعمق وأصدق وأقرب إلى حقيقة الدين؟

طبعاً كانت هناك كتابات لعلماء مسلمين مجددين هم الذين بذروا بذور الصحوة الإسلامية المباركة الجديدة، وبالاطلاع عليها والاقتراب منها والتأمل فيها استطعت أن أتوصل إلى حقيقة أنه ينبغي أن يكون لي دور في دفع ودعم حركة التجديد الديني في المجتمع؛ من أجل أن يعرف الناس حقيقة دينهم، ومن أجل إعادة هؤلاء الناس إلى دينهم.. هؤلاء الذين تركوا دينهم وهم في الواقع لم يتركوا الدين وإنما تركوا ما سمي بالدين، وما عرف بأنه دين في بيئتهم وفي مجتمعهم.

وبدأنا - ولله الحمد - نمارس دورنا في هذا المجال عبر الكتابة والخطابة، وعبر اللقاء المباشر. وبتوفيق الله أسهمنا في هذه الساحة وفي هذا المجال.. نسأل الله القبول والتوفيق.

الوطن: دعنا نتحدث عن الحرية في الإطار الفكري الشيعي، فهناك تجارب شيعية كتبت ما تعتبره تجديداً للفكر الشيعي من خلال مراجعتها لكتب التراث الشيعي ورؤيتها لبعض الروايات والموقف من بعض القضايا، وعلى سبيل المثال ما كتبه الموسوي وأحمد الكاتب ويردده مؤخراً الشيخ فضل الله وردود الأفعال في الإطار الشيعي. هل تعتقدون أن ما يتم تداوله في هذا الإطار يوصف هذه المحاولات بأنها غير لاثقة ويشكك بأصحابها ويصبح هناك توجه بعزلها، بمعنى تحديد الحرية الفكرية في الدائرة الشيعية؟

الصفار: في الواقع يجب أن نفرق بين نوعين من هذه الحالات، فهناك حالة فكرية

محضة، بمعنى أن يكون الإنسان لديه رأي أو فكرة، والفكر لا يواجه إلا بالفكر، وإذا كانت هناك مواجهات خاطئة عبر أساليب أخرى غير المواجهة الفكرية فهي خطأ ولا يصح أن تواجه الفكر بشيء آخر. وهذه الحالات التي تكون فيها أفكار وآراء معينة لو تصفحنا تاريخ الشيعة وتاريخ أئمة الشيعة عليهم السلام لرأينا أن الأئمة كانوا يستقبلون الآراء المخالفة لهم أو التي يعتبرونها منحرفة بالحوار، وكانوا يردونها رداً علمياً، ففي عهد الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان هناك مجموعة ممن عرفوا بالزنادقة، وهؤلاء كانوا يدخلون على الإمام الصادق عليه السلام وي طرحون عليه تشكيكاتهم وتوجهاتهم الإلحادية، فما كان الإمام يواجههم لا بغضب ولا بانزعاج ولا بإساءة معاملة، بل بالعكس كان يفتح لهم قلبه و صدره ويتحدث معهم بكل وضوح، وهم كانوا يشيدون بهذه الأخلاق عند الإمام الصادق، حتى إن أحد تلامذة الإمام واسمه المفضل بن عمرو وقد أملى عليه الإمام الصادق رسالة مهمة وعظيمة عن التوحيد تعرف بـ (توحيد المفضل)، وسبب إملاء الإمام لهذه الرسالة عليه أنه كان يوماً جالساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة فجاءه بعض هؤلاء المشككين في الدين وفي المبدأ، وكانوا يعرفون بالزنادقة والملاحدة مثل عبد الكريم بن أبي العوجاء وأمثاله، فصار يتحدث بأحاديثه التشكيكية فغضب المفضل وقابله بغضب وانزعاج فالتفت إليه وقال له: «إن كنت صاحب كلام فكلمنا، وإن كنت من تلامذة جعفر بن محمد فوالله ما هكذا كان يعاملنا، وإنا كنا ل نرجع إليه فنلقي عليه كل كلامنا وأكثر مما سمعت فما كان يبدي ردة فعلك هذه».

فالأئمة عليهم السلام منهمجهم في مواجهة الفكر الذي يرونه منحرفاً وخاطئاً هو منهج الحوار وهو منهج المواجهة الفكرية.

وطرح الآراء وإن كانت مخالفة للسائد وإن كانت مخالفة للمألوف أمر لا يمكن منعه والوقوف أمامه، فنحن لا نستطيع أن نمنع الرأي الآخر المخالف لما نرى ونعتقد، والله سبحانه وتعالى لم يعطنا الرخصة أيضاً في قمع الأفكار والآراء، فالقرآن يقول: ﴿لَا

إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي».. ويقول أيضاً جل جلاله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [سورة الزمر، آية ١٨] ويقول: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة سبأ، آية ٢٤].

### الثقافة والعلاقات الإنسانية :

الوطن: ما دمنا نتحدث عن الدين والتجديد فلنخرج إلى الحوار الإسلامي - الإسلامي، فلا شك أن الصحوة الإسلامية خاضت تجربة غنية جداً، وخلال هذه التجربة واجهت عوائق متنوعة ضد ما كانت تطرح من أفكار، وواجهت كذلك أنظمة سياسية تعاملت معها بشكل معين أدى إلى تأخر تقدمها في مرحلة ما، ثم كان هذا الانفتاح الذي نراه حالياً في العالم العربي والعالم أجمع.

الحوار الإسلامي - الإسلامي ليس فقط بين المذاهب المختلفة إنما حتى في المذهب الواحد نجد أن هناك قصوراً في قضية الحوار وإمكاناته، فأين منشأ هذه القضية؟

الصفار: في ظني أن المنشأ عاملان: العامل الأول يرتبط بالوعي الحياتي للكثير من أوساطنا ومجتمعاتنا ففيه ضعف كثير، إن من يعي الحياة ويعي طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع ويعي التطورات التي حصلت، فإن وعيه يدفعه لكي ينهج منهج الانفتاح والحوار مع الآخرين، أما حينما يعيش الإنسان ضمن أفكار مقولبة وضمن أشياء جاهزة يؤمن بها فهذا دليل على أن وعيه ضعيف؛ لذلك لا يسعى للانفتاح على الآخرين والاستفادة مما عندهم وإقناعهم بما عنده هو، فالعامل الأول هو عامل الوعي، أما العامل الثاني فهو عامل الأخلاق الاجتماعية حيث يبدو أن تخلف أو تقدم أي أمة رهن لجانبين:

جانب الفكر والثقافة وجانب نمط العلاقة السائدة. وتعاني مجتمعاتنا كثيراً من التخلف في هذا المجال وهو نمط العلاقات السائدة بينها؛ لذلك يصعب علينا التعاون، ويصعب علينا التفاهم، ويصعب علينا أن نخدم مصالحنا المشتركة، وهذا ناتج عن التخلف، فعاملاً ضعف الوعي والتخلف الأخلاقي بمعنى أخلاق التعامل والتعاطي، هما وراء ضيق الأفق، ووراء التمتع عن الحوار وعن الانفتاح.

### الحوار مع الآخر:

في الواقع، الإنسان حينما تكون له فكرة، أو يكون له رأي هل يريد أن يضل نفسه فيقتنع ويأخذ فكرة خاطئة، إنه كالإنسان المريض الذي يصيبه الداء، فلماذا يتناول الدواء، أليس من أجل الصحة، لذلك يجب أن يبحث عن الدواء الذي يوصله إلى الصحة.. أنا أريد الفكرة التي توصلني إلى الحقيقة، لذلك عليّ أن أتأكد أن الفكرة التي عندي هي الطريق السليم إلى الحقيقة، فكيف أتأكد من ذلك؟

من الطرق الأساس للتأكد أن أطلع على الأفكار الأخرى حتى أتأكد أن فكري هي الصحيحة، أو أن هناك فكرة أخرى هي الصحيحة، أو أصح من فكري، فالإنسان من أجل ذاته هو يجب أن يفتح على الأفكار الأخرى.

إن الشخص منا عندما يذهب ليشترى أي سلعة فإنه يحاول الاطلاع على الخيارات المختلفة ولا يقبل بأول خيار يطرح أمامه، لأنه يريد أن يتأكد أن السلعة التي يأخذها هي الأفضل.

هذا كمثال..

أما في الجانب الفكري فيجب أن نكون أحرص على صحة أفكارنا وعلى صوابها، لذلك هناك كلمة جميلة تنقل عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام يقول: «عجبت لمن يفكر في مأكوله كيف لا يفكر في معقوله فيجنب بطنه ما يؤذيه ويدخل إلى عقله ما يرديه»

ففي الجانب الفكري حينما أسمع فكرة يجب أن أتأكد منها. ومن منهجية التأكد أن أطلع على الأفكار الأخرى. واطلاعي على الفكرة الأخرى إما أن يؤكد لي صحة فكري أو يكشف لي عن صحة الفكرة الأخرى، وأينما وجدت الحق يجب أن آخذه حتى ولو كان عند غيري.

### المصالح المشتركة :

#### في الإطار السني - الشيعي من أين تكون البداية؟

الصفار: في الواقع هناك نقاش حول من أين يبدأ الحوار، حيث يرى البعض أن الحوار يجب أن يبدأ من الجانب العقائدي باعتبار أن مواقف كل طرف أو كل مذهب من المذاهب تعتمد على معتقداته فنبداً الحوار من الجانب العقائدي، وهناك علماء يؤمنون بهذا الرأي والطرح. وهناك رأي ثانٍ آخر يرى أن الحوار ينبغي أن يكون من خلال أصول الفقه والتشريع على اعتبار أن العقائد والأفكار تكون حالة نفسية ذهنية، بينما يكون التشريع هو الحالة المعيشة بين الناس، ولا يمكن أن نتحاور حول المسائل الفقهية المختلف لأنها تعتمد على مبانٍ معينة ولنتناقش حول هذه المباني وهي أصول الفقه. أما الطرح الثالث فهو أن يبدأ الحوار من أرض المصالح المشتركة والواقع المعيش الذي تعيشه الأمة، وأنا شخصياً أفضل أن يبدأ الحوار من هذا المجال وليس في المجالين السابقين لأمرين مهمين:

أولهما: لخطورة الوضع الذي يحيط بأمتنا العربية والإسلامية في هذا العصر والتحديات والمخاطر التي تحف بنا، وهذا يوجب علينا أن نتحاور من أجل أن نحفظ أنفسنا، فكلنا نركب طائرة واحدة وسفينة واحدة إذا أصابنا الغرق أو العطب فسنعرق كلنا بمختلف عقائدنا ومذاهبنا وآرائنا، فلنعمل أولاً على حفظ هذه السفينة التي نمتطيها



فنبداً الحوار حول مصالحنا المشتركة وحول القضايا المعيشة التي تحيط بنا لأنها الأكثر خطورة وحساسية.

ثانياً: لأنها تمهد لنا نفسياً وفكرياً واجتماعياً للحوار في بقية الجوانب. وحينما نجيد التحوار والتفاهم حول المصالح المشتركة هذا يجعل أنفسنا مهياً من أجل أن نتحاور في أمور أصول الفقه.. وفي أمور العقيدة وفي كل الأمور.

إذا بدأنا من المصالح المشتركة يسهل علينا بعد الانتقال للحوار العقائدي وفي مباني الفقه، بينما في رأيي الشخصي إذا بدأنا من تلك الحقول فهذا سيسغلنا عن واقعنا الذي لا يتحمل التأخير في التوجه إليه، وفي معالجة قضاياها، وقد يسبب بعض التشنجات لأن النفوس غير مهياً.

### البداية من الرموز الفكرية :

فيما تعتقد أن المبادرة تبدأ من رموز فكرية أو مؤسسات فكرية، فمن الذي يبدأ بالحوار ويبادر بمناداة الطرف الآخر، هل الأسلم لهذه المبادرات أن تكون من خلال رموز شعبية فكرية أم من خلال مؤسسات ومنشآت فكرية؟

الصفار: في الواقع الرموز الفكرية لها تأثير جماهيري واجتماعي، وهي التي يجب أن تبادر بالحوار، وكان هذا هو المؤمل من رجالات الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية، فالصحوة الإسلامية ليست موجودة عند الشيعة دون السنة ولا السنة دون الشيعة، فبالتالي هناك صحوة إسلامية عند السنة والشيعة، ورجالات الصحوة الإسلامية عند المذاهب الإسلامية بشكل عام معنيون بالحوار، فإن رجالات الإسلام الواعين الذين يتبنون حالة الصحوة الإسلامية ينبغي أن يبدأ الحوار منهم. كما أعتقد أن المؤسسات

الرسمية خاصة عندنا في منطقة الخليج والجزيرة العربية معنية بالحوار كذلك، فالأنظمة والحكومات عندنا تدرك الأخطار المحيطة بهذه المنطقة، وقد واجهت المشاكل السياسية، الداخلية والخارجية في المرحلة الماضية، وأنا آمل أن تكون هذه الأنظمة مشجعة لحالة الحوار بين أتباع المذاهب الموجودين في هذه المنطقة؛ لأن هذا هو الذي يضمن تلاحم أبناء المنطقة مع بعضهم البعض وتصديهم للأخطار. ولذلك أتمنى أن تكون من اهتمامات مجلس التعاون الخليجي والحكومات في دول الخليج أن تشجع حالة الانفتاح بين المذاهب السائدة في أوساط مجتمعات الخليج وشعوب الخليج.

فنحن نعرف أن هناك من ينتمي إلى المذهب الزيدي، والمذهب الأباضي، ومن ينتمي إلى المذهب الاثني عشري الشيعي، ومن ينتمي إلى المذاهب الأربعة من أهل السنة، وكلهم يعيشون في هذه المنطقة، وهناك قوى خارج المنطقة تتربص بهذه المنطقة، وإذا لم يكن هناك تعاون وانفتاح فإن هذه الخلافات المذهبية قد تكون ثغرة للقوى الخارجية الأخرى تنفذ منها للعبث في أمن منطقتنا وبلادنا؛ فحكومات المنطقة أيضا ينبغي أن تشجع وتدفع باتجاه الحوار والانفتاح المذهبي.

### بين قم والنجف:

ننتقل قليلاً عن هذا الإطار ونتحدث حول ما يطرح في الساحة الفكرية الشيعية بما يسمى جدلاً بالحرب الباردة بين «قم» و «النجف»، فإن كان هذا الوجوداً، فهل باعتقادكم له أسباب ومنشأ علمي أم أن هناك أسباباً إقليمية بمعنى بين المدرسة الإيرانية والمدرسة العراقية؟

الصفار: أنا لا أعتقد أنه في هذه المرحلة هناك حرب باردة بين النجف وقم؛ لأن النجف دورها الآن شبه مجمّد ومعتّل في ظل النظام العراقي، والحوزة العلمية في قم هي

الحوزة البارزة التي تحتضن الآن الدراسات الدينية الشيعية وتحتضن العلماء والمراجع.. وصحيح أنه في النجف الأشرف هناك مراجع وهناك مجموعة من الطلاب لكنهم لا يأمنون حتى على أنفسهم، وكما عرفنا خلال الأشهر الماضية أن أكثر من عالم تعرض للاغتيال والتصفية، والعلماء الموجودون الآن في النجف والمراجع الكبار غير آمنين على أنفسهم، ولذلك أغلقوا على أنفسهم بيوتهم وما عادوا يستقبلون الزوار ولا يخرجون من بيوتهم. ففي ظل وضع كهذا ليس هناك حديث عن حرب باردة بين النجف وقم.

### حوزة علمية في الخليج:

ما دمننا نتحدث عن الحوزات العلمية، ما رأيكم فيما يطرح حول إقامة أو ضرورة وجود حوزة علمية في الخليج؟

الصفار: أنا أعتقد بضرورة هذا الأمر، وأعتقد بضرورة وجود حوزات دينية للشيعية في كل منطقة من مناطقهم؛ وذلك لأن من يرتادون الحوزة العلمية غالباً من مقتبل العمر، وهذا الشاب الذي يكون متحمساً دينياً إذا لم يوفر له الدراسة الدينية في بلده وفي ظروف أو ضاع بلده ويخرج إلى بلدان أخرى فلا نعرف كيف سيكون وضعه، وما هي الأجواء التي سيعيش فيها في تلك البلدان؟ ويبقى لفترة طويلة هناك ثم يعود غير مواكب للظروف المتطورة والمتغيرة في مجتمعه. فمن الأفضل أن تكون هناك حوزات علمية للشيعية في مناطقهم في الخليج والجزيرة العربية، فطلاب العلوم يدرسون دراساتهم الأولية في هذه الحوزات وإذا احتاجوا للدراسات العليا يكون الطالب قد كبر نوعاً ما، ونضجت شخصيته، وتجاوز فترة الشباب والمراهقة والعنفوان وفيما بعد ليس هناك أي مشكلة في أن يسافر إلى أي بلد آخر لمواصلة دراسته العليا.

لكن بسبب عدم وجود حوزات علمية دينية للشيعية في الخليج والجزيرة العربية

فإن أي شخص يرغب في الدراسة الدينية في مقتبل العمر فعليه أن يهاجر من بلده إلى منطقة أخرى وهو في هذا العمر، ويعيش في جو آخر يختلف عن جو بلده وظروف بلده السياسية والاجتماعية والفكرية، وقد يحصل أنه يعيش حالة من الإرباك أو حالة من عدم النضج في أخذ ما يجب أخذه أو ترك ما ينبغي تركه، فالأفضل أن تكون هذه الحوزات في مناطق الشيعة.

### أسباب علمية وسياسية :

ما هي أسباب عدم وجود هذه الحوزات. هل هي أسباب سياسية أم علمية؟

الصفار: في بعض الأحيان أسباب علمية لأن وجود حوزة يحتاج إلى وجود عدد من العلماء المتفرغين للتدريس، والعلماء في هذه المناطق قلة. والموجود منهم منشغل بمهامه الاجتماعية. وفي بعض الأحيان يكون السبب عدم وضوح أهمية وجود الحوزة أمام الجهات الحاكمة وأمام الأنظمة والحكومات مما يجعلهم لا يشجعون مثل هذا الأمر.

هل هناك تفكير جاد لإيجاد مثل هذه الحوزات في الخليج مستقبلاً؟

الصفار: هناك بدايات طيبة الآن لكنها تحتاج للتشجيع والوقت حتى تنمو بشكل أفضل، فمثلاً في الكويت منذ عام ١٩٧١ كانت هناك تجربة إيجاد حوزة دينية حينما كان هنا الإمام السيد محمد الشيرازي، فقد أنشأ مدرسة دينية وأقامت أنا فيها عدة سنوات وكانت محاولة رائدة وجيدة، وتوجد الآن محاولات في مختلف مناطق دول الخليج والجزيرة العربية بهذا المنحى، لكنها تحتاج إلى دعم أكثر من قبل الناس وتشجيع من قبل

الحكومات في هذه المنطقة.

## المرأة والرجل مواقع متساوية :

نتنقل الآن إلى المرأة وموقعها في الفكر الشيعي، وتعليقاً على قضية المرأة هناك تحفز غير مفهوم ودفاع مستميت عن قضية المتعة؟

الصفار: من نافلة القول أن نقول إن المرأة في الإسلام هي في نفس موقع الرجل، وليس هناك فارق بين قيمة الرجل وبين دور الرجل أو قيمة ودور المرأة. وفي النصوص الإسلامية من خلال القرآن ومن خلال الأحاديث والروايات، ومن خلال سيرة المسلمين الأوائل ليس هناك فارق بين الرجل والمرأة، وهذه الفوارق التي نراها عملياً في حياة المسلمين بين الرجل والمرأة هي ليست من الإسلام وإنما هي من وحي الأعراف والتقاليد والتخلف العام الذي تعيشه المجتمعات لكنه نسب إلى الإسلام، وهذا الواقع ليس من الإسلام وبعيد عنه.

المرأة في مختلف الجوانب، سواءً في الجانب السياسي أو في الجانب الاجتماعي أو في الجانب العلمي، شأنها كشأن الرجل تماماً إلا ما استثنى وهو قليل جداً، ولذلك تجد أن هناك الآن طروحات جديدة وجادة لتجاوز هذه الهوة المصطنعة بين موقع الرجل وموقع المرأة في المجتمع الإسلامي.

تعلمون أنه الآن في إيران هناك انتخابات لمجلس الخبراء وهو المجلس الذي ينتخب القيادة. والآن هناك كلام جاد في الساحة الإيرانية بأنه ينبغي أن تترشح المرأة ويكون لها الحق في الترشيح لمجلس الخبراء، وفي دستور الجمهورية الإسلامية في إيران ليس هناك ما يمنع أن تترشح المرأة في هذا المجلس وهو أعلى هيئة تنتخب القيادة في إيران وتشرف على سير القيادة.

ومن الناحية الفقهية هناك نقاش بين علمائنا حول جواز تقليد المرأة أم لا، ونحن لدينا شيء اسمه المرجع، وهو الذي يقلد، وكل الفقهاء في مقام الاستقلال والنقاش يقولون ليس هناك مانع من الناحية الشرعية لتقليد المرأة لأن العمومات الواردة ﴿فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل، آية ٤٣] ليس فيها تقييد بشرط أن أهل الذكر من الرجال.. الروايات والنصوص الواردة بالرجوع إلى العلماء وتقدير العلماء والعلم أيضاً ليست خاصة بالرجال دون النساء، فيقول القرآن الحكيم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر، آية ٩]، ويميز القرآن العالم على الجاهل، سواء كان رجلاً أو امرأة. وفي تاريخنا كان للمرأة دور قيادي سياسي وعلمي ديني أيضاً، ونحن حينما نتحدث عن قضية كربلاء وعاشوراء نذكر أن الإمام الحسين ﷺ أوصى إلى أخته السيدة زينب وكانت بعد استشهاد الحسين هي مرجع الشيعة؛ لأن الإمام زين العابدين علي بن الحسين كان مريضاً أيضاً، فكان الشيعة يرجعون إلى السيدة زينب. وعندنا عدة قضايا أيضاً في تاريخ أئمتنا كانوا يأمرهم بالرجوع إلى النساء في بعض المسائل مما يدل على أن أخذ المرأة لموقع أن تكون مرجعاً للتقليد أو مصدراً للفتوى الشرعية لا مانع فيه.

### المرأة والسياسة :

والدور السياسي واضح منذ العهد الإسلامي الأول بدءاً بموقف السيدة فاطمة الزهراء ﷺ التي كانت صاحبة رأي سياسي بعد وفاة الرسول ﷺ، والسيدة عائشة ﷺ أيضاً لها رأي سياسي يخالف رأي الخليفة الإمام علي ﷺ، وانتهاء بالكثير من الأحداث التي كان للمرأة فيها دور ومشاركة سياسية.

فالحالة الموجودة من تفاوت بين موقع الرجل والمرأة بحيث تكون المرأة محصورة بأعمال البيت فقط هذه حالة ليست نابعة من الإسلام، وإنما هي نابعة من الأعراف والتقاليد في المجتمعات الحديثة. وبالمناسبة، فأنا لديّ كتاب مطبوع في هذا المجال تحت

عنوان (مسؤولية المرأة) وفيه مناقشة لهذه الجوانب.

### حول المتعة :

أما فيما يرتبط بموضوع المتعة فأنا شخصياً أتقرّر كثيراً من تكرار طرح هذا الموضوع ومن المبالغة في الدفاع عنه، وأعتقد أن الطرفين شريكان، فالطرف الذي يطرح هذا الإشكال ويشهر بهذا الموضوع ويعتبر أن قول المذهب الشيعي بجواز المتعة موجب للتشهير والعيب بالشيعة لأنهم يقومون بإباحة المتعة، فهذا التشهير يندرج في إطار الإثارات الطائفية. والكل يعرف أن قضية المتعة ليست خاصة بالمذهب الشيعي فهي مذكورة في القرآن الحكيم، وهي مذكورة في صحيح البخاري، ومذكورة في صحيح مسلم. وأصل تشريع المتعة يعترف به الجميع إنما الخلاف أنها نسخت أم لم تنسخ، فما دامت المسألة موجودة في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ فالقائل بها لم يتتدع شيئاً، وكلنا نعتزف بأن هذا الأمر كان مشرعاً لكن هل نسخ في عهد رسول الله ﷺ كما تشير الروايات الواردة في صحيح البخاري وصحيح مسلم، أم أن النسخ كان في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كما تشير روايات أخرى؟ فما دامت المسألة فقهية تبحث في كتاب فقه النكاح ولها أصل في الشرع فلماذا تؤخذ كمادة للتشهير وللإعابة.

وفي الجانب الآخر، نحن الشيعة في بعض الأحيان يحدث استدراج لهذه الإثارة، وأنا عندما أجد أن هناك تشهيراً أحاول الدفاع عن نفسي. وأيضاً رأبي وموقفي من مجمل التصرفين الأول والثاني أنهما جعلوا الاهتمام بهذا الأمر وكأنه هو قضية القضايا ومشكلة المشاكل.

من الناحية الرسمية الآن في الجمهورية الإسلامية في إيران زواج المتعة غير مشروع قانونياً وغير متناول. وحيننا نأتي إلى الكلام من الناحية الاجتماعية، وهل لهذا التشريع

أضرار أو منافع فهذا أيضاً يكون بحثاً موضوعياً. أما أن نأخذ القضية وكأنها عنوان للمذهب الشيعي، ويأخذها الشيعة وكأنها معركة رئيسة لهم، فهذا شيء لا داعي له ومثير للاشمئزاز والتقرز.

### بين التراث السني والشيعي:

بالنسبة إلى مراجع الفقه والتراث الشيعي هناك من يعتقد بأنها بحاجة لمراجعة أملاً بتنقيتها من بعض الروايات المكتوبة التي تزيد من حجم المسافة ما بين المذهب الشيعي والمذاهب الأخرى وهذه مسيرة طويلة، ألا تعتقدون بأن هذا المشروع يستحق من ينبري له بجد؟

الصفار: في الواقع كل التراث الإسلامي، سواء كانت المصادر عند الشيعة أو عند السنة تحتاج إلى تنقية وغرلة، وبعضها يحتاج إلى التوثق من صحته وصدوره، وبعضها يحتاج إلى إعادة النظر في فهمنا للنص حتى على تقدير صحة النص فكيف نفهمه، فكل التراث سواء كان ما عند السنة وما عند الشيعة يحتاج لبحث، لكن اللافت للنظر أننا نهرب من النقد الذاتي، وكل واحد يوجه نقده للآخر وليس لذاته، فالشيعي ينتقد ما في تراث أهل السنة، لكنه لا يتحلى بالجرأة لكي ينتقد تراثه هو، والسني أيضاً ينتقد ما في تراث الشيعة ولا يتحلى بالجرأة لينقد ما عنده هو من تراث أيضاً ويعيد النظر فيه، وفي الحقيقة كل تراثنا السني والشيعي بحاجة إلى إعادة نظر.

ومما يساعد على إعادة النظر في التراث الشيعي أن الشيعة ليس عندهم صحاح، وإذا كان أهل السنة عندهم الصحاح الخمسة أو الصحاح الستة وإذا كان هناك صحيح البخاري وصحيح مسلم، فالشيعة ليس عندهم مصدر تراثي يعتبرونه صحيحاً وإنما يرون أن كل ما في مصادرهم خاضع للبحث والنقاش، فمثلاً الكتب الأربعة عندنا نحن



الشيعة التي تعتبر مصادر: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، وهذه الكتب الأربعة عندنا نعتمدها كمصادر وكل فقيه من الفقهاء وكل مرجع حينما يأتي يجب أن يجتهد في كل رواية في هذه المصادر ولا يصح له أن يعتمد على أن هذه الروايات صححها الكليني أو الطوسي، وبناءً على ذلك يعمل بها، وإنما يجب أن يُعْمَلَ رأيه واجتهاده فيها. وقد ألف أحد العلماء المعاصرين كتاباً سماه (صحيح الكافي) يحوي منتخب الروايات التي يراها صحيحة اعتبرها صحيح الكافي فاعترض عليه سائر العلماء؛ لأن هذا صحيح في نظرك أنت وليس صحيحاً في نظر المجتهدين وقد يختلفون معك في الرأي، فليس هناك ما هو مقطوع أو مسلم به في كتب التراث إلا بعد الدراسة والبحث والاجتهاد، وهذا ما يسهل على الشيعة مهمة المراجعة ومهمة إعادة النظر في بعض الروايات، سواءً في صحة سندها وثبوت ورودها، أو في فهمها لها.

ولكن قد يكون عند إخواننا أهل السنة نوع من الصعوبة؛ لأن بعض الصحاح، وخاصة صحيح البخاري وصحيح مسلم، أصبح لهما مكانة في النفوس وثقة عند العلماء بحيث يصعب مخالفة شيء مما ورد فيها.

ومن وجهة نظرنا نرى أنه مفروض أن يكون هناك مجال لإعادة النظر في كل ما ورد. والمقطوع به هو كتاب الله سبحانه وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ما عدا ذلك فالاحتمالات واردة إما في صحة ورود النص أو في فهمنا للنص.

### مخالفات باسم عاشوراء :

«عاشوراء» مناسبة سنوية يتناول فيها الشيعة بشكل مكرر وتقليدي تفاصيل «كربلاء» ويتم فيها استنفار القاعدة الشيعية عاطفياً ومذهبياً بشكل يراه البعض لا يخدم حتى حقيقة الفكر الشيعي، وما يصاحب أجواء المناسبة من لبس الأسود، وملابس للأطفال يكتب عليها «يا

لثارات الحسين».. هذا الاستهلاك السنوي.. ماذا يجني منه المسلمون والأمة الإسلامية.. ألا يمكن تغيير استثمار هذه المناسبة بشعارات تنموية وإيجابية تسد حاجة المسلمين. وتنشئ مشروعاً خيراً، وتناقش مشاكل الأمة وما تواجهه من مخاطر؟!!

الصفار: في الواقع الحديث عن عاشوراء عند الشيعة له بعدان: هناك بعد المفروض، وهناك بعد الواقع في الممارسة التي نعيشها، بالنسبة لبعد الواقع والممارسة المعاشة، بالفعل هناك الكثير مما يستوجب النقد ومما يستوجب التغيير والتجديد، سواء كان في الخطاب الذي يتم على المنبر في المحرم أو في الأجواء العامة التي تحيط بالمناسبة، وهناك ما يستوجب النقد والتطوير، وهذا مطروح حتى في داخل المذهب ومن قبل علماء ومفكري المذهب. لكن الجانب الآخر حول أصل الموضوع، أصل المناسبة لماذا يحتفى بمناسبة عاشوراء؟ عاشوراء هي مناسبة سنوية لتجديد الولاء لأهل البيت النبوي، وهذا في الأصل لا غبار عليه، وهناك مناسبة أخرى في شهر ربيع الأول عند كثير من المسلمين حول ميلاد الرسول ﷺ وعلى صحبه، والمسلمون في مختلف المناطق يحيون هذه المناسبة باحتفالات وعطلة رسمية في مختلف الدول الإسلامية، وهناك محطات زمنية يستذكر المسلمون من خلالها معالم تاريخهم ويجددون العهد بشخصيات دينهم ومبدئهم، هذا في الأصل لا غبار عليه، وإنما الإشكال في طريقة الإحياء وطريقة الممارسة، والنقطة الثانية بالنسبة لـ (عاشوراء) وما يصاحبها من الحالة الروحية والعاطفية التي تحيط بها فيمكن استثمارها استثماراً (جيداً) فيما ينفع الناس وينفع هذه البلدان وينفع هذه الشعوب، وأعتقد أن هناك تطبيقات لهذا الأمر، فعندنا الآن بعض الخطباء الأكفاء الذين يطرحون خطابات جيدة ومنفتحة ومنتورة ويفيدون المجتمع من خلال هذه الخطابات.

### عاشوراء في الإطار التربوي:

ونحن نلاحظ أن هناك جانباً آخر لإحياء هذه المناسبة، فنحن نرى أن إحياء هذه المناسبة يساعدنا كثيراً في الوقوف أمام هذا السيل الجارف من الأفكار المادية والشهوانية في مجتمعاتنا، ونلاحظ نحن أثر هذه المناسبة؛ لأن الشباب ذكوراً أو إناثاً خلال هذه الأيام العشرة يعيشون هذه الأجواء الدينية ويستمعون إلى الخطابات ويسمعون قضايا الدين والتاريخ والأخلاق، وهو مفيد جداً. ونرصد نحن في مجتمعاتنا المعطيات الإيجابية في هذا الموسم لكل عام، بحيث لو لم يكن هذا الموسم وهذه التعبئة الدينية الروحية لكان الوضع في مجتمعاتنا من الناحية الأخلاقية والاجتماعية والدينية أسوأ بكثير مما هو عليه.

ولكن هذا لا يعني القبول بكل ما يجري، ولا يصح أن نكتفي بأساليب ووسائل كانت متداولة عند آبائنا وأجدادنا مع تطور الزمن والعصر، وينبغي أيضاً أن تتطور الوسائل والأساليب، وهذا الآن مطروح، لكن كما تعلمون عامة الناس والجمهور حينما يألف طقوساً معينة لا يكون التغيير فيها أمراً سهلاً، خاصة أن هناك قوى تقليدية تواجه أي محاولة للتغيير والتطوير، ونحن مثلاً جربنا طرح مشروع التبرع بالدم في أيام المحرم ونجح هذا المشروع والإقبال كان شديداً بحيث لا نستطيع استيعاب المتبرعين بدمائهم في هذه المناسبة، مثل هذه المشاريع تمثل جانباً من جوانب الاستفادة من هذه المناسبة وأنا أؤيد الرأي الذي ذكرتموه وأدعو له أيضاً وطرحته في بعض محاضراتي.

إننا في كل سنة أيام عاشوراء ينبغي أن نفكر في شعار بعنوان تتمحور حوله الخطابات والأطروحات، ونعبي المجتمع باتجاهه، فمرة مثلاً حول الوحدة الوطنية والوحدة الإسلامية، وفي سنة ثالثة يكون حول رفع الكفاءات، وفي سنة أخرى يكون حول مواجهة حالة البطالة وقضايا التنمية. نحن نرى هذا الرأي، ونرى أيضاً في كل سنة أن نطرح مشروعاً اجتماعياً ينتج عن هذه المناسبة، كأن يتبنى المجتمع دور الأيتام، ومرة أخرى مراكز للأبحاث، وهكذا. وهذه الأفكار نطرحها وهي موجودة في الساحة لكنها

الآن في حالة مخاض لمواجهة الموروث والمآلوف والمتعارف عليه.

### أولويات العمل الإسلامي:

العمل الإسلامي في الخليج أو ما يسمى بالتيار الإسلامي، ماذا ينقصه.. هل التنسيق بين فصائله أو الانفتاح على الجمهور للدخول في مشاريع التنمية.. وهذا التيار الإسلامي المتنوع في مدارسه سواء الفكري أو المذهبي ماذا ينقصه؟

الصفار: في الواقع ما ينقص هذا التيار في تصوري عدة أمور:  
الأمر الأول: الأولويات الاجتماعية والمحلية إن صح التعبير، فغالب التيارات الإسلامية والتوجهات الإسلامية الموجودة في الخليج هي بالأصل مدارس فكرية انبثقت في مناطق أخرى، وبالتالي قد نلاحظ أنها نقلت اهتمامات وأولويات المناطق الأخرى إلى مناطقها، ولم تأخذ الواقع المحلي كثيراً بعين الاعتبار. نحن نحتاج إلى أن تتأقلم هذه الجهات الإسلامية أو التيارات الإسلامية مع محيطها وتجعل أولوياتها هي أولويات مناطقها ومجتمعاتها هذه النقطة الأولى.

والنقطة الثانية هي موضوع التنسيق والانفتاح مع تنوع الاتجاهات ومع تنوع الحالة المذهبية، بشكل عام يجب أن يكون هناك انفتاح بين هذه التوجهات المختلفة. والموضوع الثالث ما أشرتم إليه، وهو مسألة التنمية ومشاركتها في التنمية وفي تنمية هذه المجتمعات، وفي معالجة التحديات التي تعيشها هذه المجتمعات.

وأضيف إلى ذلك شيئاً آخر رابعاً وهو التجديد الفكري، فمجتمعاتنا في الخليج مجتمعات محافظة وذلك الفكر المحافظ متكرس في ساحتنا أكثر من أي منطقة أخرى، والحركة الإسلامية ينبغي أن تقوم بعملية توعية وتجديد وتفهم الناس حركة دينهم بما

يتناسب مع هذا العصر ومع ما يتناسب مع هذه التطورات، والبقاء على الفهم السابق وعلى المصطلحات السابقة وطرح الاهتمامات والأولويات القديمة وما تعاني منه الكثير من ساحاته هذا يكون عائقاً لتطور الحالة الإسلامية والصحة الإسلامية، فأعتقد هذه الأمور الأربعة هي ما تحتاجه الحالة الإسلامية



## شهر الله<sup>(١)</sup>

### بداية اللقاء:

ساحة العلامة المجاهد الشيخ حسن الصفار (دام عزه).  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأهلاً وسهلاً بكم في هذا اللقاء، كما نهنئكم  
بحلول الشهر الكريم رمضان المبارك، أعاده الله علينا وعليكم باليمن والغفران  
والبركات.

### الهلال والإرباقات الشائكة:

ساحة الشيخ: تحصل الكثير من الإرباقات الشائكة في الساحة الإسلامية  
في قضية الهلال، حيث نرى من يصوم ومن لا يصوم ونرى من يفطر ومن

---

(١) حوار أجرته مجلة شهر الله مع ساحة الشيخ حسن الصفار، في عددها السادس، شهر رمضان  
١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

لا يفطر، أما من صوت مرشد لوقف هذا التقاطع بين المسلمين؟

الصوم والإفطار مسألة شرعية لا بد فيها من الاعتماد على الضوابط التي وضعها الشرع لتحديد التكليف فيها، فهناك ضوابط يجب بمقتضاها الصوم أو الإفطار على المكلف ولا يصح أن تكون مسرحاً للرغبات والانتهايات والحساسيات، فإذا ما شخّص المكلف أن واجبه الصوم أو الإفطار وفقاً للضوابط الشرعية فعليه الالتزام بتكليفه. وعلى الآخرين أن يلتزموا بتكليفهم إذا اختلف التشخيص في تحقق تلك الضوابط، وليعذر كل واحد الآخر ولا داعي أن تدخل في القضية الصراعات والاتهامات المتبادلة ولا أن تكون سبباً للتشنج.

إن مجتمعاتنا بحاجة ماسة للوعي باحترام الرأي الآخر والاعتراف به، وخاصة في المجال الديني القائم على أساس الاقتناع والاطمئنان ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٦].

ويبدو لي أن الاختلاف في موضوع الهلال سيستمر ما دامت المسألة تعتمد على الثقة والاطمئنان بالرؤية، نعم إذا عولجت قضية الاعتماد على العلم والقول الدقيق للفلكيين والمراسد الفلكية، إذا عولجت من الناحية الفقهية وأفتى المراجع بذلك فسيكون في ذلك الحل والعلاج.

### التوقف عند محطات الزمن:

حتى نعرف كيف نتوقف عند محطات الزمن، كيف نستقبل هلال شهر الله الكريم؟

يجب أن نستقبل شهر الله الكريم بالاستعداد لجرد الحساب مع الذات، فكما لكل مؤسسة موعد سنوي لجرد حساباتها ومراجعة أمورها، كذلك على كل إنسان مسلم



أن يتوقف عند هذه المحطة الزمنية المباركة لمحاسبة نفسه، والأحاديث الشريفة تأمرنا بمحاسبة أنفسنا كل يوم وليلة، لكن شهر رمضان بخصائصه ونفحاته هو أفضل محطة للمحاسبة والمراجعة والتقويم السنوي.

ليكتشف الإنسان خبايا ذاته، ويتأمل صورة نفسه الحقيقية، ليرى نقاط ضعفه، ومواقع قوته، ثم يبدأ التخطيط لتلافي نقاط الضعف، وتنمية مواقع القوة ويضع له برنامجاً لستته القادمة.

فبالاستعداد للمحاسبة والمراجعة والتقويم، والعزم على التطوير والتخطيط والبرمجة يجب أن نستقبل هذا الشهر الكريم.

### برامج شهر الله :

شهر الله محطة زمانية يتخذها المسلمون للتزود بالوقود الروحي والمعرفي والثقافي وغيره، ليتجهوا إلى الله والآخرة. كيف تؤسس هذه البرامج الرمضانية؟

البرامج الروحية والمعرفية لشهر رمضان المبارك يجب أن تخضع للدراسة والتقويم والتطوير، لا أن تكون روتينية تقليدية نتوارث أساليبها دون أخذ المستجدات والاحتياجات بعين الاعتبار، ولا شك أن مستجدات كثيرة تحدث، ومشاكل عديدة تحصل في المجتمع، وليست أوضاع اليوم كالأمس، ولا معاناة هذا الجيل كالجيل السابق.

ونحن نرى كيف أن الجامعات والمدارس التعليمية تراجع مناهجها كل عام أو بين عام وآخر. فلماذا نحن نصر على نوعية معينة من الأساليب والبرامج دون تغيير أو تطوير. إن المحتوى والجوهر يجب الحفاظ عليه، أما الأسلوب والطريقة فلا بد أن يخضع للتطور حسب المتطلبات.

## محطة فضائية :

في شهر رمضان تتقاطر وسائل الإعلام بمختلف القضايا الثقافية والسياسية، والانحرافية في السلوك، وغيرها من الغزو الثقافي المنحط. ألم يكن الوقت لإيجاد محطة فضائية شيعية لحل مشاكل الشيعة وقضاياهم المصيرية وغيرها وكذلك تثقيفهم بزيادة ثقافي أصيل؟

إيجاد المحطات الفضائية أصبحت حاجة ملحة، وما ننفقه على برامجنا وحسينياتنا في كل منطقة يكفي بعضه لتمويل هذا المشروع.

وإذا كان بناء المساجد والحسينيات مطلوباً فإن المحطات الفضائية يمكن أن تقوم بدور لا يقل عن دور المساجد والحسينيات بل إنها قد تحمي المساجد والحسينيات وتشجع على إعمارها والالتفاف حولها.

لكن نظرة المتبرعين ومن بيدهم الأوقاف والحقوق الشرعية لا تدرك إلى الآن مستوى أهمية هذه الوسائل الحديثة.

إن كل منطقة من مناطقنا تستطيع أن تمول إنشاء محطة فضائية من خلال الأوقاف والحقوق الشرعية وتبرعات المؤمنين، لكننا بحاجة لمن يحمل راية هذا العمل ويمتلك الكفاءة لإدارته.

كما ينبغي الاستفادة من الفرص المتاحة في بعض المحطات لتنمية الوعي وتوجيه الجيل الناشئ.

## تطوير المناسبات :

كيف نظور علاقتنا بأجواء العبادة والحزن والفرح والمواقف والمناسبات التاريخية وغيرها في شهر الله؟

علاقتنا بالأجواء الروحية والمناسبات الدينية تتطور حينما تواكب واقعنا الحياتي،  
وحينما ندرك هدفها في إسعاد حياتنا وتحسين واقعنا الذي نعيش.

الدين ليس برنامجاً لإصلاح الآخرة فقط بل هو قبل ذلك لإصلاح الدنيا، لذلك  
تقول الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٠١].  
وفي الحديث الشريف: «من لا معاش له لا معاد له» وفي حديث آخر: «من كان في  
دنياه عاجزاً فهو عن آخرته أعجز».

فعلينا أن نقوي الصلة والارتباط بين البرامج الدينية والواقع الحياتي لنرى انعكاس  
ديننا على أمور ديننا وقد وعدنا الله تعالى أن تكون حياتنا طيبة إن التزمنا بديننا: ﴿مَنْ  
عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النحل: الآية ٩٧].

### الجولة الروحية :

كيف نعيش الجولة الصلواتية، الصومية، الدعائية، القرآنية في شهر الله،  
وكيف نصنع إنساناً جديداً لا عهد له بالإنسان القديم (إنسان ما قبل  
رمضان)؟

كل تغيير في حياة الإنسان يعتمد على إرادته، وعلى اتباعه الطريق الصحيح  
للتغيير، وفي شهر رمضان المبارك ومن خلال أجواء الصلاة والصيام والدعاء وقراءة  
القرآن يجب أن نستثير في أنفسنا قوة الإرادة، وأن نحرر إرادتنا من الشهوات والأهواء  
وهذا هدف أساس للصوم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٨٣].

والتقوى هي التحرر من الشهوات والأهواء، فإذا حرر الإنسان إرادته وقرر  
استخدامها في الاتجاه الصحيح فذلك هو طريق التغيير والتجديد في حياته ولشخصيته.

أما إذا ضعف أمام الشهوات وخضع للتقاليد والعادات واستجاب لدواعي الكسل والتراخي فإنه لن يستفيد شيئاً من بركات هذا الشهر العظيم، وحتى لو صام فسيكون مصداق الحديث الشريف: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش».

### صومان في شهر الله :

هناك صومان في شهر رمضان: صوم فردي وهو جولة روحية فردية مع الله عز وجل، وهناك صوم جماعي على مستوى الأمة الإسلامية وهو نقلة جماعية إليه عز وجل. ترى ما هي حقيقة هذين الصومين؟

الجانب الجماعي في العبادات الإسلامية له أهمية كبرى حيث لم يترك الله تعالى الحرية للإنسان أن يصوم أي فترة في العام بل جعل الصيام في شهر محدد لتكون فريضة الصيام جماعية على مستوى الأمة.

وكذلك فإن الحج في أيام معلومات ليكون موسماً للتلاقي في أجوائه على مستوى الأمة.

والصلاة وإن كانت في الأصل تؤدي إفرادياً لكنها في يوم الجمعة والعيدين تؤدي جماعية (على تفصيل فقهي)، وبشكل عام الأفضل أن تؤدي جماعية.

إن ذلك ينطلق من أن إصلاح الفرد لا يكفي ولا يحقق الغرض المطلوب من الرسالة. فالمطلوب إنشاء أمة مؤمنة تؤسس لحضارة إلهية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٣]، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٤].

إننا حيننا نعيش الصوم على مستوى الأمة فذلك يجب أن يعزز فينا روح الانتماء

لهذه الأمة وأن نتحمل المسؤولية تجاهها وأن نعيش أجواء الصوم على مستواها وليس على المستوى الفردي فقط.

### طغيان الجو التقليدي على المناسبات:

يقول البعض: إن العبادة الرمضانية تحولت في أذهان الكثير إلى أجواء روتينية رتيبة وإلى طقس ميت، لأنها تتحرك في أجواء تقليدية. فما هو تعليقكم على هذا القول والتفكير؟

هذا القول صحيح إلى حد كبير، فالتعامل مع العبادات عند كثير من المسلمين يتم دون الالتفات إلى هدف العبادة ومحتواها وروحها.

أكثر المسلمين يؤدون الصلاة ولكنهم يتجاهلون هدف الصلاة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة العنكبوت: الآية ٤٥].

والقرآن الكريم يتهدد بعض المصلين بالويل؛ لأنهم يغفلون عن غاية صلاتهم ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [سورة الماعون: الآيتان ٤ - ٥].

والصوم لإيجاد التقوى في النفس ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١]، ومع أن أكثر المسلمين يصومون لكن المتقين هم الأقل، أليس كذلك؟

والحج ورد في حديث: ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج.

إن كل ذلك بسبب الانشغال والاكتفاء بمظهر العبادة دون التطلع إلى أهدافها وغاياتها يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ألا وإن للإسلام غايات فانتهاها به إلى غاياته».

### التطور في القرن الواحد والعشرين:

هناك الكثير من المثقفين وغيرهم يتحدثون عن القرن الواحد والعشرين،

وما يعده الغرب من الثورة المعلوماتية والثورة التكنولوجية وغيرها لهذا القرن.

فهل أن المسلمين - على مستوى العالم - مستعدون لأن يخرجوا مستجدات على الساحة العالمية تتواكب مع العصرنة؟ أم أنهم سيبقون على واقعهم المزري من التأخر والتخلف كما يقول البعض؟

الأمل بالله تعالى كبير، وفي الصحوة الإسلامية المباركة، ففي الساحة الإسلامية الآن قيادات دينية واعية، وتجمعات إيمانية مخلصه، وهناك مؤشرات لنهضة إسلامية واعدة، لكنها الآن تواجه تحديات خطيرة، أهمها:

تحدي اكتشاف مفاهيم الإسلام ورؤاه ومناهجه بعد أن تراكم على تراث المسلمين الكثير من شوائب التخلف ورواسب التقاليد، وضغوط العادات.

تحدي الديكتاتورية والاستبداد في الكثير من بلاد المسلمين الذي لا يسمح للمفكرين والعاملين أن يعلنوا عن أفكارهم ويعملوا وفق اجتهاداتهم.

تحدي مواجهة العدوان والتآمر الخارجي، الذي لا يريد للأمة أن تنطلق وأن تستعيد عزتها وكرامتها. والجيل الإسلامي الواعي يخوض الآن هذه التحديات وعلى مدى كسبه وانتصاره يتحدد مستقبل الإسلام والأمة في هذا العصر، هل تواكب عصرها وتقدم للعالم نموذجها أم تبقى متأخرة متخلفة؟

## الشيعة والعالم<sup>(١)</sup>

- المطلوب منا التبشير بمرحلة جديدة تتجاوز فيها سلبيات الاختلاف.
- التشييع ليس تياراً عقائدياً ولا مدرسة فقهية مذهبية فقط، بل هو رؤية وموقف تجاه الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية.
- نحن بحاجة إلى أجواء الحرية والانفتاح الفكري لتتحرك العقول وتبدع الأفكار.
- أن الأوان لعقد الحوارات البناءة والمؤتمرات الهادفة لتقويم ودراسة الواقع الحوزوي والمرجعي.
- نطالب بمعاهد خاصة للخطابة الحسينية ضمن حوزاتنا العلمية.

س: كيف ترون صورة العلاقات والتعامل بين التوجهات والتجمعات المختلفة والمتعددة داخل الطائفة الشيعية؟

لا بد أن نقرر في البداية أن التعددية والاختلاف في المجتمعات البشرية حالة طبيعية وحق مشروع، فلو استقصينا أوضاع المجتمعات البشرية في أزمنة التاريخ، مهما

---

(١) حوار أجرته مع سماحة الشيخ حسن الصفار مجلة الموسم، فصلية مصورة تُعنى بالآثار والتراث، تصدر عن دار الموسم للإعلام - بيروت، العدد ١١، المجلد الثالث ١٩٩٠م - ١٤١٢هـ.

كانت أديانهم ومذاهبهم، لرأينا حالة الاختلاف والتعددية موجودة وقائمة، وقد يتراءى للبعض أن المجتمع الديني لا مجال فيه للاختلاف والتعددية، فما دمننا جميعاً نؤمن بدين واحد فما هو مبرر الاختلاف وتعدد الآراء والجهات؟ ولكن بشيء من التأمل يكشف الإنسان بساطة هذا التصور، فهناك أسباب وعوامل عديدة تستلزم حصول التفاوت والتباين داخل المجتمع الديني، ولدينا مفاهيم وتعاليم توضح هذه العوامل وتوجهنا إلى كيفية التعامل معها..

فأولاً: التفاوت في المستوى الإيماني ودرجاته، الذي وردت حوله نصوص كثيرة أفرد لها العلامة المجلسي رحمته في موسوعته (بحار الأنوار) باباً خاصاً تحت عنوان: (درجات الإيمان وحقائقه) في كتاب الإيمان والكفر ج ٦ من ص ١٥٤ إلى ص ١٧٥. وبالطبع فإن تفاوت مستوى الإيمان قد يسبب تفاوتاً في الآراء والسلوك والممارسات. يقول الله تعالى: ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٦٢].

وعن عبد العزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «يا عبد العزيز، إن الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الاثني لصاحب الواحد: لست على شيء.. حتى ينتهي إلى العاشرة.. فلا تسقط من هو دونك، فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث إشارة مهمة إلى أنه حينما تقاطع من يختلف معك، فإن الآخرين سيقاطعونك لاختلافك معهم، كما يوجه الحديث تحذيراً شديداً إلى من يسقطون اعتبار إخوانهم المؤمنين ويتجاهلون حقوقهم وشخصياتهم لا لشيء إلا لأنهم لا يوافقونهم في كل ما يعتقدون أو يعملون..

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ١٦٥.



وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق أيضاً يرويها الصباح أبو سيابة، عنه عليه السلام أنه قال: « ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض؟ إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض، وهي درجات <sup>(١)</sup>».

وثانياً: تفاوت مستوى المعرفة والوعي: فما كل الحقائق يكتشفها كل الناس، وبدرجة واحدة من الوضوح، ونصيب الناس من العلم ليس واحداً، يقول تعالى: ﴿نَزَعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: الآية ١٧٦].

واختلاف مستوى العلم والمعرفة يحدث اختلافاً في الآراء والتوجهات، فقد تتجلى حقيقة فبعضنا تقوده إلى قناعة وعمل معين، بينما يرفض الآخرون تلك القناعة وذلك العمل، لعدم اطلاعهم واقتناعهم بتلك الحقيقة الأساس، لذلك يقول الإمام علي عليه السلام: « الناس أعداء ما جهلوا ».

وقد تتوفر لأحدنا معلومات تدفعه لموقف معين، بيد أن من لا يمتلك تلك المعلومات أو لا يعتمدها لا يمكنه أن يتخذ ذات الموقف.. وهذا وارد ليس بين المؤمنين فقط بل حتى عند الأنبياء والأولياء المعصومين المقربين، فإذا شاءت حكمة الله تعالى أن يطلع نبياً على حقيقة معينة يججها عن النبي الآخر فسوف تكون النتيجة نوعاً من التفاوت والاختلاف في الرأي بين ذينك النبيين.. كما يبدو من قصة نبي الله موسى والخضر عليه السلام التي يذكرها القرآن الكريم في سورة الكهف.. وأيضاً في قضاء النبيين داود وسليمان عليه السلام إذ يحكان في الحرث، حسبما ورد في سورة الأنبياء.

وعلى هذه الأرضية يكون اختلاف الفقهاء والمجتهدين في الفتوى، حيث يبذل كل واحد منهم جهده العلمي، ويوظف قدرته الاجتهادية لاكتشاف حكم الله في كل مسألة، ولكنهم قد يختلفون في فتاواهم حتى في المذهب الواحد كما هو معروف لدينا.. واختلافهم مظهر من واقعية الاختلاف في حياة البشر وقبول الإسلام لهذه الواقعية..

(١) المصدر ص ١٦٨.

وثالثاً: اختلاف المصالح: فالمعصوم فقط هو الذي تكون دوافعه في أفكاره وأعماله ومواقفه نابعة من الحق وقاصدة إليه، والعصمة رتبة عظيمة يختص بها الملائكة الذين هم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ \* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: الآيتان ٢٦ - ٢٧] والأنبياء فالنبي معصوم ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ والأئمة الذين أذهب الله عنهم الرجس فطهرهم تطهيراً.

أما سائر الناس، ومنهم المؤمنون ومهما علت درجات إيمانهم، فهم بشر، للمصالح والأهواء دخل وتأثير على آرائهم ومواقفهم، فكل جهة أو فئة أو جماعة تسعى للدفاع عن مصالحها ومنافعها، وعلى أساس ذلك تتخذ مواقفها وتتبنى قناعاتها..

من كل ما سبق نقرر أن حالة الاختلاف والتعددية حالة طبيعية عند الشيعة كما عند غيرهم، ولكن الكلام حول التعامل مع هذه الحالة حيث يكون هذا الاختلاف والتعدد في غالب الأحيان سبباً للتباعد والعداوات والنزاعات، وهذا ما تعاني منه بعض مجتمعاتنا حيث أصبح الاختلاف في الانتماء لهذا المرجع أو تقليد ذلك المرجع، أو الاختلاف في الموقف السياسي والانتماء الحزبي، أو الاختلاف حتى في بعض الآراء والأفكار، وفي بعض الأحيان حتى بين أصحاب الحسينيات ومواكب العزاء.. أصبح ذلك الاختلاف سبباً للصراع ومعوفاً للوحدة والتعاون!!

والمطلوب منا حالياً أن نبشر بمرحلة جديدة نتجاوز فيها سلبيات الاختلاف، فالعالم من حولنا يدخلون الآن عهد وفاق جديد، بعد فترة طويلة من الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي، ومنطقتنا الشرق الأوسط قد تكون مقبلة على وضع جديد، كما تشير تصريحات كبار السياسيين في العالم، والعقد الماضي ما حفل به من تجارب وأحداث، يجب أن يعطينا تجربة ونضجاً في تعاملنا مع بعضنا بعضاً ضمن الحدود التالية:

أولاً: الاعتراف بحالة التعددية ومشروعيتها:

أما إذا تنكر كل منا لوجود الآخر، واعتبر وجوده وحده هو المشروع والأصل، وأراد أن يفرض وصايته على الآخرين، وأن يذوبوا فيه ويلتحقوا به، فإن ذلك سيجعلنا نهياً للصراعات والفتن، وتكون مصلحتنا كمذهب وكطائفة ضحية لهذا الطلب غير واقعي..

ثانياً: وضع حدّ للنزاعات والصراعات كي تسود أخلاقية الاحترام المتبادل، فقد رأينا كيف عادت علينا حالات النزاع والدعايات والاتهامات المتبادلة، عادت علينا جميعاً بالضرر، واستغلتها الأطراف الخارجية، والعناصر المغرضة في داخلنا.. وهنا يأتي دور وسطاء الخير ودعاة الإصلاح من الواعين المخلصين وعلماء الطائفة ورجالها، بأن ينبروا لمعالجة أي خلاف ينشب أو سوء تفاهم يحدث، ومؤسف جداً ندره هذا النوع من المواقف، حيث إن الكثيرين إما أن يتورطوا في الصراعات وينحازوا لأحد أطرافها، أو يتركوا الحبل على الغارب ولا يرون لأنفسهم دوراً أو مسؤولية في هذا الشأن.

ثالثاً: نشر ثقافة التقارب والتسامح والتعاون ومحاربة الأفكار والإثارات التي تشجع التعصب والعزة بالإثم، فعن الإمام الصادق عليه السلام: « من اتهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما »، وفي حديث آخر عنه عليه السلام: « إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن، وتستجير الكذب ».

وأسوأ شيء هو إضفاء صفة الشرعية على الصراعات والنزاعات حيث يعتقد البعض أن تكليفه الشرعي يكون في إسقاط الآخرين المخالفين له، وأن له الثواب في نشر المساوى عليهم!!

رابعاً: وضع صيغ للتعاون بين مختلف الجهات على المستوى العام أو على الصعيد المحلي.. وهناك تباشير وآمال كبيرة في بدء مرحلة جديدة يسودها الصفاء والتعاون بين مختلف جهات الطائفة وعلى كل مستوياتها إن شاء الله تعالى، وأرجو أن تقوم مجلة الموسم بدور ريادي في مجال الإعلام والثقافة لخدمة اتجاه الوحدة والتعاون داخل الطائفة وسائر

المسلمين وأن تكون منبراً مفتوحاً لكل الآراء والاتجاهات الفاعلة..

س: هناك من يرى بأن الأنشطة السياسية والأعمال الجهادية التي قامت بها بعض الحركات والجهات الشيعية في العقد الماضي قد خلفت آثاراً سلبية على الوضع الشيعي اجتماعياً وسياسياً، كما أعطت المبرر لتشويه صورتهم على المستوى الدولي، فما هو رأيكم؟

معلوم أن هناك توجهين في فهم الإسلام والتشيع وعلاقتها بالواقع الاجتماعي، فالتوجه الأول ينظر إلى الدين في حدود المسائل العقائدية والعبادية والوعظية، دون الاهتمام والتدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية، وبناء على هذا الفهم فالتحرك والنشاط الشيعي ينحصر في الالتزام بفقهاء أهل البيت عليهم السلام وإحياء شعائرهم، ونشر أفكارهم وفضائلهم.. ولا ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى العمل الجهادي والسياسي، لأن ذلك يتناقض مع مفهوم التقية (حسب نظرهم) ويشكل استباقاً وتسرعاً للدور التغييري الشامل الذي سيقوم به صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه).. ولأصحاب هذا التوجه منظومة من الأفكار والقناعات يستدلون بها بمختلف النصوص الدينية والمواقف التاريخية.. ولسنا الآن في مورد مناقشة هذا الموضوع ولكننا نريد الإشارة إلى أن للتساؤل المطروح هذه الخلفية، وانطلاقاً منه يحصل هذا الإشكال..

أما التوجه الآخر فيرى أن الدين معني بجميع جوانب حياة الإنسان والمجتمع، والشأن السياسي له الدور الرئيس والتأثير الكبير على كل مجالات الحياة، فمن غير الممكن تجاهله وإهماله من قبل الإنسان المؤمن.. والتشيع ليس تياراً عقائدياً ولا مدرسة فقهية مذهبية فقط، بل هو رؤية موقف تجاه الواقع الذي تعيشه الأمة، وتوجيهات أهل البيت عليهم السلام تدفع أتباعهم إلى تحمل المسؤولية في الدفاع عن مصالح الإسلام وقضايا المستضعفين، فأمر المؤمنين علي عليه السلام يقول: «وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على

كظة ظالم ولا سغب مظلوم» والإمام الحسين عليه السلام يروي عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عبادة الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».. إلى كثير من النصوص والروايات الموجودة في مظانها، وإلى جانب هذه التعاليم والتوجيهات هناك حياة الأئمة أنفسهم التي كانت حافلة بمواقف الجهاد والثورة والمعارضة للفساد والظلم، ونتيجة لذلك تحمل أهل البيت تبعات مواقفهم الرسالية، ودفعوا حياتهم ثمناً لتلك المواقف، وعاشوا الآلام والغصص والتشريد والتنكيل، وأتباع أهل البيت وشيعتهم عرفوا في التاريخ بأنهم ضمير الأمة وحماة الرسالة، وثورات العلويين والهاشميين الدائمة مثال على ذلك..

والنشاط السياسي والتحرك الجهادي للحركات الشيعية المعاصرة إنها هو امتداد لذلك التاريخ، وانثاق من ذلك الفهم لدور الدين في الحياة ومسؤولية المؤمن تجاه الواقع المعيش، وبناء على هذا الفهم والتوجه لا ضير في تحمل المعاناة والصبر على الموقف الإياني الرسالي والملتزم، اقتداء بأهل البيت عليهم السلام وأسوة بهم، فقد شوهدت سمعتهم وشكك البعض حتى في دينهم، كما هو الحال في اتهام الخوارج للإمام علي بالشرك، ودعاية معاوية ضده بأنه لا يصلي ولا يغتسل عن الجنابة، وكما اتهم الإمام الحسين عليه السلام بالخروج عن الدين، وسببت نساؤه وعائلته، ويمكن القول إن حياة أهل البيت عليهم السلام سلسلة متواصلة من الجهاد والفداء من أجل الله والمستضعفين.

من ناحية أخرى، فإن ما قامت به الحركات الشيعية من جهاد وتحرك إنما يأتي ضمن صحوة ونهضة إسلامية هبّ نسيمها على جميع المسلمين، حيث أفاق جهاير الأمة على نفسها لترى أن واقعها بعيد عن منهج الله، وأنها تعيش حياة التبعية والتخلف، ويلفها الحرمان والجهل، وأزمة أمورها بأيدي غير كفوءة ومخلصة، فتحررت الغيرة والشعور بالمسؤولية لدى الواعين المخلصين، وتشكلت الحركات والمنظمات، وحدثت

الانتفاضات والثورات، في مختلف البلدان الإسلامية.. والشريعة وهم جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية ما كان يصح لهم التخلف عن ركب الصحوة والنهضة الإسلامية التي تهدف إلى تحكيم الدين في الحياة وإعلاء كلمة الله، وإعادة أمجاد المسلمين.. وما حصل كان ضمن هذا السياق وهو في مجمله مدعاة للفخر والاعتزاز. كما أن شدة الظلم والقمع والاضطهاد الذي تتعرض له الطائفة في بعض البلدان يشكل عاملاً ضاغطاً ودافعاً باتجاه المقاومة ورد الفعل.

وإذا كانت هناك آلام ومآسي ومضاعفات قد حصلت للطائفة الشيعية بسبب تلك الأعمال السياسية والجهادية فإنها لا يصح أن تحجب عنا رؤية الإنجازات والمكاسب التي تحققت للإسلام والمسلمين من خلال تلك الأنشطة، حيث انتشرت رقعة الوعي الديني، وازداد التفاف الجمهور حول القضايا الإسلامية، واضطرت العديد من الحكومات إلى الاهتمام بالإسلام والتظاهر بالتزامه، وأصبح الإسلام واقعاً وموافقاً يفرض نفسه على المستوى العالمي والمحلي والاجتماعي..

بالطبع، فإن الحديث عن مشروعية التحرك ومبررات النشاط السياسي الجهادي لا يعني القبول بجزئيات وتفصيل كل الممارسات التي تحصل انطلاقاً من ذلك، فالمجال مفتوح والساحة واسعة، لأساليب العمل المختلفة وأشكاله المتعددة، ويمكن النقاش حول بعض الممارسات، أو توجيه النقد لبعض المواقف، فقد تعددت الاجتهادات، وتحدثت التداخلات، وتحصل الأخطاء..

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن هناك جهات دولية وسلطات محلية، وبعض المغرضين الطائفيين، عملوا كثيراً على تضخيم بعض السلبيات، وإثارة الاتهامات ضد الحركات الإسلامية الجهادية بشكل عام والحركات الشيعية منها بالخصوص، وعلينا أن لا نخضع للحرب النفسية، ونهزم أمام التضليل الإعلامي، فالإعلام كان ولا يزال سلاحاً يستخدمه المستكبرون والظالمون ضد تحرك المستضعفين والمظلومين.

س: في مقابل إثارة النعرات الطائفية والتفرقة المذهبية بين السنة والشيعة هناك طروحات ومشاريع للتقريب بين المذاهب الإسلامية ولتوثيق أو اصر الوحدة بين المسلمين، وباعتباركم من المهتمين بطرح هذه القضايا في كتاباتكم وخطاباتكم هل ترون في الأفق طروحات جادة في هذا السبيل؟

الصراعات الطائفية في الأمة وإثارة التفرقة المذهبية عادة ما يكون خلفها عاملان: العامل السياسي، حينما تخطط جهات أجنبية أو سلطات منحرفة، لإشغال المسلمين عن قضاياهم المصيرية أو لتمزيق وحدتهم، وأكثر ما كان يحدث في العقد المنصرم، هو بسبب هذا العامل، فقد أربع الاستكبار العالمي، وأحست الأنظمة المنحرفة بالخطر الداهم، من نمو الصحوة الإسلامية، وتحرك المسلمين وعودتهم إلى دينهم والمطالبة بتحكيمة في الحياة، وفي مواجهة هذه اليقظة الإسلامية استخدم الأعداء إجراءات كثيرة كان من بينها نبش أوراق الخلافات الطائفية المذهبية..

والعامل الثاني هو التخلف الذي تعيشه قطاعات كبيرة من الأمة في المجال الثقافي والأخلاقي، هذا التخلف الذي يتجلى في جهل المسلمين ببعضهم البعض، وفي عدم وجود الانفتاح المتبادل، والحوار الإيجابي، وفي أخلاقية التعصب والتشدد تجاه الرأي الآخر.. وطوال تاريخ المسلمين كان هناك خطان ونمطان في التعامل مع الاختلاف والتعدد المذهبي.. خط التسامح وتجاوز مناطق الخلاف إلى أفق الوحدة الإسلامية والمصلحة المشتركة، خط التعصب والإرهاب الفكري الذي يثير دائماً جزئيات الاختلاف ويضخمها حتى لا تكون هناك فرصة لأي لقاء أو حوار أو تعاون.. والتوجه العام لأئمة أهل البيت عليهم السلام ولأتباعهم الواعين هو في مسار الخط الأول، وليس على صعيد التوجيه والإرشاد فقط وإنما حتى على مستوى الممارسة والحكم في الفترات التي تكون بيدهم السلطة الزمنية، كما يروي الشيخ الطوسي مثلاً في التهذيب عن موقف الإمام علي عليه السلام

حينما تولى الخلافة من المسائل الفقهية المخالفة لرأيه ولا يستسيغ حصول مشكلة تكدر صفو الوحدة، أو تخدم أهداف المغرضين من أجل مسألة جانبية، جاء في التهذيب أنه: «لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي أن ينادي في الناس: لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة - يعني صلاة التراويح التي أفتى بها عمر بن الخطاب في عهده - فنأدى الحسن بن علي في الناس بما أمره أمير المؤمنين فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي صاحوا: واعمره.. فلما رجع الحسن إلى علي قال له: ما هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين الناس يصيحون: واعمره واعمره!! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قل لهم صلوا..»<sup>(١)</sup>.

وإني متفائل جداً في المرحلة الحاضرة من أن هناك وعياً وحدوياً أخذ ينتشر في صفوف المسلمين، وأن أخلاقية التسامح وسعة الصدر واحترام الرأي الآخر هي من سمات هذا العصر الذي ترتفع فيه أصوات الدعوة إلى الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان..

ولعل مما يخدم اتجاه الوحدة الإسلامية انفتاح المسلمين على بعضهم بعضاً وانتشار المعرفة المذهبية، بأن تتاح الفرصة أمام كل مسلم للإطلاع بشكل مباشر على آراء سائر المذاهب الإسلامية، أما الجهل والانغلاق فهو أرضية قبول الدعايات والشائعات المغرضة.

س: الحديث الذي أدلى به سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله لمجلة الموسم ونشر في العدد الثامن أثار العديد من المناقشات والتساؤلات وخاصة فيما يتعلق بموضوع المرجعية الدينية، فما هو رأيكم وتعليقكم على هذا الجانب؟

(١) الطوسي، التهذيب، ج ٣، ص ٧٠.



في البدء أعرب عن احترامي وتقديري للدور الذي يقوم به ساحة العلامة فضل الله حفظه الله في إثراء الثقافة الإسلامية بإنتاجه الفكري الذي يتميز بمواكبته لمتطلبات الساحة وبمعالجته للمشاكل والمهموم الحاضرة، وأيضاً بالجرأة الشجاعة في طرح القضايا والمسائل التي يتهيب الكثيرون من طرحها.

وفيماء يرتبط بحديث سماحته حول المرجعية والواقع الشيعي المعيش أود الإشارة إلى النقاط التالية:

أولاً: أننا يجب أن نتجاوز حالة الخوف من النقد، واتخاذ الموقف السلبي الرفض تجاهه، فما دمنا لا ندعي العصمة لأنفسنا، ونتطلع للأفضل، ونؤمن بدور التناصح والتواصي، فعلينا أن نقبل النقد والتقويم لكل أوضاعنا وقضايانا، والذين يرفضون النقد كأنهم يدعون ضمناً العصمة، أو يفتقدون التطلع للأفضل ويرون أنه ليس بالإمكان أفضل مما كان من أعمالهم، أو يتعالون ويرفعون على قبول التناصح والتواصي.

والقرآن الحكيم حينما يذكر توجيهات وتأديبات الباري سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ على مسامح الأجيال، ويتحدث عن أخطاء وثرغرات المجتمع الإسلامي الأول مرشداً لهم إلى تلافيتها وتصحيحها، إنما لكي يربي الأمة الإسلامية والبشرية جمعاً على ضرورة التقويم والمراجعة والنقد.

والتقويم ليس موقفاً عدائياً، ولا يصح النظر إلى أي نقد على أنه تجريح أو تشهير أو انتقاص، وربما تتصور بعض الأوساط الدينية أن النقد يسبب كشف ثغراتنا ونقاط ضعفنا أمام الآخرين، وأمام الجمهور فتقل وتضعف ثقته في الجهات الدينية، ولكن هذا التصور ينطوي على بساطة واضحة، حيث لم يعد وضع الطائفة الشيعية ولا واقع مرجعيتها، أمراً خفياً بل هي تحت المجهر وتسلط عليها الأضواء، وتجري حول أوضاعها البحوث والدراسات، وقد يكون ما يعرفه الآخرون من تفاصيل أوضاعنا أكثر مما يعرفه الكثيرون منا.. وبسبب انتشار الوعي والمعرفة وانفتاح مجتمعاتنا على العالم، فإن تساؤلات كثيرة،

وحديثاً واسعاً يدور في أوساط الجمهور الشيعي حول مؤسساته الدينية القيادية، وعلينا ترشيد وتوضيح القضايا والأمور حتى لا يستغلها الأعداء لتضليل مجتمعاتنا، وذلك بمناقشتها وتداولها والتحاور حولها وليس بالتستر عليها والتعتيم..

ثانياً: إننا بحاجة إلى أجواء الحرية والانفتاح الفكري، لتتحرك العقول، وتبدع الأفكار، أما إذا ساد الإرهاب الفكري، واتهمنا كل من يطرح فكرة جديدة، وشككنا في نيات كل من ينتقد أو يعترض، فإننا بذلك نحرم أنفسنا من الإبداع الفكري، ونخسر الآراء الصائبة، ونشلّ العقول والأفكار.

ثالثاً: إذا كانت قيمنا ومبادئنا ثابتة دائمة، فإن البرامج والوسائل والأساليب قابلة للتغيير والتطوير كلما تقدم الزمن، نحو الأحسن والأفضل وهذا ما يؤكده ديننا الحنيف كما هو مفاد الحديث الشريف عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو في نقصان، ومن كان إلى نقصان فالموت خير له من الحياة»، وقريب منه حديث عن الإمام علي عليه السلام وآخر عن الإمام الصادق عليه السلام كما في بحار الأنوار الجزء ٧٨ ص ٢٧٧، ص ٣٢٧ والجزء ٧٧ ص ٣٧٧ وفي دعاء يوم الأحد للإمام زين العابدين عليه السلام: «واجعل غدي وما بعده أفضل من ساعتى ويومى».

ومسيرة التقدم والتطور في حياتنا المعاصرة بوتيرة سريعة في مختلف الأصعدة والتكنولوجيا ووسائل المعرفة والإعلام والإدارة، فإذا ما تمسكنا بذات الأساليب والأدوات والمناهج الموروثة في أجوائنا العلمية والدينية، فسوف تكون المسافة الفاصلة بيننا وبين ركب التقدم المعاصر كبيرة وواسعة..

وقد انطلقت من وسط الحوزات الدينية والأجواء المرجعية صرخات مخلصه واعية تنادي بضرورة التغيير والتطوير في مناهج الدراسة الحوزوية، وأساليب التربية العلمية، وطرق التثقيف والإرشاد، ووسائل التصدي القيادي للمرجعية، وكتابات الإمام الخميني رحمته الله ومواقفه تعتبر مدرسة متكاملة في هذا المجال، كما أن للمرجع الشهيد السيد

الصدر عليه السلام آراء وأفكاراً نقدية وتطويرية لواقع الحوزات والدور المرجعي، أشار إلى بعضها في مقدمة حلقاته دروس في علم الأصول، وفي أطروحته حول المرجعية الصالحة، وفي محاضراته الأخيرة التي طبعت تحت عنوان (المحنة)..

وفي إيران كان موضوع تطوير واقع المرجعية محل بحث ونقاش من قبل العديد من العلماء والمفكرين عقيب وفاة المرجع السيد البروجردي عليه السلام وانهقدت جلسات شارك فيها مثل المرجع السيد الطالقاني والشهيد المطهري والمفكر محمد تقي شريعتي وغيرهم، وطبعت على أثر ذلك عدة بحوث في كتاب بعنوان (مرجعيت وروحانيت) باللغة الفارسية، وقد ترجم بحث الشيخ المطهري إلى اللغة العربية وطبع باسم (الاجتهاد في الإسلام). ولا ننسى في هذا المجال الآراء الجريئة التي بثها العلامة المرجع السيد محمد جواد مغنية ضمن كتاباته المختلفة العديدة..

وقد آن الوقت لأن يكون موضوع تقديم ودراسة الواقع الحوزوي والمرجعي مدار بحث ونقاش جاد، ضمن لجان مهتمة، أو مؤتمرات هادفة، أو حوار بناء من خلال المنابر الثقافية والإعلامية.

رابعاً: للمرجعية الدينية دورها الخطير في الأمة وواقعها يؤثر تأثيراً بالغاً على أوضاع الطائفة الشيعية، من هنا فهي ليست بعيدة عن تحمل مسؤولية ما تعيشه الطائفة من واقع وأوضاع، وإذا كانت هناك معوقات وعقبات تضعف قدرة المرجعية على التصدي القيادي فيجب أن تتحمل الطائفة جميعاً مسؤولية معالجة تلك المعوقات وإزالة العقبات.. وإذا كانت التحديات الكبيرة المعاصرة تفرض على الأمة أن تكون في مستوى الاستجابة لهذه التحديات فإن المرجعية هي المعنية بذلك بالدرجة الأولى.

لذلك فمن حق المخلصين والواعين أن يدقوا أجراس الخطر، ويبدو تخوفهم وقلقهم على مستقبل المرجعية الدينية، وأملنا في المراجع العظام، والمسؤولين الكرام في الحوزات العلمية أن لا تشغلهم مزايدات المصنفين والمؤيدين عن الإصغاء لأصوات

المخلصين الواعين.

س: للمنبر الحسيني والمجالس الحسينية دور كبير واضح في واقع المجتمعات الشيعية، وباعتباركم أحد خطباء المنبر كيف تقيّمون دور وواقع المنبر والخطابة الحسينية حالياً وهل تواكب الأوضاع والتطورات السياسية والاجتماعية؟

كما هو معروف، أصبح المنبر الحسيني الوسيلة المتاحة للتثقيف الجماهيري لدى الشيعة، وقام بدور كبير في تنمية الولاء لأهل البيت عليهم السلام والانشداد النفسي لتاريخهم وذكرياتهم في أوساط المجتمع الشيعي.

وهناك عوامل وعناصر قوة كبيرة متوفرة للمنبر والمجلس الحسيني، منها: الحالة الشعبية الجماهيرية لهذه الظاهرة حيث تنعقد المجالس بمبادرات أهلية لا شأن ولا دور للسلطات فيها، ويختار الناس خطباءهم وفق رغبتهم ودون تدخل من أحد، وأيضاً فتجاوب الناس وإقبالهم والتفافهم حول المجالس الحسينية وخاصة في أيام المحرم وسائر المناسبات الدينية أمر يدعو إلى الإعجاب والدهشة. كما أن الأجواء العاطفية المشحونة التي تسيطر على المجالس تجعل القلوب والنفوس مستعدة للتأثر والتفاعل مع ما يبثه الخطيب..

وبذلك تستطيع المجالس الحسينية أن تفعل الكثير، وأن تترك الأثر في الجمهور الشيعي، إلا أن هناك بعض المعوقات التي تضعف دور المنبر وقدرته على إحداث أقصى ما يمكن من تأثير، منها:

- الظروف السياسية التي تحدّ من حرية الخطيب في طرح المواضيع المواقبة للأوضاع والمهتمة بشؤون الساعة، فما دامت الحرية الفكرية والسياسية غير متوفرة في العديد من البلدان، فإن المنبر يكون مقيداً بها تحيطه من ظروف..

ونعرف كيف أن بعض الخطباء الذين أرادوا تبليغ رسالتهم الدينية دون مبالاة بالظروف المحيطة قد دفعوا حياتهم ثمناً لشجاعتهم، والبعض تحملوا السجن والتنكيل والتشريد، كما حصل لخطباء إيران المجاهدين في عهد الشاه المقبور، وكما حصل في العراق.

- الضغوط التقليدية: حيث تصر بعض المجتمعات على التزام الخطيب بنمط وأسلوب تقليدي موروث في خطابته، وأن يكرر عليهم ما ألفوه من قصص وقضايا السيرة، دون التعرض لمشاكل المجتمع وهمومه، كما أن مقياس جودة الخطيب في هذه الأوساط التقليدية يكمن في مدى قدرته على استشارة العواطف، ومقدار رقة الصوت في طرح مآسي أهل البيت (عليهم السلام). بالطبع لا بد أن نقول إن مثل هذه الضغوط بدأت في التقلص والانحسار بانتشار الوعي والفهم.
- مستوى الخطيب وهدفه: فمع قدم الخطابة الحسينية عندنا، وشدة الحاجة إلى الخطباء، وانتشار المجالس الحسينية، إلا أن إعداد الخطيب يتم بشكل عفوي واندفاع وبرنامج ذاتي، فليس لدينا معاهد في حوزاتنا العلمية لإعداد الخطباء أو لتحسين مستوياتهم، وليست هناك برامج مساعدة لتربية الخطباء وتطويرهم، ومع الأسف حتى إن الفصل المختصر حول صناعة الخطابة في كتاب المنطق للمرحوم الشيخ المظفر، عادة ما ينصرف المدرسون والطلاب عن تدريسه في الحوزات العلمية.. وكل ذلك أدى إلى أن يكون أكثر الخطباء في مجتمعاتنا ليسوا بالمستوى المطلوب من حيث نضجهم العلمي والثقافي.
- والأمر الآخر: مستوى الهدف والرسالة، فبعض الخطباء أصبح المنبر لديهم مهنة ومصدر معيشة، والبعض الآخر أصبحت الخطابة لديهم هواية واحتراف، ولا ينكر أن لدينا - والحمد لله - مجموعة من الخطباء الهادفين

الرساليين الذين يعتبرون المنبر وسيلة لخدمة الأهداف المقدسة، ويستثمرون المنبر في توعية الناس وتوجيههم لتحمل مسؤوليتهم الدينية والاجتماعية.. المطلوب في هذه المرحلة الحساسة الاهتمام بوضع المنبر والمجالس الحسينية من قبل مجاميع الخطباء والجهات الواعية في الأمة ويمكن أن يتم ذلك عبر المقترحات التالية:

أولاً: أن تبدي المرجعية الدينية اهتماماً بهذا الجانب برعاية شؤون الخطباء وتفقد أحوالهم، وتقديم التوجيهات لهم، فمثلاً إذا طلب المرجع الديني من الخطباء أن يركزوا في مجالسهم في هذا الموسم (محرمًا كان أو رمضان) على مواضيع محددة يرى أهميتها، فإن ذلك سيلقى استجابة وقبولاً من أكثر الخطباء، وقد فعل ذلك المرجع الإمام الخميني رحمته الله حيث كان يستقبل الخطباء الإيرانيين أو خطباء العاصمة طهران قبيل عشرة محرم ويوجه إليهم نصائحه وآراءه فكان ذلك مؤشراً جيداً مع أخذ الفوارق بعين الاعتبار.

ثانياً: وضع برامج ضمن الحوزات العلمية لتربية الخطباء وتنميتهم..

ثالثاً: عقد مؤتمرات عالمية أو محلية بين الخطباء لتبادل الرأي والتجارب وللمناقشة في اختيارهم المواضيع وتطوير المحتوى والأسلوب الخطابي، إننا نتعجب من أخبار المؤتمرات التي تعقد في الغرب حول أبسط الأشياء وأسخطها كما قرأت أخيراً عن مؤتمر حقوق المدخنين الذي انعقد في هلسنكي / فنلندا أواخر الشهر الحادي عشر من السنة الميلادية ١٩٩٠م، والذي نشرت عنه الجرائد ووكالات الأنباء وأنه استمر يومين وحضره ١٢٠ ممثلاً عن دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا اللاتينية وأستراليا واليابان!!

بينما تكون الدعوة إلى مؤتمر للخطباء أمراً مثيراً للاستغراب والجدل في أوساطنا! وقد يعتذر البعض بعدم مساعدة الظروف السياسية على مثل ذلك، لكن هذا ليس وارداً في كل مكان، فهناك بلدان يمكن لخطبائها أن يجتمعوا ويتبادلوا الرأي والتجربة.

ومن الذكريات العزيزة على نفسي في هذا المجال في سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م هاجرت إلى منطقة عبادان في خوزستان ودعوت الخطباء هناك من عبادان والقصبة إلى التعاون والاجتماع فتشكلت جمعية الخطباء كان يشارك فيها حوالي ٤٠ خطيباً بمستوياتهم المتفاوتة، وكنا نلتقي أسبوعياً، وتبادل الاستفادة، ولكن اندلاع المشاكل السياسية هناك ثم وقوع الحرب مزق ذلك الشمل والاجتماع.

رابعاً: إصدار المجلات المتخصصة التي تعنى بشؤون الخطابة وقضايا الخطباء، والعالم يعج الآن بالمجلات المتخصصة في مختلف المجالات الفكرية والاجتماعية، وكذلك حول الميكانيك، وحول الفن، وحول الأزياء، وحول أغلب المجالات.. فمن المناسب جداً صدور مجلات تهتم بأخبار الخطباء وتراجهم الماضين منهم والمعاصرين، وبأخبار المجالس الحسينية، وبالقضايا التي تهتم الخطباء من حيث محتوى الخطابة أو أسلوبها.

خامساً: أن يتفضل الخطباء الكفوؤون الناجحون بتقديم تجاربهم وأفكارهم ليستفيد منها سائر الخطباء، كالعلامة الخطيب محمد تقي فلسفي والأستاذ الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي والخطيب البارع الشيخ عبد الحميد المهاجر، إن آراء وتجارب مثل هؤلاء الأساتذة الرواد ستكون مفيدة ونافعة للخطباء الجدد والناشئين..





---

## کتابات

---



## تقديم كتاب (الكساء في معارف الأمة الإسلامية)<sup>(١)</sup>

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين المعصومين.

وبعد:

يعجبني في مؤلف الكتاب أمران:

اهتمامه بالثقافة والمعرفة، فهو يجالس العلماء ويكثر زيارة الأدباء والخطباء، ويراسل الجمعيات الثقافية الإسلامية، ويقتني الكتب الثقافية بمختلف ألوانها وأشكالها حتى كون له مكتبة جيدة، يقضي بين زواياها فراغه، ويشبع من حدائقها نهمه للمعرفة والأدب.

وحبذا لو أن كل أبناء مجتمعنا يمتلكون مثل هذا الاهتمام إذاً لسادت الثقافة، وانتشر الوعي، وقضي على الفراغ الذي يسبب الانحراف والقييل والقال.

---

(١) الكساء في معارف الأمة الإسلامية، الحاج عبد القادر الشيخ علي أبو المكارم، الكويت ١٣٩٧هـ.

وفي المجتمعات المتقدمة تعتبر المكتبة ضرورة من ضرورات المنزل، وجزء مهم من أثاث البيت، فكما يوفر الرجل في بيته الثلاجة والغسالة والمكيف، يوفر أيضاً مكتبةً ومكاناً للمطالعة لأفراد العائلة.

ونحن المسلمين - والله - أولى من جميع الأمم والمجتمعات بالاهتمام بالثقافة والمعرفة وبتوفير وسائلها، أليس قرآننا الحكيم يقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: الآية ١١٤] ونبينا ﷺ يقول: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة». والأمر الثاني: رغبته في أن يقدم خدمة ما في حقل الثقافة الدينية والمعرفة الإسلامية.

وكأنه لم يرض لنفسه أن يأخذ فقط، بل يريد أن ينتج ويعطي، بقدر استيعابه وكفاءته فيكون بذلك مساهماً في ترويح ثقافة الإسلام ومعارفه، بالإضافة إلى بقاء اسمه وخلود ذكره واستمرار الثواب له من الله سبحانه وتعالى. وهذا طموح جميل ومفيد لو توفر عند كل فرد من أفراد مجتمعنا، وطالب كل نفسه أن لا يعيش طوال حياته في حالة أخذ بل يجب أن ينتج ويعطي عطاءً مفيداً وخالداً في الحياة.

أقول: لو توفر هذا الشعور ثم تجسّد عملاً ونشاطاً من كل فرد وحسب طاقاته ومستواه لقطعت حركتنا الثقافية شوطاً كبيراً، ولأصبح النشاط الاجتماعي في مستوى متقدم.

وهذا الكتاب الذي يتحرك على أناملك - أيها القارئ الكريم - هو ثمرة هاتين الميزتين اللتين توفرتا في المؤلف الفاضل، فاقتناؤه للكتب ودأبه على المطالعة وفرا له مصادر الموضوع وحلقاته، ورغبته في العطاء أنتجت هذا الكتاب الجميل.

وأتمنى أن يكون الأخ المؤلف قدوة للآخرين في هذا المجال.  
فمزيداً من المطالعة والدراسة..  
ومزيداً من الكتابة والتأليف - يا أبا عدنان - وفقك الله وأكثر من أمثالك.

حسن موسى الصفار

القطيف ١٦ / ٧ / ١٣٩٧ هـ



## تقديم كتاب (الصديقة مريم العذراء: معجزة الأجيال)<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

بعد عشرين قرناً مضت على حياتها، هل لدى السيدة مريم بنت عمران ﷺ ما

تقدمه للإنسانية اليوم؟

ومع هذا التقدم الهائل الذي حققته البشرية علمياً وصناعياً وتكنولوجياً هل نحن

بحاجة لمطالعة أوراق حياة الغابرين الذين عاشوا في العصور السابقة المتخلفة؟

والمرأة التي ثنيت لها وسادة الحكم ومارست دور قيادة السلطة في أهم دول العالم

لهذا القرن، كبريطانيا التي حكمتها (مارغريت تاتشر) ما يزيد على عقد من الزمن،

وفرنسا التي ترأس وزراءها الآن (أديت كريسوف) والفليين التي تحكمها (كورازون

أكينو) والهند التي خضعت لزعامه (أنديرا غاندي) طيلة عقدين من الزمن، فضلاً عن

---

(١) الصديقة مريم العذراء: معجزة الأجيال، الشيخ جعفر الأمد، دار البيان العربي، بيروت، الطبعة الأولى

بنغلادش والباكستان..

هذه المرأة المعاصرة هل تجد في حياة القديسة مريم ﷺ ما يهيمها ويشكل إضافة مفيدة لشخصيتها؟

إن تساؤلات كثيرة من هذا القبيل تواجه أي بحث أو دراسة لحياة الأولياء والصالحين الذي احتضنهم سالف الزمن.

ويمكننا استشفاف الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال الإشارة إلى البعد الآخر والأهم في حياة الإنسان، وهو بعد الروح والقيم والمعنويات، فالإنسان ليس جسماً فقط، ولا هو كائن مادي فحسب، ذلك أن الله تعالى حينما خلقه من طين نفخ فيه من روحه، ووهب له العقل والإرادة والضمير، ولا تستقيم حياة الإنسان إلا بالتوازن بين بعدي الروح والجسد، الماديات والمعنويات، فإذا ما تجاهل الإنسان أحدهما فإن حياته ستصبح عرجاء عوراء، كمن يفقد إحدى رجله أو إحدى عينيه.

وما تعانیه البشرية الآن من مأس والآم إنما هو نتيجة طبيعية لفقدان التوازن المطلوب حيث أهمل الجانب الروحي المعنوي، بينما تقدمت وتضخمت الاهتمامات المادية.

إن البشرية اليوم في أمس الحاجة إلى ينباع الروحية، والوقود المعنوي، لكبح جماح عوامل الشر والفساد والإجرام، التي أضحت مدعومة ومسلحة بإمكانات التقدم المادي الهائلة.

وحياة الأولياء هي المصدر والينبوع الذي يروي عطش الإنسان للمعنويات والقيم، وهي النسيم الذي ينعش ضمير الإنسان ووجدانه، وينمي في شخصيته توجهات الخير والصلاح.

والكتاب المائل بين يدي القارئ الكريم هو محاولة طيبة لتسجيل صورة مبسطة واضحة عن حياة السيدة الصديقة مريم ابنة عمران ﷺ، وهي قدوة ربانية وأنموذج إلهي



ومنع فياض بالقيم والمعنويات.

ورغم مضي عشرين قرناً على وفاتها إلا أن حياتها وسيرتها لا تزال ثرية ومعطاءة، تؤكد لبني البشر عامة، ولبنات حواء خاصة، ضرورة الارتباط بالله سبحانه وتعالى والخضوع لشريعته، وأهمية القيم الروحية السامية والمناقيب السلوكية ودورها في سعادة الإنسان وتجنبيه المخاطر والشور.

لقد كانت السيدة مريم عليها السلام إنسانة عظيمة ذلك لأن الرجولة والأنوثة ما هي إلا إطار للمضمون الإنساني، وبمقدار ما يتوفر المضمون وترتفع درجة المحتوى تكون قيمة الإنسان وعظمته دون أي اعتبار للإطار رجولة كان أو أنوثة.

واختار الله تعالى هذه المرأة لتحدث من خلالها معجزة إلهية نادرة، ولتكون أمّاً لنبى من أنبياء الله العظام وأحد أهم مغيرى تاريخ البشر والمؤثرين فيه نبى الله عيسى عليه السلام، وأن تكون أمومتها له بشكل استثنائي غير مألوف حيث لم يمسهما بشر، أي من دون زوج، وهذا التقدير الإلهي كان امتحاناً وابتلاءً صعباً للسيدة مريم عليها السلام حيث استهدفتها سهام المغرضين والمفترين، ولكنها تحملت الآلام، وصمدت أمام الإثارات والافتراءات، وكانت كما أرادها الله وفي مستوى التحدي، ونجحت في الامتحان العسير.

تلك المرأة التي ناصبها المجتمع العداء في حياتها، أصبحت الآن المرأة الأولى بين بنات حواء من حيث التقديس والإجلال، فأكثر من نصف البشر يكون لها الاحترام والإكرام، وينشدون ويتبركون بذكرها، ويتيمينون بكل ما يمت إليها بصلة.

أرجو أن المؤلف الفاضل قد وفق في محاولته، وأن يجد القارئ الكريم في سطور هذا الكتاب ما يمنحه المزيد من الثقة بربه وبذاته، وما يدفعه للاستضاءة بأنوار حياة هذه الصديقة الطاهرة وخاصة بالنسبة للمجتمع النسائي.

وأتمنى أن يكون هذا الكتاب باكورة وبداية لمسيرة نشطة هادفة في حقل التأليف

والكتابة من قبل المؤلف الكريم الذي نذر حياته لخدمة الدين والمجتمع، وروض نفسه  
بمكارم الأخلاق حفظه الله ونفع به وكثر في المجتمع أمثاله.  
وسلام دائم على الصديقة الطاهرة مريم ابنة عمران وعلى ولدها النبي العظيم  
عيسى وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وأولياء الله الصالحين.

حسن الصفار

١٤١٢/٢/٢٥ هـ

## تقديم كتاب (عقدة الحقارة)<sup>(١)</sup>

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين. الحالة العامة التي يعيشها المجتمع هي نتيجة ومحصلة لحالات أفراد المجتمع، فحينما يستقيم سلوك الأفراد يكون الوضع العام للمجتمع سليماً، وحينما يصاب أفراد المجتمع بالانحرافات والأمراض، فإن الحالة العامة للمجتمع ستكون سيئة وفسادة، فمن مجموع الأفراد يتكون المجتمع، ومن حالاتهم يتشكل واقعه العام. وإذ ما رأينا واقع المجتمع غير سليم، فلا بد أن ندرس واقع أفراد المجتمع لنذكر مكنم الخطأ وسر الانحراف. وأغلب مجتمعاتنا الإسلامية اليوم تعيش واقعاً لا يتطابق مع تعاليم ديننا الحنيف، ولا يرتضيه العقل، حيث التخلف الشامل، والأزمات الخانقة، والأمراض المتفشية، والخضوع للظلم والإذلال، والنزاعات والصراعات.

---

(١) عقدة الحقارة، رضي آل مطر، دار البيان العربي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

ومن أجل إصلاح هذا الواقع السيئ، لا بد من التوجه إلى دراسة الجذور والأسباب العميقة، ومكمنها نفسيات أفراد المجتمع، فواقع كل فرد انعكاس لحالته النفسية، كما أن واقع المجتمع انعكاس لحالات الأفراد.

فإذا ما رأينا أغلب أفراد مجتمعنا يعيشون اللامبالاة والهروب من تحمل المسؤولية والانهازم أمام التحديات، فلا بد أن نعرف أن الأمراض تعشعش في نفوسهم. ومن دون معالجة تلك الأمراض النفسية الروحية لا يمكن إصلاح واقع الأفراد الذي هو السبيل إلى صلاح واقع المجتمع.

لذلك يقول ربنا الحكيم العارف بخبايا وأسرار خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: الآية ١١].

وانطلاقاً من هذه الحقيقة الصادقة الثابتة فإن على من يفكر في إصلاح المجتمع أن يهتم بمعالجة الأمراض النفسية الروحية لأفراد المجتمع.

وهذا هو منهج الأنبياء والرسل والأئمة عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام حيث كرسوا جهودهم لإصلاح النفوس وتزكيتها ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة الجمعة: الآية ٢].

والغافلون عن هذه الحقيقة قد يتساءلون عن دور الأنبياء والأئمة وأنهم ماذا قدموا للناس غير النصائح والمواعظ؟.

أجل، فإن أهم ما يحتاجه الناس هي تلك النصائح المواعظ، التي تسلط الأضواء على دخائل نفس الإنسان، وأحاسيس قلبه، فتكشف له مواقع المرض، وحالات السقم، وترشده إلى العلاج الصحيح.

والموجهون الآن للمجتمع من علماء وخطباء وكتاب عليهم أن يواصلوا مسيرة الأنبياء والأئمة في السعي إلى ترقية نفوس أبناء المجتمع وتطهيرها من الأمراض الأنانية والانهازمية والانحراف.

لقد كان مجتمعنا في الماضي يعاني من انتشار الأمراض الجسمية، وكانت نسبة الوفيات مرتفعة، والعاهات منتشرة، لعدم توفر المؤسسات الصحية من مستشفيات ومستوصفات، ولعدم وجود خطط للوقاية من الأمراض قبل حدوثها، وللعلاج منها بعد الإصابة بها، فكانت حتى الأمراض البسيطة الخفيفة تقضي على حياة الكثيرين. لكن التقدم النسبي في المجال الصحي قلل معدل الوفيات، ووضع حداً للعاهات والأمراض.

والمعادلة ذاتها وبشكل أقوى تفرض نفسها على الصعيد الروحي النفسي، حيث لا بد من خطط للوقاية من الأمراض النفسية الروحية، ولا بد من برامج للعلاج من الإصابة بها. وبدون ذلك ستكون خسائرنا كبيرة وفادحة أين منها خسائر الأمراض الجسمية؟

فأمراض النفوس خطرهما أشد من أمراض الأجسام. والمؤسسات الدينية ثقافية واجتماعية هي بمثابة المستشفيات والمستوصفات لأمراض النفوس والأرواح.

والعلماء والخطباء الواعون هم الأطباء المتوجهون لمعالجة تلك الأمراض، وكل تقدم في المجتمع على مستوى المؤسسات الدينية والعلماء والخطباء يعني ضماناً أكثر واهتماماً أكبر بإصلاح واقع المجتمع وتغييره إلى الأفضل.

لقد سرتني وأسعدني جداً الاطلاع على هذا الكتاب الجميل، الذي بذل فيه مؤلفه جهداً مشكوراً لدراسة ومعالجة مرض نفسي روحي خطير يعاني منه الكثيرون من أبناء مجتمعنا.

ذلك هو مرض (عقدة الحقارة) الذي يجعل الفرد خانعاً ذليلاً مستسلماً للتخلف والظلم، والذي يمنع الإنسان من تفجير طاقاته ومواهبه، ويقتل ثقته بنفسه، ويجرمه من القيام بأي دور فعال لخدمة مجتمعه.

وفي ذات الوقت فإن مرض (عقدة الحقارة) يدفع الإنسان نحو السلوك الشائن والتصرف المنحرف الخاطيء.

وكم نرى في مجتمعنا عناصر وأشخاصاً يكتبون مواهبهم وقدراتهم لضعف ثقتهم بأنفسهم، وكم نلاحظ حالات الذل والخنوع والهزيمة أمام معتدين ضعفاء جبناء لا قوة لهم إلا استسلام ضحاياهم وسيطرة الشعور بالعجز والضعف على نفوسهم.

بالطبع، فإن عوامل عديدة أسهمت في خلق هذا المرض وتفشيهِ في نفوس أبناء المجتمع. فما هي تلك العوامل؟ وكيف نواجهها؟

هذا ما تحاول صفحات هذا الكتاب القيم الإجابة عليه.

وإني إذ أهنئ المؤلف الكريم على كتابه الجميل لأدعوه وهو الشاب الواعي المخلص والخطيب الرسالي الهادف أن يواصل جهوده في بحث هذه المواضيع من خلال الكتابة والخطابة، فعبّر جهوده وجهود أمثاله من الواعين المخلصين نأمل لمجتمعنا الإصلاح والتغيير.

أرجو أن يقتدي سائر الخطباء والعلماء وطلاب العلوم الدينية أثر هذا الشاب الفاضل فيثرون الساحة بخطاباتهم وكتاباتهم الهادفة التي تسلط الأضواء على جذور التخلف والفساد وترشد إلى سبل الوقاية والعلاج.

شكر الله سعي المؤلف وتقبل عمله ووفقه للمزيد من خدمة الدين والمجتمع وكثر في المؤمنين أمثاله.

حسن موسى الصفار

١٤١٣/٦/١٥ هـ

## تقريظ كتاب (أفغانستان: تاريخها - رجالاتها)<sup>(١)</sup>

بقلم الخطيب الحسيني المصقع، وصاحب المؤلفات القيمة العالم الفاضل والأديب  
القدرير سماحة العلامة المجاهد حجة الإسلام الشيخ حسن الصفار (دامت أيام إفاضاته):  
بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله الطاهرين،  
وصحبه المنتجبين.

إن أهم ما يحتاجه الإنسان في مواجهة تحديات الحياة أن يعرف نفسه وأن يكتشف  
قدراته وطاقاته فيمتلك الثقة بالذات ويعمل لتفجير مواهبه وتفصيل نقاط القوة لديه،  
وتلافي مكامن الضعف والثغرات.

لذلك تؤكد النصوص والروايات الدينية على موضع معرفة الذات، يقول الإمام  
علي عليه السلام: «أفضل المعرفة معرفة الإنسان بنفسه».

---

(١) أفغانستان: تاريخها، رجالاتها، الشيخ حسين الفاضلي، دار الصفوة/ بيروت - لبنان، الطبعة الأولى  
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

و «من جهل نفسه كان بغيره أجهل» .  
 و «كفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه» .  
 وأسوأ ما قد يعانيه الإنسان هو أن يجهل نفسه ويفقد الثقة بذاته، فيصبح منهزماً أمام أبسط التحديات، ضعيفاً لدى أدنى مواجهة، تبعاً للآخرين وعالة عليهم .  
 وكما تنطبق هذه المعادلة على الإنسان الفرد تنطبق تماماً على الإنسان المجتمع . . فأی مجتمع إنساني إنما تكون قيمته ودوره بحسب معرفته بذاته وثقته بنفسه .  
 فإذا امتلك المجتمع المعرفة بالذات والثقة بالنفس فإنه سيواجه التحديات بإرادة ثابتة، أما إذا افتقد ذلك فسيبتلى بخور العزيمة وضعف الإرادة .  
 ويبدو أن مجتمعاتنا الإسلامية تواجه هذه المشكلة منذ انفتاحها على الحضارة المادية الحديثة... حيث تضافرت أسباب وعوامل أفقدت مجتمعاتنا ثققتها بنفسها وأصابها بمرض ضياع الذات .  
 فالانبهار بالحضارة المنتصرة أوقع الهزيمة في النفوس فما عادت ترى لتاريخها ومبادئها وواقعها أي قيمة أو شأن أمام عملاق الحضارة المادية . .  
 والغزو الثقافي والحرب النفسية والتعبئة الإعلامية التي حشدتها الأعداء كانت تستهدف إلغاء الذات والتنكر للتراث وإضعاف الثقة في صفوف أبناء الأمة وقد تحقق لهم الكثير من ذلك .  
 وثمة عامل آخر من الداخل هو أكثر سوءاً من العامل الخارجي، يتمثل في سلبية التعامل بين جهات وفئات الأمة، حيث تسعى كل جهة لتحطيم معنويات الجهة الأخرى، وطمس تاريخها وآثارها، والمحصلة النهائية تكون ضعف الجميع وتأخرهم . .  
 فطبيعي أن تتعدد الاتجاهات الفكرية والانتماءات القومية العرقية، والكيانات السياسية، في أمة كبيرة مترامية الأطراف، لكن العلاقة بين هذه التوجهات والانتماءات والكيانات، كان يجب أن تكون إيجابية تكاملية، ما دام الإسلام هو الإطار الذي



يشمل الجميع.

كان ذلك هو المفترض لكن ما حدث ويحدث العكس من ذلك تماماً حيث ترى كل جهة في الجهة الأخرى نقيضاً وعدواً تكرر وجودها وجهودها لمحاربتها ولو بالتوافق والتحالف مع الأعداء الخارجيين الحقيقيين الذين استفادوا من هذه الحالة المتخلفة في الأمة فأخذوا يغذون التناقضات بين أطراف الأمة ويغرون بعضها ببعض.. وما الحرب الأهلية في لبنان والحرب العراقية الإيرانية وغزو الكويت والقتال الداخلي في أفغانستان إلا نماذج لهذه الحالة الأليمة.

ولن تتجاوز الأمة هذا الواقع الفاسد إلا إذا تغيرت معادلة التناقض والتحالف في أوساط الأمة فيصبح - العدو هو النقيض وإن تظاهر بالصدقة والود - والداخل هو الحليف وإن اختلف معه عرقياً أو فكرياً أو سياسياً.

وانطلاقاً من هذه المعادلة الجديدة المطلوبة يصبح بناء القوة الذاتية لدى كل جهة في الأمة، وإحياء تاريخها وآثارها، وتقديم مستواها وواقعها يصبح ذلك جزءاً من مشروع قوة الجميع وتقدمهم.

فلا يخاف العراق بناء القوة الإيرانية، ولا يحذر الخليج من قوة العراق، وهكذا بين سائر البلدان الإسلامية. وكذلك الحال بين المذاهب الإسلامية فلا ينزعج أهل السنة من تقدم طائفة الشيعة، ولا يتحسس الشيعة من نمو قوة السنة.

إننا نشبه قوماً انكسرت بهم سفينتهم في البحر وواجهوا جميعاً خطر الموت والغرق فإذا ما رأوا أحدهم يتشبث بوسيلة للنجاة والخلاص ويصل بها إلى الشاطئ فإن ذلك يرفع معنوياتهم ويشجعهم على المحاولة مثله، ويؤكد في نفوسهم إرادة الحياة..

فنجاته ليست على حسابهم وانتصاره على أمواج البحر ليس انتصاراً عليهم بل على الخطر الذي يتهددهم جميعاً.

وفي بلد كأفغانستان عانى فيه أهله المسلمون قروناً من التخلف، وعقوداً من

الاستبداد والطغیان السياسي كان من نتیجتها الاحتلال الروسي المدمر الذي حوّل أغلب مناطق البلاد إلى أطلال، وأفنى خيرة أبنائها وشرّد وهجر ثلث سكانها تقریباً. هذه البلاد ما أحوجها اليوم إلى تلاحم القوى وتضافر الجهود بين أبناء شعبها على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم وأحزابهم ليعيدوا بناء بلادهم المدمرة، ولينهضوا بشعبهم نحو حياة حرة كريمة.

ولن يتحقق ذلك لأفغانستان إذا حكمت أذهان قياداتها معادلة النقيض الداخلي. بحيث أصبحت كل جهة تعرقل تقدم الجهة الأخرى، وتمنعها من المشاركة وأداء دورها الكامل في بناء البلاد من جديد.

إن تاریخ أفغانستان مجهول حتى لأبنائها، وإن آثار الأفغانيين أصابها الضیاع والاندثار، وإن كتابة أي جزء من تاریخ أفغانستان وإحياء أي قسم من آثارها خدمة لكل أفغانستان ولكل الأفغانيين.

وهو بالتالي خدمة لكل المعرفة والتراث الإسلامي والإنساني. بهذه النظرة الإيجابية طالعت فصول هذه الكتاب الجميل الذي يتحرك بين أنامل القارئ..

إنه يسلط الضوء على جزء مجهول من تاریخ وواقع أفغانستان حيث يتحدث عن الشيعة باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من نسيج الشعب الأفغاني.. وإذا كانت الحساسيات والصراعات الطائفية في الماضي تمنع من إحياء آثار الطوائف المختلفة.. فإن الحاضر في أفغانستان يجب أن يختلف عما مضى.. فقد شاركت كل القوميات والمناطق والطوائف في مواجهة الغزو الروسي العدواني، وصنعوا جميعاً ملاحم التضحية والفداء حتى أجبروا الغزاة المعتدين على الانسحاب.. لا بل أسهموا بجهادهم في سقوط الإمبراطورية الشيوعية - الاتحاد السوفيتي ..

والآن، وبعد أن انتصر الأفغانيون في جهادهم الأصغر ضد العدو الخارجي بقي

عليهم أن ينجحوا ويتصروا في جهادهم الأكبر ضد آثار التخلف ورواسب الماضي في ساحتهم الداخلية.. فهل ينجحون في ذلك؟ ذلك ما يأمله كل مسلم واع.  
 إن هذه المحاولة الطيبة التي قام بها المؤلف في هذا الكتاب، للتعريف بنضال الشيعة وتاريخهم في أفغانستان تعتبر إسهاماً مشكوراً في بناء صرح الوحدة والتعاون بين الأفغانيين.

وكانت بداية هذا الكتاب مقالة مختصرة كتبها المؤلف وأطلعني عليها وإدراكاً مني لأهمية وحاجة الساحة الثقافية إليه طلبت منه - وفقه الله - توسعة البحث وتكميله، فاستجاب مبادراً بنشاط وحيوية فائقة حيث أنجز تأليف هذا الكتاب في فترة قياسية.  
 والمؤلف شاب طموح مثابر يواصل دراسته في الحوزة العلمية، ويمارس الخطابة بنجاح واقتدار، وباللغة العربية، وهو سليل عائلة كريمة فأبوه سماحة العلامة الحجة الشيخ محمد علي الفاضلي مدرس البحث الخارج في الحوزة العلمية الزينية.. وصاحب الأخلاق الفاضلة والتواضع الكبير.

وإني إذ أبارك للمؤلف هذا الجهد المشكور لأرجو منه أن يواصل نشاطه الفكري في مجال الكتابة والتأليف كما الدراسة والخطابة ليكون بتوفيق الله أحد أعلام الدين والفكر في الساحة الأفغانية والإسلامية.

أخذ الله بأيدينا جميعاً إلى ما فيه الخير والصلاح، والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

٢٠ شوال ١٤١٣هـ



## تقدير وإخبار<sup>(١)</sup>

ساحة العلامة الحجة الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... ومما جاء فيه:

كما أن الجيش في ميدان القتال يحتاج إلى دعم وإمداد بالمؤونة والعتاد (اللوجستك) كذلك الدعوة إلى الله وطلائع الحركة الإسلامية، هم في أمس الحاجة إلى من يرفدهم بالفكر العميق، والدراسات العلمية والبحوث الهادفة عن قضايا العقيدة ومفاهيم الإسلام.

فالأمة الإسلامية تخوض اليوم صراعاً حضارياً، فكرياً ضارياً حيث يخشى الاستكبار العالمي من أن تعود للأمة ثقته بدينها، وتبني صرح الحضارة الإسلامية من جديد على أنقاض الحضارة المادية التي ذاق الإنسان ويلاتها، واتضح لديه فسادها وانحطاطها.

---

(١) مفاهيم القرآن: يبحث عن شخصية النبي الأكرم ﷺ وحياته في القرآن الكريم، تأليف جعفر السبحاني، الجزء السابع، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دار الأضواء.

إن العدوان العسكري والحروب المفروضة التي شنت على الجمهورية الإسلامية وحملات الإرهاب، والقمع الشرسة التي يواجهها المؤمنون الرساليون في كل مكان، وأعاصير الإعلام المضلل المناوئ للثورة الحركة الإسلامية... هذه كلها مظاهر ووسائل للمعركة الرئيسة والصراع الحقيقي بين الحضارة الإسلامية المرتقبة، والحضارة المادية المنحرفة.

وإذا كانت القيادة الميدانية، والإدارة اليومية لشؤون التحرك والصراع مع الأعداء تأخذ كل وقت وجهد العلماء والمفكرين الإسلاميين الواعين، فإن ذلك سترك فراغاً خطيراً في مجال الدراسات العلمية العقائدية والعطاء الفكري.

فلا بدّ أن تتوجه ثلة من العلماء والمفكرين العارفين بأبعاد الصراع الحضاري، والمدركين لتطلعات الأمة، ليقوموا بدور الإمداد والدعم الفكري والعلمي، خلف جبهة الصراع العسكري والسياسي والإعلامي.

وساحتكم هو في طليعة من يطمأن ويعتمد عليه ملء هذا الفراغ الكبير وسد هذه الحاجة الماسة.

إن اهتمامكم بإصدار البحوث العقائدية والفكرية الرائعة ليشكل سنداً ودعماً ضرورياً لكل الرساليين المجاهدين لإعلاء كلمة الله وإنقاذ العالم من حضيض الانحطاط المادي.

لقد قرأت العديد من أجزاء موسوعتكم (التفسير الموضوعي للقرآن) وبحثكم القيم حول (التوحيد والشرك) فوجدت فيها الضالة المنشودة من حيث الفكر العميق، والشمولية الدقيقة والطرح الهادئ الموضوعي فشكر الله سعيكم وأدام توفيقكم ونفع المسلمين بفيض علمكم.

أرجو أن تتابعوا كتاباتكم وبحوثكم في مجال التفسير الموضوعي للقرآن كما أرى ضرورة الإسراع في ترجمة هذه البحوث إلى اللغات العالمية الحية، وخاصة اللغة

الإنكليزية، فهناك الكثيرون من المسلمين ممن لا يجيدون اللغة العربية، يتطلعون بفارغ الشوق إلى مثل هذه الدراسات العلمية، كما أن بعض مفكري الغرب والشرق يهتم الإطلاع على مفاهيم الإسلام من بعد ما لفتت الثورة الإسلامية المباركة أنظارهم نحو الإسلام.

أسأل الله لكم دوام الصحة والنشاط ولكل العاملين المؤمنين التوفيق والنجاح.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسن موسى الصفار

القطيف





## تقديم كتاب (شرح الشكوك)<sup>(١)</sup>

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين.  
إن من أوائل واجبات المسلم حين يبلغ سن التكليف أن يتفقه في دينه ويتعلم  
المسائل الشرعية التي يتلى بها في حياته.  
وقد يرغب كثير من المؤمنين في امثال هذا الواجب بالتفقه في دينهم لكنهم قد لا  
تتوفر لهم الوسائل والأدوات والظروف المساعدة لتحقيق هذه الرغبة.  
فالكتب الفقهية وبالذات الرسائل العملية ليست واضحة غالباً ولا تستوعب كل  
التفاصيل والافتراضات التي يحتاج إليها المكلف كما أن كل رسالة عملية تعبر عن آراء  
وفتاوى المرجع الذي يصدرها.  
من هنا كانت الحاجة ماسة للكتابات الفقهية التي تشمل صفتين:  
الأولى: وضوح العبارة والاستيعاب لمختلف التفاصيل.

---

(١) شرح الشكوك، مدعوم بآراء العلماء: السيد محمد الشيرازي، السيد أبو القاسم الخوئي، الشيخ حسين العصفور  
السيد علي السيستاني، السيد محمد الروحاني، تأليف شفيق محمد المغاسلة، الإصدار الأول ١٤١٦ هـ.

**الثانية:** الاحتواء على الآراء والفتاوى المتعددة لمختلف المراجع، بالطبع قد يكون الاختلاف في الفتاوى محدوداً بين المراجع لكنه موجود ويهم المكلف أن يطلع على رأي مرجعه.

وهذا العصر تتميز ثقافته ومعارفه بالوضوح وسعة الانتشار، وبالاستفادة من وسائل الإعلام وأدوات التوضيح، كل ذلك يدفع المؤمنين الواعين إلى تدارك هذا النقص في مجال المعارف الفقهية.

والأخ الكريم الفاضل المهذب شفيق محمد المغاسلة ممن توجهوا إلى هذا النقص فبادر مشكوراً للمشاركة في معالجته، لذلك اختار موضوعاً فقهياً يكثر الابتلاء به عادة، وهو موضوع الشكوك في الصلاة وأتعب نفسه في مراجعة شتى الرسائل العملية الفقهية حول الموضوع، ثم كتب هذا البحث بعبارة سهلة واضحة، محاولاً استيعاب جميع التفاصيل والجوانب في الموضوع ومستعرضاً آراء مختلف الفقهاء المراجع.

بالطبع لم تتح لي الفرصة لمراجعة المصادر الفقهية لأطابق ما احتواه الكتاب من فتاوى عليها لكنني واثق من أن المؤلف حفظه الله قد بذل جهده الكامل للتدقيق في المسائل المنقولة من فتاوى المراجع الكرام. فجزاه الله خيراً على ما بذل من جهود طيبة وتقبل الله عمله وجعله مورداً لانتفاع المؤمنين.

وأهيب به وبأمثاله من الشباب المؤمنين الواعين أن يتحمل كل واحد مسؤوليته ويسهم بما يمكنه في نشر المعارف الإسلامية والثقافة الدينية. وفقى الله المؤلف للمزيد من أعمال الخير وبارك في سعيه وكثر في المجتمع من أمثاله والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

١٤١٥/٦/١٣ هـ

## تقديم كتاب (معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية)<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.  
العلم والمعرفة ميزة منحها الله تعالى للإنسان ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة: الآية ٣١]، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: الآية ٥].  
وبالعلم يتبوأ الإنسان مكانة خلافة الله في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: الآية ٣٠]. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٦٥] ويقوم بدور تسخير الإمكانات والطاقات لإعمار الحياة ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود: الآية ٦١].

والعلم والمعرفة حق مشاع للبشرية جمعاء لا يصح لمن حاز شيئاً منه أن يكتنزه لنفسه ويمنعه على الناس، وكلما ازدادت أهمية ما لدى الإنسان من علم ومعرفة واشتدت

---

(١) معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية، تأليف حبيب آل جميع، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

الحاجة إليه، عظمت مسؤوليته وواجهه في بذل ذلك العلم ونشره.  
من هنا وردت في القرآن الحكيم آيات عديدة تحذر ذوي العلم والمعرفة من كتمان معارفهم والبخل بعلومهم وتحملهم مسؤولية بث العلم وبذل المعرفة للناس.  
يقول تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [سورة آل عمران، آية ١٨٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٥٩].  
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٧٤].

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيما رجل آتاه الله علماً فكتمه وهو يعلمه لقي الله عز وجل يوم القيامة ملجماً بلجاماً من نار».  
«كاتم العلم يلعنه كل شيء حتى الحوت في البحر والطير في السماء».  
ولنشر العلم وبثه وسائل وطرق متعددة لكن التأليف والكتابة هو من أبرزها وأهمها.

أولاً: لأن الكتابة والتأليف هي الأسلوب الأكثر دقة وحفظاً لحقائق العلوم، فالعلم حينما يكتب يكون في العادة أكثر تركيزاً ذهنياً منه حينما يخاطب أو يتحدث، وفرصته في الإتيان والتحقيق أكثر كما هو واضح.  
ثانياً: لأن الكتاب يخاطب الأجيال القادمة بينما تقتصر الوسائل الأخرى غالباً على مخاطبة الجيل المعاصر للعالم.

من هنا جاءت النصوص والأحاديث الدينية تشجع على ضبط العلم بالكتابة

وحفظه للأجيال القادمة عبر التأليف.

فعن رسول الله ﷺ أنه قال: « قيدوا العلم بالكتابة ».

وعنه ﷺ أنه قال لأصحابه: قيدوا العلم. قالوا: وما تقييده؟ قال ﷺ: كتابته.

وعنه ﷺ: « المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم

القيامة سترًا فيما بينه وبين النار ».

والعالم الذي يؤلف ويكتب في مجال علمه يكون مصداقًا للاستجابة لهذه الدعوة

النبوية، وأنموذجاً على صعيد بذل العلم ونشر المعرفة.

بينما العالم الذي لا يحرك قلمه بالكتابة ولا يكلف نفسه عناء التأليف مع قدرته

عليه قد يكون مصداقاً لحالة كتم العلم والبخل به.

إن العلماء الذين ألفوا الكتب والمصنفات لهم الفضل الكبير في توارث العلم

والمعرفة وفي حفظ التجارب الفكرية والمكاسب العلمية، كما أنهم بذلك قد خلدوا

شخصياتهم وأسماءهم وعكسوا للأجيال اللاحقة صورة ما كان يدور في عصورهم من

أوضاع وأحوال وأفكار.

ومن المؤسف جداً أن بعض العلماء وذوي المعارف الفكرية والأدبية يتكاسلون

ويمتنعون عن التأليف والكتابة فيحرمون الناس من الاطلاع على ما يجيش في صدورهم

من معارف وأفكار تبقى حبيسة في عقولهم حتى يفارقوا هذه الحياة دون أن يتركوا أثراً

علمياً يذكرون به ويورثونه لمن يأتي بعدهم.

وحركة التأليف والكتابة في كل مجتمع هي مرآة تعكس المستوى العلمي والفكري

في المجتمع، بل وتكشف عن المستوى النفسي لعلماء ذلك المجتمع ومفكره، فكلما كانت

نفوسهم معطاءة، وهمتهم عالية، وشعورهم بالمسؤولية كبيراً، كان نشاطهم في مجال

الكتابة والتأليف متقدماً.

بالطبع، للظروف السياسية والاجتماعية تأثير كبير على حركة الكتابة والتأليف

فكلما كانت مستقرة إيجابية أفسحت المجال أكثر لنمو حركة العلم والتأليف، بينما الظروف القاسية تعرقل مسيرة العلم وتضعف حركة الكتابة والتأليف.

لكن العلماء الأفاضل كانوا يتحدون قساوة الظروف وصعوبة الأوضاع السياسية والاجتماعية، ويستمررون في تحمل مسؤولياتهم ويقدمون لأجيال البشرية مكنونات أفكارهم ونتائج عقولهم مها كلفهم ذلك من ثمن وتضحيات، وإن نتاج تلك الأقلام الشجاعة هو مصداق لقول رسول الله ﷺ: «مداد العلماء خير من دماء الشهداء».

وفي هذه المنطقة المنسية المجهولة من العالم (المنطقة الشرقية في الجزيرة العربية) كانت ولا تزال حركة علمية أدبية أنجبت الكثير من رجالات العلم والمعرفة والأدب وقد أسهم العديد من هؤلاء الأعلام بأقلامهم في إثراء المكتبة العلمية والأدبية، لكن أسباباً عديدة جعلت هذه الأقلام شبه مغمورة وغير معروفة.

وقد وفق الله الأخ العزيز الفاضل الشيخ حبيب آل جميع ليقوم بمهمة رصد وتعريف المؤلفين من أبناء هذه المنطقة الطيبة عبر إعداد معجم رائع استعرض فيه أسماء جميع من ألف وكتب من أعلام هذه المنطقة عبر قرون التاريخ كما يسجل عناوين كتبهم ومؤلفاتهم بتصنيف جميل مرتب.

وكنت أنتظر مثل هذه المبادرة من الأخ المؤلف العزيز لما أعرفه من اهتمام بتراث هذه المنطقة ومتابعة لإنتاجها وعطائها.

فمنذ حوالي العشر سنوات رافقت مسيرة الشيخ حبيب في مؤسسة البقيع لإحياء التراث فوجدت لديه شوقاً عميقاً وإخلاصاً كبيراً وهمة عالية ونشاطاً دائماً لخدمة تراث المنطقة، لذلك تحمل أعباء إدارة المؤسسة طوال هذه الفترة جزاه الله خير الجزاء.

وسبق للمؤلف الفاضل أن كتب عدة بحوث تتناول أعلام المنطقة ونشر بعضها في بعض المجالات.

وإذ أرحب اليوم بصدور مؤلفه الجميل معجم مؤلفي المنطقة لآمل أن يوفقه الله

للمزيد من الإنتاج والعطاء، وأن يكون ذلك دافعاً لكل غيور من أبناء المنطقة على تاريخهم وتراثهم لدعم هذه الجهود الخيرة في إحياء التراث والتجاوب معها.  
وفق الله الجميع للخير والصلاح والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

القطيف

٢٠/١٢/١٤١٥هـ

٢٠/٥/١٩٩٥م





## تقديم كتاب (تعال معي لنقرأ)<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

حينما نرى أن سورة من سور القرآن الكريم تعنون بالقلم هي سورة (القلم) الثامنة والستون في ترتيب سور القرآن، ونرى أن الله سبحانه وتعالى يقسم في مطلع السورة بالقلم وبتتاج القلم ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

وحيثما نجد أن الباري جل وعلا يتحدث عن نعمة تعليمه للإنسان الكتابة بالقلم وفي أوائل الآيات التي أنزلها على النبي محمد ﷺ بعد حديثه عن نعمة خلق الإنسان مباشرة حيث يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

---

(١) تعال معي لنقرأ، تأليف عبد القادر أبو المكارم، دار المكارم لإحياء التراث، ١٤١٦هـ.

فإن ذلك يعني توجه أنظار أبناء هذه الأمة إلى أهمية (القلم) ودوره في حفظ معارف الإنسان وتداولها وتوارثها عبر القرون والأجيال.  
فبالقلم يحفظ العلم، وتسجل التجارب، وتتناقل المعلومات، وتبين الحدود والحقوق.

وكان يفترض في أبناء هذه الأمة التي أعطى كتابها الإلهي المقدس للقلم هذه القيمة والمكانة، أن تكون لكل واحد منهم علاقة وثيقة بالقلم، ليس في مجال تعلم الكتابة فقط، وإنما باستخدام القلم في مجال تسطير العلم والمعرفة.

إن أكثرية الناس الذين يجيدون الكتابة، ويحملون الأقلام في جيوبهم لا يكادون يستخدمون أقلامهم إلا بشكل محدود ولتقتضيات حياتهم الوظيفية أو المعيشية.  
أما كتابة ما يدور في نفوسهم من آراء وأفكار، وما يمرون به من أحداث وتجارب، وما يتوفر لهم من حقائق ومعلومات، فذلك قليل وقليل جداً.

بينما نرى أبناء المجتمعات المتقدمة كيف يحرصون على كتابة مذكراتهم وذكرياتهم وانطباعاتهم ومعلوماتهم بشكل لافت للنظر.. ولعل الكثير منا قد شاهد السياح الأجانب حينما يزورون معلماً تاريخياً أو مكاناً أثرياً كيف يهتمون بالكتابة عنه والتقاط الصور له في مقابل مرورنا نحن على تلك الآثار والمعالم مرور الكرام!!

إن تحقير الذات، أو الاستهانة بما يتوفر للشخص من معلومات، أو الكسل أو ما أشبه من الصفات السلبية هي التي تجعل الكثيرين منا يغادرون هذه الحياة دون أن يتركوا أثراً أو ذكراً علمياً أو أدبياً يسهمون به في نقل التجارب وتطوير المعارف في مجتمعاتهم.  
من هنا يأتي احترامي وإكباري لجهود الأخ الفاضل الجليل الحاج عبد القادر نجل الحجة المرحوم الشيخ علي أبو المكارم حفظه الله.

فهو أنموذج طيب وقدوة صالحة لحملة الأقلام حيث بذل أقصى جهده لكي يقدم ما يمكنه من خدمة لمبدئه ومجتمعه عن طريق الكتابة والتأليف.

والكتاب الذي بين أيدينا أحد مصاديق جهوده الطيبة إذ سعى فيه لتسجيل أكبر قدر ممكن من المعلومات عن أرحامه وأفراد أسرته العلمية الكريمة. ولو نال هذا التوفيق واحد من كل أسرة من الأسر الكبيرة المعروفة في مجتمعنا لتوفرت لنا وللأجيال القادمة حصيلة مهمة من المعلومات والتراجم عن رجال المجتمع وأحداثه التاريخية. وأسرة آل أبي المكارم وجه مشرق من وجوه تاريخ هذه المنطقة وهذا المجتمع، فقد أنجبت كوكبة من العلماء الأجلاء، والأدباء الفضلاء والخطباء الصالحين، رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقيين، وأدام لهذه الأسرة الكريمة عطاءها الاجتماعي ودورها العلمي المرموق.

وجزى الله (أبا عدنان) خير الجزاء على صلته لرحمه، وخدمته للمعرفة بتأليف هذا الكتاب الشيق وزاده الله توفيقاً وتسديداً والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

القطيف

١٢/١/١٤١٦هـ

١١/٦/١٩٩٥م



## رسالة إلى مواكب العزاء<sup>(١)</sup>

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه  
الطيبين، السلام عليك يا سيد الشهداء وإمام الثائرين وقدوة الأحرار يا سبط رسول الله  
وريحانته وسيد شباب أهل الجنة يا أبا عبد الله الحسين.  
السلام عليك وعلى أنصارك المستشهدين بين يديك ورحمة الله وبركاته.  
السلام على الشباب الحسينيين في مواكب العزاء.  
السلام على الوجوه المشرقة بنور أبي عبد الله.  
السلام على الصدور المنطوية على حب أبي عبد الله.  
السلام على الأكف اللاطمة على مصاب أبي عبد الله.  
هنئاً لكم أيها الشباب المؤمنون اهتمامكم بإحياء ذكرى شهادة الإمام الحسين  
وتخليد مأساته الدامية عبر مواكب العزاء، إنكم تسهرون الليل وتحملون التعب والألم،

---

(١) كلمة موجهة إلى مواكب العزاء في ذكرى عاشوراء، بتاريخ ٩ / ١ / ١٤١٧ هـ.

وتبدلون الجهود وتواجهون الصعوبات، من أجل إقامة الشعائر الحسينية أسأل الله لكم الأجر والثواب، وأن تكونوا من السائرين على خط الحسين والملتزمين بمبادئه العظيمة التي هي تعاليم الإسلام وأحكامه.

إن نهضة الإمام الحسين يجب أن تخلد ذكراها على مرّ العصور والأزمان لتكون منهلاً عذباً ومدرسة إيمانية تربي الأجيال على الالتزام بالدين والتضحية من أجله ومقاومة الظلم والفساد.

وأنتم قد اخترتم أسلوب العزاء للتعبير عن مشاركتكم في إحياء هذه الذكرى وتخليدها، والعزاء لون من ألوان إظهار الولاء لأهل البيت عليهم السلام وجزء من الشعائر الحسينية التي يارسها المؤمنون من قديم الزمان وفي مختلف البقاع والبلدان.

واسمحوا لي أيها الأخوة الأعزاء أن أتقدم إليكم وأنتم في ذروة تفاعلكم وحماسكم الحسيني ببعض الخواطر والملاحظات من أجل استثمار هذا الجهد العظيم الذي تبدلونه في حبّ أبي عبد الله، أرجو أن أجد منكم أذنّاً مصغية وقلوباً واعية ببركة هذه الأيام العظيمة والشعائر الحسينية الجليلة.

أولاً: إنما نهض الحسين واستشهد من أجل الدين، وكما قال الشاعر على لسانه:

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني

فإقامة الدين هو الهدف الرئيس لحركة الإمام الحسين، والمأمول من المعزين على الحسين أن يكونوا حريصين على إقامة الدين والالتزام به في مختلف جوانب حياتهم، إننا نفرح برؤية هذا الحشد الكبير من الشباب الموالين في مواكب العزاء، ونتمنى أن نراهم دائماً في المساجد وفي حضور صلاة الجماعة والجمعة، وأن يواظبوا على حضور مجالس العلماء، ويشاركوا في سائر البرامج الدينية والاجتماعية، وحبذا لو انبثقت من كل لجنة للتواصل الدائم مع الشباب المعزين لتشجيعهم على صلاة الجماعة وتذكيرهم بين فترة وأخرى فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

ثانياً: الشباب الموالي للإمام الحسين يجب أن يكون قدوة في سلوكه وأخلاقه فيكون مواظباً على دراسته ناجحاً في تحطى مراحلها، إن تدني المستوى الدراسي، وتكرر عادة الغياب عن المدارس، وضعف الاهتمام بالمذاكرة والمراجعة ظاهرة سيئة لا يرضى بها الدين ولا يقبل بها الإمام الحسين وتهدد مستقبل الشباب بالضياع.

وما نأمله من الشباب المعزين أن يكونوا قدوة في هذا المجال وأن يشجعوا غيرهم على ذلك ليثبتوا للناس أن انتفاءهم للإمام الحسين وإحياءهم لذكراه ينعكس على حياتهم إيجابياً فتكون للعزاء سمعة طيبة ويكونون مصداقاً لقول الإمام الصادق (عليه السلام): «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا».

ثالثاً: أهم خطر داهم يواجه مجتمعاتنا هو محاولات تسلل ظواهر الفساد والانحراف الأخلاقي، إن البرامج الأجنبية والمبدلجة التي تنقلها بعض المحطات التلفزيونية أو تُلقت عبر وسائل الالتقاط البعيد، ووجود حالات الفراغ وضعف مستوى التوجيه الديني والرعاية العائلية كل ذلك يساعد محاولات تمييع المجتمع وإفساده.

وإذا ما انتشر الفساد والانحراف فهو خطر وبيبل على أعراضنا وقيمنا ومستقبلنا وأمن بلادنا ومجتمعنا. والشباب بيدهم الجواب الحاسم على هذه المحاولات حيث يستطيعون بالتزامهم الديني ووعيهم الوطني ونشاطهم الاجتماعي أن يحموا أنفسهم ومجتمعهم من الدمار، بينما لو استرسل بعض الشباب - لا سمح الله - مع هذا التيار فإنهم يعيدون قتل الإمام الحسين ويسددون السهام من جديد إلى قلبه الطاهر.

إن الإمام الحسين يستنهضكم والسيدة زينب تستصرحكم للحفاظ على أعراضكم وللتمسك بمنهج العفاف، والتقوى فهل من مجيب؟!!

فلتكن مواكب العزاء بمثابة تجديد عهد مع الإمام الحسين على الالتزام بالدين وحماية الشرف والأخلاق.

رابعاً: نأمل أن تكون هتافاتكم في العزاء مركزة على إحياء ذكرى الحسين وتمجيد

القيم السامية التي ضحى من أجلها، وعلى الدعوة إلى الوحدة والتآلف والتمسك بخط أهل البيت عليهم السلام.

وأن تكون المواكب في المستوى المطلوب من التنظيم والترتيب والتنسيق والحفاظ على الهدوء والأمن كما هو المعهود منكم لتعطوا بذلك الصورة المشرقة للوضاءة عن مجتمعكم ومبادئكم.

جزاكم الله خيراً وتقبل أعمالكم وأثابكم على جهودكم الطيبة ولا جعله الله بأخر العهد منا ومنكم لإحياء ذكرى أبي عبد الله الحسين.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الإعلام لأولياء الله<sup>(١)</sup>

لم يخل عصر من العصور ولا زمن من الأزمنة من الاهتمام بالدعاية والإعلام للأشخاص أو للأفكار أو للقضايا والأحداث، ولكن أساليب الإعلام وبرامجه تختلف من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر. ويحتل الإعلام في هذا العصر أرقى المراتب وأعلى مستويات الاهتمام. فقد تطورت أساليبه وبرامجه وأصبح علماً يدرس في الجامعات والمعاهد المتخصصة، وتحول إلى صناعة تعتمد على الخبرة والكفاءة والتجربة ولها مؤسساتها ومطابخها وأجهزتها المتطورة.

فالإعلام اليوم يعتمد التخطيط والبرمجة ويستفيد من تجارب وأبحاث علم النفس والمجتمع ونظم المعلومات. وللتقدم التكنولوجي والعلمي دور كبير في توطيد أركان الإمبراطورية الإعلامية على مستوى العالم، وخاصة بعد استخدام الأقمار الصناعية ومحطات البث الفضائي المباشر. إن الإعلام اليوم عنصر أساس وفاعل ومؤثر في مختلف

---

(١) افتتاحية مجلة المرشد، مجلة دورية مصورة تعنى بالثقافة والتراث والآثار، العدد ٦ السنة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، صاحبها ورئيس تحريرها الشيخ حسين محمد علي الفاضلي.

مجالات حياة الإنسان.. في عالم السياسة والاقتصاد والفكر وفي جميع الحقول. لذلك فإن أي حكومة أو حزب أو شركة أو مصنع أو أي شركة مادية أو معنوية لا بد أن تخصص قسطاً كبيراً من اهتمامها ورأس مالها وجهدها للجانب الإعلامي، وما هذا التسابق الذي نشهده الآن على أخذ المواقع في شبكة الإنترنت من قبل الجهات السياسية والدينية والفكرية والفنية والتجارية إلا مظهر واضح لإدراك الجميع لأهمية الإعلام وتوجههم للاستفادة منه.

ولسنا الآن بصدد الحديث عن أهمية الإعلام ومدى تأثيره فهو أمر واضح مسلم به أولاً كما أن هناك سيلاً من الكتب والدراسات والبحوث المتخصصة التي تدرس جوانبه المختلفة ثانياً. لكن ما نريد تناوله في هذه السطور المتواضعة هو تعاطي أوساطنا الدينية مع المسألة الإعلامية.

### هل نحتاج إلى الدعاية والإعلام؟

الفكرة السائدة في غالب أوساطنا الدينية أن الأمور الدينية ليست بحاجة إلى الدعاية والإعلام والإعلان حيث يجب أن يقبل الناس على شؤون دينهم باقتناع واندفاع ذاتي، كما أن الدين يؤكد قيمة الإخلاص لله والزهد في المنصب والبروز والظهور، ويحذر من الرياء وطلب السمعة. والإنسان المؤمن يجب أن يكون متواضعاً متهاً لنفسه بالنقص والتقصير، لا يزكي نفسه ولا يمين بعمله ولا يغتر، ولا يتطلب المدح والشهرة. وكل ذلك يدفع الإنسان المؤمن إلى الابتعاد عن الأضواء والنفور من الدعاية والإعلام. ونتيجة لهذه الفكرة السائدة فإن الكثيرين من رجال الدين والعلم يعيشون مغمورين لا يعرف العالم بل لا تعرف الأمة الإسلامية والجماهير المؤمنة شيئاً عن حياتهم وموقعهم العلمي وإنجازاتهم الفكرية والعملية.

ويحصل كثيراً أن يفاجأ الناس بالحديث عن فضل عالم أو مكانته ضمن برامج

تأبينه (أي بعد وفاته)، أما في حال حياته فلا أحد يعرف عنه شيئاً عدا القلة القريبة منه. إن في حوزاتنا العلمية وأوساطنا الدينية قمماً شامخة من العلم والمعرفة، وكفاءات عظيمة في الفكر والثقافة، ونماذج رائعة في الالتزام بالقيم والمبادئ والخدمة والعطاء.. لكنها مغمورة مجهولة مما يحرم الأمة والعالم من الكثير من فوائدها ومنافعها. وهناك جهود جبارة عظيمة في مختلف ميادين العلم والمعرفة والحضارة لكنها تعيش في ظلام التعقيم والخفاء، إن الإعلام والدعاية للشخصيات العلمية الدينية وللمؤسسات والأنشطة التي يقوم بها المؤمنون أمر ضروري ومهم وذلك للمبررات الآتية:

أولاً: إن الشخصيات العلمية والفاعليات الدينية تجسد القيم الخيرة الصالحة فالإعلام لها وإبرازها يعني نشر وتكريس القيم التي تمثلها فحينما تمتدح العالم وتشيد به فأنت في الواقع تشيد بقيمة العلم وتؤكددها.

ثانياً: الإعلام والإشهار للجهات الدينية يعني إتاحة الفرصة لجمهير الأمة لكي تتعرف إليها وتلتف حولها وتستفيد منها. فالطبيب المقيم في مكان خافٍ بعيدٍ عن الأنظار ودون لوحة أو إشارة تدل عليه لا يقصده المرضى لأنهم لا يعرفون عنه مع حاجتهم إليه.

ثالثاً: إن الإعلام سلاح فعال في معترك الحياة بين الأديان والمبادئ والتوجهات والأمم والمجتمعات، وكأصحاب دين ومبدأ لا يصح لنا أن نترك ساحتنا تحت تأثير الإعلام للشخصيات والأفكار والجهات الأخرى. بل لا بد أن نشهر سلاح الإعلام لرفع معنويات جمهورنا ولإرشادهم للبديل الإسلامي الأفضل، ولتأكيد الثقة في نفوسهم بدينهم وقادتهم وشخصياتهم ورجالهم. بل إن الإعلام السليم والمتطور يمكننا من التأثير على سائر المجتمعات والأمم، وإفاتهم إلى قيم الإسلام ومبادئه وعظمته.

رابعاً: من الناحية الدينية، فإن الإسلام يربينا على الدعاية والإعلام لأولياء الله وإبرازهم واحترامهم، إن الله تعالى يأمر نبيه محمد ﷺ بتخليد ذكر الأنبياء والأولياء

والتحدث عن صفاتهم العظيمة.. يقول تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: الآية ٤١] ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: الآية ٥١]. ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: الآية ٥٤]. ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: الآية ٥٦].

وفي القرآن الكريم مساحة واسعة لقصص الأنبياء والأولياء للإشادة بهم وتقديمهم للبشر كقدوات ولأخذ الدروس والعبر من سيرتهم. والرسول الأعظم ﷺ كان يمدح خيار صحابته ويشيد بفضلهم ومكانتهم كمدحه الكثير والمكرر لآل بيته الهداة علي وفاطمة والحسينين ﷺ. ومدحه لخيار الصحابة كأبي ذرّ وسلمان وعمار بن ياسر وأشباهم. وكذلك كان الأئمة المعصومون يشنون على أفاضل أصحابهم ويركزون قيمتهم ومكانتهم في المجتمع.

بل إن النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين كانوا يشجعون على مدح أنفسهم والثناء على صفاتهم الكريمة ومواقفهم النبيلة ومعاناتهم من الظالمين. يقول الإمام جعفر الصادق ﷺ: «ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس»<sup>(١)</sup>.... وعن أبي طالب القمي قال: «كتبت لأبي جعفر ﷺ بأبيات شعر وذكرت فيها أباه وسألته أن يأذن لي في أن أقول فيه فقطع الشعر وحبسه وكتب في صدر ما بقي من القرطاس قد أحسنت فجزاك الله خيراً»<sup>(٢)</sup>.

وينقل التاريخ عن رسول الله ﷺ تقديره للشعراء الذين كانوا يمدحونه ويذكرون جميع خصاله كارتياحه لشعر عمه العباس بن عبد المطلب لما قال: يا رسول الله أريد أن أمتدحك؟ فقال رسول الله ﷺ: قل لا يفضض الله فاك.. فأنشأ قصيدته التي مطلعها:

(١) الغدير، ج ٢ ص ٣.

(٢) الغدير، ج ٢ ص ٣.

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق<sup>(١)</sup>  
وكارتياحه ﷺ لشعر كعب بن زهير لما أنشده في مسجده الشريف لاميته التي  
أولها:

\* بانث سعاد فقلبي اليوم متبول \*

فكساه النبي بردة اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم وكان الخلفاء  
يلبسونها في العيدين.

ولما أنشد كعب قصيدته وبلغ قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول

أشار ﷺ بكمه إلى الناس ليسمعوا منه.

وكان ﷺ يضع لحسان بن ثابت منبراً في مسجده الشريف يقوم عليه قائماً يفاخر  
عن رسول الله ﷺ، وقال ﷺ: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن  
رسول الله». ودخل الكميت على الإمام جعفر الصادق ﷺ أيام التشريق بمنى فقال له:  
جعلت فداك ألا أنشدك؟ فقال الإمام ﷺ: إنها أيام عظام. قال الكميت: إنها فيكم. فلما  
سمع الإمام مقاله بعث إلى ذويه فقرههم إليه وقال: هات فأنشده لاميته من الهاشميات  
فحظي بدعائه ﷺ، وأمر له بألف دينار وكسوة<sup>(٢)</sup>.

ما أغنى رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ عن مدح المادحين وثناء الشعراء ولكنهم  
كانوا يعرفون تأثير ذلك في مجتمعاتهم ودوره في معركتهم ضد الكفار الفاسدين. وما  
أعظم درجة الإخلاص والزهد لدى الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته ﷺ، ولكنهم  
كانوا يرضون بالمدح والثناء ويشجعونه لما في ذلك من خدمة لخطهم الإلهي ولأهدافهم  
المقدسة.

(١) الغدير، ج ٢ ص ٤.

(٢) الغدير، ج ٢ ص ٢٠.

وربما يتساءل البعض: كيف نوفق بين هذه الحقيقة وهي ضرورة توظيف الإعلام في خدمة الدين عبر الإعلام لرجالات الدين والمؤسسات الدينية والأنشطة الإسلامية وبين التعاليم الدينية التي تحذرنا من طلب الشهرة والتلوث بالرياء؟ والجواب: إن ذلك يكمن في طبيعة الدوافع فإذا كان الإعلام من أجل السمعة والمصالح الشخصية وإذا كان الهدف من العمل الديني هو التظاهر به، فهنا يكون المحذور وهو ما تنهي عنه التعاليم الدينية.

أما إذا كان العمل خالصاً لوجه الله واستفيد من الإعلام لخدمة التوجه الديني، وكان المقصود إعزاز الدين بإبراز رجالاته وتشجيع الخير بتقديم النماذج له فهو ما يجذبه الإسلام ويرغب فيه. وقد يقال: كيف نستطيع أن نحكم إذاً على صحة هذا العمل شرعاً أو عدمها ما دامت المسألة مرتبطة بالدوافع والنيات ولا يعلمها إلا الله؟ والجواب: إن العمل الإعلامي كسائر الأعمال التي يؤديها الإنسان المؤمن من صلاة وصيام وحج وإنفاق وجهاد وفي جميعها ترد احتمالات الإخلاص أو الرياء، ولسنا معنيين بالفتيش على النيات وإنما الأصل الحكم بالصحة حتى يتبين العكس، وعلينا أن نرحب بأي عمل إعلامي لصالح جهة دينية، دون أن نبحت أو نناقش في نيات القائمين بذلك العمل الإعلامي كما ننظر إلى صلاة أي مسلم أو حجه أو إنفاقه فهل نطلب منه شهادة إثبات على صحة نيته؟.

### الإعلام الديني والحساسيات الداخلية:

من الطبيعي أن تتعدد الجهات والاتجاهات في الساحة الدينية، وهناك العديد من المراجع والكثير من العلماء والفقهاء والخطباء والمؤسسات والأنشطة الدينية، وينبغي أن تكون الكثرة والتعدد منبع سرور وارتياح للإنسان المؤمن، لأن ذلك يقوي جبهته أمام الجبهات المعادية، ويبعث على التنافس الإيجابي والتسابق إلى الخيرات. ومن حق كل جهة، بل قد يكون من واجب كل جهة، أن يكون لها اهتمام إعلامي وسعي لإبراز

رموزها وشخصياتها والإعلان عن أنشطتها وأعمالها.

بيد أن المؤسف حقاً أن تنظر جهة بسلبية وانتقاص لإعلام الجهة الأخرى وكأن الدعاية والإعلام للجهة الأخرى يتم على حسابها أو أن امتداح هذا المرجع وإبرازه وإشهار شخصيته يتضمن التقليل من المرجع الآخر!! إنها نظرة سلبية ضيقة، فإثبات الشيء لا ينفي ما عداه، وإذا ما رأيت جهداً إعلامياً لصالح عالم أو مؤسسة ما فعليك أن تعرف أن ذلك يصب في صالح الحالة الدينية والاتجاه الديني بشكل عام، ولا بأس أن تندفع أنت لإبراز العالم الآخر، وإشهار شخصيته، فالمجال مفتوح أمام الجميع، ولتعرف جماهير الأمة كل المراجع، وليطلع العالم على ما لدينا من قمم علمية وفكرية.

### الإعلام للبرامج والمواقف:

لا شك أن لإبراز شخصيات الأمة والإشادة بكفاءات أبنائها أمر مفيد لرفع المعنويات وتأكيد الثقة بالذات ولأداء شيء من حق الفضلاء الأعلام. لكن ما ينفع الأمة أكثر هو تقديم الدروس والعبر من خلال سيرة وتجارب أعلام الأمة وشخصياتها. والأكثر أهمية هو تبيين البرامج والمواقف لكل قائد ديني وزعيم اجتماعي في الأمة، فالأمة تواجه تحديات مصيرية وترتسم أمام أبنائها تساؤلات مهمة في شتى مجالات الحياة. ومهم جداً أن نعرف برامج مراجعنا وقادتنا للخروج بالأمة من هذا المأزق ولمواجهة التحديات الكبيرة، وأن نطلع على آرائهم ومواقفهم وإجاباتهم عن التساؤلات المطروحة.

### تحية لـ [مجلة المرشد]

لقد أكبرت في الأخ الكريم الفاضل الشيخ حسين الفاضلي همته العالية وطموحه الريادي حينما أخبرني عن عزمه على إصدار مجلة ثقافية موسمية فشجعتة على ذلك. لكنني أشفقت عليه من عبء هذه المهمة الشاقة لما أعرفه من أوضاع الساحة الدينية التي غالباً ما تضن بالدعم والتشجيع للمبادرات الطيبة وتستقبل أي مشروع بالتساؤلات

والتشكيكات، وتضييق ذراعاً بالمنابر الحرة التي تستوعب مختلف التوجهات، وتحترم الرأي والرأي الآخر.

وأتذكر أني أكدت للأخ رئيس التحرير ضرورة الخروج من بوتقة الفتوية والتحيز لمرجع واحد، أو اتجاه واحد أو تيار واحد، وأن تكون المجلة منبراً للساحة الإسلامية على اختلاف مدارسها ومراجعتها ورموزها وشخصياتها. ولقد سرني وأنا أتابع مسيرة هذه المجلة الطيبة - المرشد - انفتاحها على الجميع وأرجو أن تستمر المجلة على هذه السياسة الحكيمة لتكون ساحة للتعارف ودافعاً للتقارب ومنبراً للوسط الديني بأجمعه.

أكتب هذه السطور وأنا أتصفح مواد هذا العدد الجديد من مجلة [المرشد] الذي يتضمن ملفاً عن أحد المراجع البارزين هو آية الله العظمى المرجع الديني الميرزا علي الغروي (دام ظله العالي)، الذي يعتبر اليوم ركناً أساسياً للحوزة العلمية في النجف الأشرف، وقد يفاجأ الكثيرون بالمعلومات الواردة في هذا الملف عن حياته المليئة بالعلم والمعرفة والأخلاق الفاضلة، والنشاط المتواصل في خدمة الحوزة العلمية، وتربية أبنائها، وذلك راجع لما سبق ذكره من عوامل وأسباب تقعد بالمؤمنين عن إبراز شخصياتهم والإشادة برجالاتهم.

حفظ الله للأمة هذا العلم الفقيه والمرجع البارز وزاد في توفيقه لخدمة الدين والعلم، وجزى الله المبادرين لإعداد هذا الملف خير الجزاء، متمنياً للمجلة الاستمرار والتوفيق والتقدم.



## المشهد الثقافي الراهن في المملكة<sup>(١)</sup>

على مستوى العطاء والإنتاج الثقافي هناك تقدم ملحوظ في المملكة يستحق الإشادة والإكبار حيث أصبحت لدينا مؤسسات ثقافية عديدة ونوادٍ أدبية في مختلف المناطق ومجلات فكرية وعلمية رائدة.

لكن مستوى تفاعل المواطن مع الحركة الثقافية ومع الاهتمام الفكري المعرفي يحتاج إلى دراسة وتأمل، فما عدا النخبة المثقفة والمهتمين بالشأن الفكري والأدبي فإن عامة المواطنين لا يخصصون من وقتهم وجهدهم وإمكاناتهم للجانب الثقافي إلا نسبة ضئيلة محدودة.

وضمن هذه النسبة المحدودة من الوقت والجهد الذي ينفقه المواطن على الاهتمام الثقافي فإن التناول السطحي والجانبى هو السمة الغالبة.

ويبدو أن الإنسان في هذا العصر تحيط به الاهتمامات والانشدادات المختلفة من

---

(١) مشاركة في ملف أعدته مجلة الكلمة، مجلة فصلية تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، العدد ١٧، السنة الرابعة، خريف ١٩٩٧م.

شؤون الحياة وتوفير مستلزماتها ومن الإغراءات والرغبات التي تدعمها برامج مكثفة ومتطورة من الدعاية والإعلام. ولكن الجانب الثقافي لا يحظى بشيء مناسب من الترويج والدفع والتعبئة باتجاهه.

إننا بحاجة إلى اعتماد وسائل تربوية وبرامج توجيهية لتربية أبنائنا على الاهتمام بالثقافة والمعرفة، كما نحتاج إلى برامج لرصد الحالة الثقافية في المجتمع ومتابعة مستوياتها ومعالجة أسباب تأخرها ومضاعفة اهتمام المواطن بها.

التمايز الثقافي والمعرفي في المجتمعات أمر طبيعي، فقد وهب الله تعالى كل إنسان عقلاً يفكر به ويدرك به الأمور، وجعل عقل الإنسان وقلبه منطقة حرة لا سبيل لأحد أن يقتحمها بالفرض والقوة، حيث يمكنك أن تفرض على الآخرين ممارسة معينة، أو تجبرهم على القيام بعمل معين، لكنك لا تستطيع أن تجبرهم على الإيمان بفكرة لا يقتنعون بها وإن تظاهروا لك بذلك.

كما أن مستويات أفهام الناس تتفاوت، والظروف التربوية والاجتماعية التي يعيشونها تختلف ولذلك أثر على ثقافتهم ومعارفهم.

لذلك يقرر القرآن الحكيم تفاوت مستوى المعرفة بين الناس، يقول تعالى: ﴿نَزَعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: الآية ٧٦].

بل حتى على مستوى الأنبياء ﷺ فإن القرآن يشير إلى اختلاف في تناول قضية والحكم فيها بين نبيين هما نبي الله داود ونبيه سليمان ﷺ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ \* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [سورة الأنبياء: الآيتان ٧٨ - ٧٩].

وبين نبي الله موسى ﷺ والخضر ﷺ ورد حديث مفصل في سورة الكهف حيث لم يتقبل ولم يستوعب نبي الله موسى ﷺ مواقف الخضر وتصرفاته في البداية لعدم اطلاعه على ملاسباتها وعذره الخضر على ذلك ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [سورة

الكهف: الآية ٦٨].

فلا يمكننا إذاً أن نطلب تطابق الآراء واتفاقها في مختلف القضايا، ومن هذا المنطلق تتعدد آراء الفقهاء والمجتهدين في المسألة الواحدة والحكم الشرعي الواحد على أساس أن المجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد على ما بذله من جهد في اجتهاده.

نعم، في المجتمع المسلم هناك ضابطة الالتزام بالكتاب والسنة مع إفساح المجال لتنوع واختلاف الأفهام في نصوص الكتاب والسنة وللشيخ العلامة ابن تيمية كتاب جميل حول تعدد آراء الأئمة ومدارسهم في فهم مسائل الدين هو كتاب (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) طبعته الجامعة الإسلامية المدينة المنورة عام ١٣٩٦ هـ.

والمملكة جزء من العالم الإسلامي بل هي قلب العالم الإسلامي وهي بلد واسع الأرجاء جغرافياً وتتكون من مناطق متعددة، ومن الطبيعي أن تتعدد فيها المدارس الفكرية والفقهية وأن يكون لكل منطقة نوع من التمايز في ثقافتها وأدبها. لكن ذلك كله في إطار الإسلام وبالالتزام بالكتاب والسنة.

والتمايز في مناهج الفهم ومدارس التفسير وفي التراث الثقافي والأدبي مادام في إطار الإسلام فهو عنصر إثراء وإنضاج إذا ما تم على قاعدة الاحترام المتبادل وضمن آداب الإسلام وأخلاقه واتجه نحو خدمة المصلحة العامة والحفاظ على وحدة المجتمع. وأضيف هنا إن المملكة بدورها الريادي والقيادي في الأمة الإسلامية لا بد أن تستوعب مختلف التيارات والتوجهات والمذاهب والمدارس الإسلامية، بل وأن تمارس دور حفظ التآلف والتضامن وتشكل جسر الارتباط والتواصل بين الجميع بما يخدم مصلحة الإسلام والمسلمين.

وتبني المملكة للمؤسسات الإسلامية العالمية كرابطة العالم الإسلامي ومجمع الفقه الإسلامي يعزز لديها توجه الانفتاح على الجميع والتعامل مع مختلف التوجهات.

ومهرجان الجنادرية أصبح مثلاً بارزاً لتلاقي مختلف الاتجاهات والتيارات تدعياً لوحدة الموقف العربي والإسلامي.

التوجيه الديني المنطلق من خطب الجمعة وبرامج الدروس الدينية والإفتاء في المسائل الشرعية لها دور أساس في تشكيل وعي الإنسان المسلم بدينه وتحديد موقفه الشرعي من الأحداث والقضايا.

وشعبنا ملتزم بالدين ويصغي لآراء وفتاوى العلماء الموثوقين المعتمدين، وخطب الجمعة تصل إلى الجميع، سواءً بالحضور والاستماع المباشر عبر المشاركة في صلاة الجمعة أو باستماعها عبر وسائل البث الإذاعي والتلفزيوني الذي تحتل فيه البرامج الدينية مساحة واسعة.

لكن من الطبيعي أن لا تكون كل الخطب والبرامج الدينية في مستوى واحد، فهناك ما تتوفر فيه مواصفات التوجيه الجيد والمتقدم وهناك ما يلحظ فيه بعض نقاط الضعف.

فمع تطور أوضاع الحياة وتقدم مستوى العلم وانفتاح الناس على البرامج المعرفية والثقافية المختلفة عبر القنوات الفضائية ومحطات البث المباشر لا بد أن تتطور الخطب والبرامج الدينية فلا تكون مقتصرة على الوعظ الإنشائي والأوامر والزواجر المباشرة بل ينبغي أن تحتوي على تقديم الأفكار والمفاهيم التربوية والمعرفية المعمقة وأن تواكب قضايا العصر وأحداث الحياة وتكون مطعمة بالأرقام والإحصائيات ونتائج البحوث الميدانية فيما تتناول من قضايا المجتمع.

وحيث ابتليت الساحة الإسلامية ببعض التوجهات المتطرفة التي تسيء لسمعة الإسلام بممارساتها وأعمالها المنافية فلا بد أن تهتم خطب الجمعة والبرامج الدينية ببث الروح الإسلامية السمحاء والتركيز على منهج الوسطية والاعتدال ونبت التطرف والتعصب وتعليم الناس على القبول ببعضهم البعض والانفتاح على بعضهم والاحترام

المبادل وإن اختلفت مذاهبهم أو مدارسهم أو أفكارهم.

نعم، المطلوب هو الجدل والتي هي أحسن والحوار القائم على طلب الحقيقة وتقديم البراهين ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٢٤] ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٤٨].

أما تكفير الآخرين والمسارة في اتهام نياتهم والتشكيك في دينهم فليس ذلك من الإسلام في شيء.



## آفاق أخرى للعمل الديني<sup>(١)</sup>

حينما يتوجه إنسان إلى دراسة علوم الشريعة، وينتمي إلى سلك علماء الدين، فهذا يعني أنه قد نذر نفسه لخدمة الإسلام، وأصبح جندياً متطوعاً لنشر العقيدة والمبدأ، ذلك لأن المعرفة بالدين والعلم بأحكامه، تحمل الإنسان مسؤولية التبليغ والتعليم، فالتفقه في الدين مقدمة لإنذار الناس وتوجيههم، كما يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

فبمقدار ما يتعلم الإنسان من الدين، عليه أن يبذل علمه للآخرين، وكلما كان نصيبه من العلم أكثر، بنفس القدر تتضاعف مسؤوليته في نشر معارف الدين، وتوضيح أحكامه ومفاهيمه.

وخاصة في الظروف الحساسة حينما يحصل انحراف عن المنهج القويم أو تحريف

---

(١) بمناسبة أربعين الفقيه العزيز الشيخ حسين آل الشيخ ١٣٨٥ - ١٤١٩هـ، نشرت في كتاب (أفئدة وجراح) تأليف محمد أمين أبو المكارم، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار المكارم لإحياء التراث.

في شيء من أصول الرسالة ومبادئها، أو حينما تعصف بالأذهان شبهات الأعداء، وتضليلات المخالفين، فإن وظيفة العلماء وواجبهم في تبين الحقائق والدفاع عن المبادئ يصبح أكثر ضرورة وإلحاحاً.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٥٩].  
 وورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله»<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت وظيفة العالم تبين حقائق الدين، والدفاع عن مبادئه، فإن تجليات القيام بهذه الوظيفة، والاضطلاع بهذا الدور، يكون على صور وأشكال مختلفة، وعبر أساليب ووسائل متعددة، حسب اختلاف الظروف والأوضاع الزمانية والمكانية والاجتماعية.

### الدور المؤلف:

لكن الملحوظ أن هناك أدواراً مألوفة وتقليدية يمارسها أغلب المتممين إلى سلك العلوم الدينية، ففي الحوزات العلمية غالباً ما يتوجه أكثرية العلماء والطلبة إلى الدرس والتدريس، والبحث في علمي الفقه والأصول، والتصدي للمرجعية والإفتاء.  
 وفي المجتمع عادة ما ينحصر دور عالم الدين في المحراب والمنبر، وما يتبع ذلك من إجراء العقود، واستلام الحقوق الشرعية، والإجابة عن المسائل الفقهية، وهذه الأدوار مطلوبة ومهمة، لا يمكن الانتقاص منها ولا الاستغناء عنها، لكن ما يستوجب الملاحظة والاهتمام هو انحصار التوجه والتصدي في حدود هذه الأدوار المؤلف والمعارفة، مع وجود فراغ وحاجة ماسة في بقية الجوانب والمجالات.  
 فمثلاً على الصعيد العلمي يبذل العلماء في الحوزات الدينية جهوداً ضخمة من

(١) بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٠٨، رواية ٣٥.



أوقاتهم وأفكارهم في بحث مسائل الفقه والأصول، ويتمتعون بعقلية وقادة، وعمق مدھش، في استقصاء كل الاحتمالات والافتراضات ومناقشتها بجدية وإتقان، وهذا يدعو إلى الاعتزاز والافتخار ببراعتهم وإخلاصهم العلمي.

### وظائف شاخرة:

لكن التقدم العلمي الكبير في مجالي الفقه والأصول لم يواكبه تقدم في مجالات العلوم الشرعية الأخرى، كعلم التفسير، والحديث، والعقائد، والتاريخ، والاجتماع، والأخلاق...

نعم، هناك مبادرات فردية رائدة في بعض هذه المجالات، كتوجه العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي لتفسير القرآن حيث أنجز تفسيره الرائع (الميزان) فشكّل به إضافة ذات قيمة عالية في مجال التفسير، وكذلك توجه العلامة الشيخ عبدالحسين الأميني في مجال العقائد عبر موسوعته المهمة (الغدير)، واهتمام الشيخ آغا بزرك الطهراني برصد مؤلفات وأبحاث علماء وأدباء الطائفة الشيعية، حيث أصدر موسوعته (الذريعة)، ولا بدّ من الإشارة إلى بحوث الشهيد السيد محمد باقر الصدر الإبداعية في مجالات الفلسفة والاقتصاد والمنطق في كتبه الثلاثة (فلسفتنا - اقتصادنا - الأسس المنطقية للاستقراء).

لقد كان بإمكان السيد الطباطبائي والشيخ الأميني والشيخ آغا بزرك الطهراني، أن يجاروا أقرانهم وأندادهم من العلماء الفقهاء في الانشغال بأبحاث الفقه والأصول، وفي التصدي لمقام الإفتاء والمرجعية، لكنهم شخصوا الحاجة والفراغ في المجالات الأخرى، فاتجهوا لها، ووظفوا حياتهم لخدمتها فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

لكن أمثال هذه الشخصيات محدودة، وتعدّ على الأصابع، في مقابل توجه المئات من العلماء المحققين البارعين للمجال المألوف والمعتمد في الحوزات العلمية.

وأكرر هنا أني لا أقصد التقليل من مكانة أي عالم خدم الشريعة في أي مجال من

مجالات العلم، ولا أنكر أهمية علمي الفقه والأصول، ولا أستهين بدور الإفتاء والتصدي المرجعي، لكنني أعتقد بضرورة ملء الفراغات المعرفية الأخرى أيضاً، وتطوير أبحاثها، ومعالجة إشكالاتها ومسائلها، بنفس الدرجة من العمق والاهتمام الذي ينصب على علمي الفقه والأصول.

هذا على صعيد الحوزات العلمية.

### وظائف اجتماعية:

وأما على الصعيد الاجتماعي، فإن هناك أدواراً عديدة شاغرة ينبغي أن يتوجه لها علماء وطلاب العلوم الدينية الذين يعملون في الوسط الاجتماعي، غير الدور التقليدي المؤلف من منبر ومحراب كما تقدم.

فمجتمعاتنا بحاجة إلى مؤسسات أبحاث ومراكز دراسات، ترصد أوضاع المجتمع، وتتابع تطوراتها، وتشخص احتياجاته الفكرية والتربوية، ثم تضع المناهج والبرامج التوعوية التثقيفية، وتعيد صياغة الأفكار والمفاهيم الإسلامية، بما يتواءم ويتناسب مع التحديات المعاصرة.

كما تشتد الحاجة في هذا العصر إلى المؤسسات الإعلامية الإسلامية، من قنوات فضائية، ومواقع على الإنترنت، وإصدار المجلات والجرائد، وتوظيف مجالات الفن لصالح قضايا الإسلام والأمة.

إن هذه الحقول وأمثالها ينبغي أن تتوجه إليها الطبقة الدينية، وتهتم بها، وتتصدى لملء الفراغ فيها.

لكن جزءاً كبيراً من المشكلة يكمن في أن مجتمعاتنا لا تنظر لمثل هذه الأدوار بنفس نظرة التقدير والاحترام التي توليها لمن يتصدى للأدوار التقليدية المألوفة، وبالتالي لا تقدم له الدعم والتشجيع المطلوب، مما جعل أكثرية أبناء السلك العلمي الديني لا يرون أنفسهم، ولا يشعرون بأدائهم لوظيفتهم وواجبهم إلا ضمن هذه الأدوار المعتادة.

بالإضافة إلى أن تلك الأدوار التقليدية المألوفة، لها أعرافها وضوابطها الواضحة، ومن يتصدى لها يجد أمامه نماذج وتجارب كثيرة، تمنحه الاطمئنان، وتعطيه الخبرة، فهو ليس مقدماً على مهمة غامضة، ولا دور مجهول.

بينما التوجه للآفاق الأخرى، والتصدي للمهام الجديدة، يصبح شبه مغامرة، وتكتنفه مختلف العوائق، ويحتاج إلى جهد كبير للتأسيس، وتوفير فرص النجاح. فلا يقدم على ذلك إلا الواعون المستعدون لتحمل الأعباء والمشاق في سبيل خدمة الأهداف الدينية السامية، ومن أجل إصلاح مجتمعاتهم وتقديمها.

### تجربة رسالية :

وفقيدنا الغالي الفاضل العزيز الشيخ حسين صالح آل الشيخ رحمه الله قدم لنا تجربة رسالية رائعة في هذا المجال.

إنه غصن يانع من شجرة علمية باسقة تمتد جذورها في أرض العلم والفضيلة لقرون من الزمن.

وهو ثمرة ناضجة من ثمار الصحوة الإسلامية التي هبت على مجتمعاتنا في مطلع هذا القرن الخامس عشر للهجرة.

لقد قطع شوطاً في دراسته العلمية الحوزية، واتسعت مداركه وآفاقه ليدرك حاجة الساحة الإسلامية، للعمل الثقافي والإعلامي، ورغم توفر كل الوسائل والظروف له ليمارس الدور المألوف لأبناء السلك العلمائي الديني، ورغم امتلاكه الكفاءة والقدرة على النجاح في هذا المجال، إلا أنه لوعيه وإخلاصه، قرر أن يتجه إلى المهمة الشاغرة على صعوبتها، والدور المهم مع خطورته.

### أدوار مهمة :

فتحمل إدارة ورئاسة تحرير مجلة (البصائر) وهي مجلة فكرية إسلامية، تستهدف

تعميق الوعي الديني، وبث الفكر الرسالي، ومعالجة قضايا المسلمين المعاصرة، والتحديات التي تواجههم.

والقريب من أجواء العمل الإعلامي الثقافي في الساحة الإسلامية، يدرك مدى صعوبة هذه المهمة، والأعباء التي يتحملها المتصدون لها، فالعاملون في هذا المجال إنما ينحتون في الصخر،. حيث لا تساعدهم الظروف، ولا تسعفهم الإمكانيات، ولا يتوفر لهم التشجيع المطلوب.. ففي التحرير وإعداد المادة المناسبة، لا بد لهم من إقناع هذا وذاك، ثم الإلحاح والمتابعة ليتوفروا على البحوث والمقالات اللازمة، وعند الطبع والإخراج لا يمتلكون الأجهزة والمؤسسات التي تكفيهم هذه المهمة، والتمويل غير مضمون بسهولة، وبعد ذلك فالنشر والتوزيع يتطلب جهوداً مضمّنية...

لقد تحمل الفقيد الغالي هذه المسؤولية مدركاً لتبعاتها وأعبائها، عازماً على البذل والعطاء من جهده ووقته وشخصيته، من أجل إنجاز مهمته، وأدائها على خير وجه، وأكبر دليل على تضحيته تعثر مشروع المجلة (البصائر) بعد وفاته، نسأل الله تعالى أن يقيّض لها من يواصل بها المسيرة، ويثري بها الساحة الثقافية المتعطشة إلى أي عطاء فكري رصين.

وثمة دور آخر ضمن هذا الأفق توجه له الشيخ الفقيد هو الاهتمام بالتراث العلمي والأدبي للمنطقة، وهو تراث كبير يعاني من الضياع والإهمال، ويحتاج إلى التحقيق والنشر، وبوعيه الديني وحسه الوطني، تصدى الشيخ الفقيد للإسهام في هذا المجال، فحقق مجموعة من الكتب منها:

- مودة الآل في الأدب العربي، للعلامة الشيخ باقر أبو خمسين، قام بتحقيقه وأشرف على طبعه في دار البيان العربي - بيروت.
- النص الجلي في إمامة الإمام علي، لآية الله الشيخ موسى أبو خمسين، قام بتحقيقه وأشرف على طبعه في دار البيان العربي - بيروت.

- الأمين الهادي والهداة من آله، العلامة الشيخ باقر أبو خمسين، قام بتحقيقه وتوفي والكتاب قيد الطباعة.
  - كاشفة القناع في ذكاة السمك والجراد، للإمام الشيخ جعفر أبو المكارم، قام بتحقيقه وتوفي والكتاب قيد الطباعة أيضاً.
- كما كان رحمه الله يشجع على طبع الكتب ونشرها، وصرف جزءاً من وقته وجهوده في إنشاء مؤسسة تقوم بمهمة الطباعة والنشر.
- ونحن - خاصة في هذا العصر - بحاجة ماسة لدور النشر من أجل طباعة الكتب الثقافية ونشرها، فإذا ما ألف العالم كتاباً وتركه يسفي عليه الغبار، كيف لهذا الكتاب أن يؤدي دوره ورسالته؟!
- لقد أصبح الكتاب في العديد من الأوساط العلمية والفكرية عبأً على مؤلفه، فبعد أن يجهد نفسه في إعداده وتأليفه، لا بد له من أن يضطلع بطباعته ونشره.
- هذا الدور - الطباعة والنشر - تقوم به مؤسسات متخصصة في العالم، ونحن بحاجة إلى من يتوجه بجديّة إلى هذا الأمر.
- فترات أهل البيت تراث عظيم، وتراث علماء مدرسة أهل البيت تراث ضخم، فكم لهم من المؤلفات؟ وكم من المؤلفات لا تزال تكتب؟ كم من المؤلفات المخطوطة في هذه المنطقة التي تنتظر الطباعة والنشر؟
- أسرة الفقيه - أسرة آل الشيخ - كم لأعلامها من المؤلفات المخطوطة؟ لعل ما طبع من كتبهم جزء قليل من مكتبتهم التي لا تزال محفوظة على الرفوف! لم تطبع ولم تنشر حتى يستفيد الناس منها.
- هذا التراث الضخم من ينشره ويروجه على مستوى العالم؟ فالنشر أهم من الطباعة، إذ لا فائدة من طبع الكتاب وتخزينه.
- من يتصدى لهذا النقص والخلل في ثقافتنا ومعارفنا، من حيث النشر والانتشار؟

المفروض أن بعضاً من العلماء وطلاب العلوم الدينية ومن يدركون أهمية المعارف الدينية وأهمية انتشارها أن يتوجهوا لهذا الأمر، كما كان الشيخ الفقيه يفعل. وهكذا قدم لنا الشيخ الفقيه تجربة رسالية رائعة على قصرها في تحمل المسؤولية، والتصدي للمهام الشاغرة، وارتياح المواقع المهملة.

وما أحوجنا إلى الاستفادة من هذه التجربة وتطويرها، خاصة وقد توفر في مجتمعنا عدد جيد من العلماء وطلبة العلوم الدينية، الذين لا ينبغي أن يتجهوا كلهم للأدوار التقليدية المألوفة، ويقتصروا عليها، بل ينبغي أن تتصدى مجموعة وفئة منهم لكل مجال من مجالات خدمة الدين والمعرفة.

تغمده الله الشيخ الفقيه الغالي بوسع رحمته، وأثابه على ما بذل وأعطى في خدمة دينه ومجتمعه، وربط على قلوب ذويه وخاصة والده المؤمن الوقور بالصبر والسلوان، وخلف على مجتمعنا بالخلف الصالح إنه سميع مجيب.

## تقديم كُتاب (ما يريدُه الشباب: الطعم والبديل)<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين وصحبه الطيبين.

يواجه شبابنا في هذا العصر تحديات خطيرة على صعيد تكوين شخصياتهم وتشكيل أفكارهم وسلوكهم.

فهم ليسوا متروكين لفطرتهم وعقولهم ليتبينوا عبرها الرشد من الغي. وآباؤهم يعيشون صدمة التغيير والتطور الهائل الذي أصاب حياتهم، فأفقدتهم القدرة على استيعاب مستجدات العصر إلى جانب الحفاظ على القيم والمبادئ. والجهات الدينية لا تمتلك وسائل الجذب والاستقطاب، كما لا تنطلق من واقع منظم قائم على البرمجة والتخطيط في الأعم الأغلب.

---

(١) ما يريدُه الشباب: الطعم والبديل، عبدالمحسن علي أبو عبدالله، ١٤٢٠هـ.

أما الأجواء المحيطة بالشباب فإنها تمتلئ بأساليب الإغراء والإغواء، فهناك فضاء مفتوح يهيمن عليه إعلام الشهوات والرغبات، وثقافة مادية كالسيل الجارف تريد إذابة كل الشعوب في بوتقة الحضارة الغربية تحت شعار العولمة. وظروف الحياة التي تزداد قساوة وصعوبة في مجالات التعليم والعمل وسائر مستلزمات المعيشة تجعل الشباب في قلق واضطراب على مستقبل وإمكانات بناء حياته. إنهم في حاجة ماسة إلى من يقف معهم، يتفهم ظروفهم، ويدرك حجم التحديات التي تواجههم، ويمدّ لهم يد العون ليتجاوزوا مخاطر هذه المرحلة الحساسة الحرجة من أعمارهم. إنّ بعض الشباب ينهارون أمام هذه الأزمات وبعضهم يتساقطون على طريق التحدي.

وبعضهم يتخبط في سيره، ويتعثّر في مشيه. ونتيجة لذلك تسود مجتمع الشباب ظواهر غير مريحة، وتصدر من بعضهم ممارسات ليست لائقة، تستدعي انزعاج الآباء وغضب المتدينين.. لكن هذا الانزعاج أو الغضب لا يحل المشكلة بل قد يزيدا تعقيداً ويعمق الهوة بين الأجيال، وينفر الشباب من الدين. والمطلوب هو فهم أعمق لواقع الشباب ومشكلاتهم ومن ثم مساعدتهم على تلمس الحلول، واكتشاف سبل الإنقاذ والخلص. وعلينا جميعاً أن نهتم بمناقشة هذا الأمر والتفكير فيه وتقديم المقترحات ووضع البرامج.

وقد سررت بمحاولة الأخ الفاضل الأستاذ الحاج عبدالمحسن أبو عبدالله للإسهام في هذا الشأن، حيث تناول بعض هموم شبابنا المعاصر وما يتعرض له من مكائد للتضليل والإغواء، وسعى في تقديم ما يراه مناسباً من المقترحات والبرامج.



إن اهتمام الأخ الأستاذ عبدالمحسن بقضايا مجتمعه لِيَكْشِفُ عن وعي بمسؤوليته الدينية والاجتماعية، كما يدل بحثه الجميل على متابعته الفكرية والثقافية. أسأل الله أن يوفقه للمزيد من العطاء في خدمة الدين والمجتمع. وأرجو أن يكون قدوة لسائر الإخوة المؤمنين الواعين في أن يتحملوا مسؤولياتهم، ويشاركوا في معالجة قضايا الدين والوطن عن طريق الكلمة الطيبة والعلم الصالح.. وفق الله الجميع لما يحب ويرضى إنه ولي التوفيق..

حسن الصفار

٩ / ٨ / ١٤٢٠ هـ

١٧ / ١١ / ١٩٩٩ م



## المخدرات: أخطارها وسبل الوقاية منها<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩٥].  
المخدرات تعتبر من أهم الأخطار والآفات التي تواجه مجتمعاتنا في هذا العصر  
فهى:

أولاً: تدمر شخصية الإنسان وتفقد الإرادة والجدية فيصبح لاهثاً خلف الشهوات  
والأهواء بعيداً عن التفكير في بناء مستقبله أو خدمة أمته ووطنه.

ثانياً: المخدرات تفتك بصحة الإنسان الجسمية وغالباً ما تؤدي إلى نقص في مناعة  
الجسم للأمراض، فهى من أسباب مرض الإيدز الخطير كما تسبب في نقص القدرة  
الإحصائية واضطراب الأعصاب.

ثالثاً: إنها الطريق الأسرع إلى الموت حيث أصبحت ظاهرة وفيات المدمنين مثار  
اهتمام الجهات المختصة في مختلف الدول، وتنشر صحف بعض دول المنطقة عن حالات

---

(١) كلمة بمناسبة معرض عن خطر المخدرات، أقامته مدرسة سعد بن عبادة في القطيف - المنطقة الشرقية.

وفاة يعلن عنها نتيجة سوء التعاطي للمخدرات، كتناول جرعات زائدة أو استعمال خليط من المخدرات الخطرة، أو لعدم الحصول على المخدر واستبداله بأدوية أو كحوليات أو أي عقاقير أخرى.

رابعاً: هي هدر المال والثروة على مستوى الأفراد المتعاطين وعلى مستوى الوطن، وملحوظ كيف يعيش المدمن حالة الإفلاس الدائم وخاصة مع ارتفاع أسعار المخدرات نتيجة منعها وحظر تداولها، وكم تهدمت بيوت وتحطمت أسر بهذا السبب.

خامساً: إنها أرضية للإجرام وارتكاب مختلف المفاسد حيث يدفع الإدمان صاحبه لاستخدام السبل والطرق لتحصيل ما أدمن عليه، وقد تصبح أداة للابتزاز حيث تقوم بعض العصابات والفئات المنحرفة بإعطاء جرعات لبعض الفتيان أو الفتيات ثم تفرض عليهم ما تريد من الشروط مقابل إعطائهم جرعات جديدة. وقد لوحظ أن هناك علاقة وثيقة بين المخدرات وبين أكثر الجرائم، كالدعارة والشذوذ الجنسي والسرقات. لكل ذلك يجب الانتباه لخطورة هذه الآفة والعمل الجاد لوضع حد لانتشارها في مجتمعاتنا الإسلامية.

إن هناك عوامل عديدة تساعد على انتشار هذا الوباء الفتاك ومن أهمها:

- ضعف الروح الدينية وضعف الوعي الإسلامي.
- انشغال العوائل عن الاهتمام بأبنائها وبناتها وتركهم مهملين دون رعاية تامة وإحاطة كافية.
- وجود البرامج السيئة في بعض وسائل الإعلام وخاصة الأجنبية وتوفر وسائل التقاط تلك البرامج.
- وقت الفراغ حيث لا يجد الشاب أو الشابة البرامج المشجعة والمناسبة لقضائه فيها.
- وجود بعض المشاكل النفسية والاجتماعية التي قد تدفع الأبناء للهروب منها

باتجاه المخدرات.

- العمالة الوافدة، وملاحظ أن أغلب محاولات تهريب المخدرات المكتشفة تمت بأيدي هؤلاء، كما أن بعضهم يعتبرها وسيلة سهلة للإثراء والتغلغل في المجتمع.

- وأخيراً، فإن الأعداء الطامعين يستخدمون هذا السلاح ضد بلادنا وأمتنا.. لقد حبا الله بلادنا بالمزيد من الخيرات والبركات، ومن أهمها الثروة الروحية والرصيد المعنوي الكبير المتمثل في كونها منطلق الإسلام وأرض الوحي والنبوة وتتشف ربوعها بالحرمين الشريفين، وإلى جانب هذه النعمة الكبيرة أفاض الله على بلادنا ثروة مادية طائلة تتمثل في النفط وسائر المعادن والموارد، فله الحمد والمنة.

ومن الطبيعي أن تصبح بلادنا هدفاً للطامعين والحاquدين، فكل ذي نعمة محسود، وإن من أخطر الوسائل التي يلجأ إليها الأعداء الطامعون هي السعي لإضعاف وتدمير شخصيات ونفوس الجيل الناشئ من أبناء هذه البلاد.

وذلك بترويج المخدرات ووسائل الفساد والانحراف التي تسبب ضياع الإرادة وفقدان الجدية وتمييع الشخصية، إن من يقع في شباك وفخاخ هذه الأخطار، لن يؤمل من أن يكون مواطناً مخلصاً صالحاً يعمل لخدمة دينه ووطنه ومجتمعه، بل سيكون مهزوز الشخصية، لاهتاً خلف الشهوات والأهواء، وسيصبح معول هدم وتخريب في كيان المجتمع.

وترويج المخدرات لعبة استعمارية قديمة مارسها البريطانيون في الهند أيام احتلالهم لها، وفي الصين عند سيطرتهم عليها، وكذلك أثناء احتلال القوات البريطانية لمصر حيث استخدمت هذه القوات الحشيش بهدف تهدئة الصاخبين وانتزاع غضب المثقفين والحد من الثورة ضدها.

وتفيد التقارير الواردة من مصر في هذه السنوات أن إسرائيل تجند العملاء والجواسيس لتهريب المخدرات ونشرها في مصر وقد أَلقت السلطات المصرية القبض على بعض هؤلاء.

إن من الطبيعي أن يسلك الأعداء كل الطرق والسبل التي تمكنهم من إضعافنا ومنع تقدمنا، وبالتالي تتيح لهم المجال لنهب ثرواتنا والهيمنة علينا، لكننا مطالبون بأن نتسلح باليقظة والوعي لإفشال مخططات الأعداء ومنع تسرب سمومهم وآفاتهم إلى مجتمعنا.

وذلك بالاعتصام بحبل الدين المتين الذي يحرم كل ألوان السكر ووسائل الفساد والانحراف، وأسباب الهلكة والدمار، يقول الله سبحانه تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩٥]. وعن رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام». وعنه ﷺ: «احذروا كل مسكر فكل مسكر حرام».

وبما أن أغلب ضحايا هذه الآفات هم من الجيل الناشئ الشاب لذلك يجب الاهتمام برعاية هذا الجيل وتوفير الهداية والإرشاد لهم، وملء أوقات فراغهم بما ينمي طاقاتهم ومواهبهم ويؤهلهم للتقدم في المستقبل.

وللمدرسة كما العائلة دور كبير في التوعية والتوجيه، فعلى المدرسين الأعضاء أن يمارسوا دور الأبوة الصالحة لتلاميذهم، ليساعدوهم على التغلب على مخاطر فترة المراهقة الحرجة.

والمؤسسات الاجتماعية القائمة في البلاد، كالجمعيات والأندية ومراكز الخدمة وبالتعاون مع الأهالي وأبناء المجتمع تستطيع أن تؤدي دوراً أساسياً في الوقوف أمام هذه الأخطار.

إن مستقبل الوطن ومستقبل شباب الوطن وأبنائه مهدد بالضياح والدمار إذا ما اتسع انتشار هذه المخدرات الفتاكة، نسأل الله تعالى أن يحفظ بلادنا ومجتمعنا من كل

مكروه، وأن يوفق المسؤولين والعاملين ذوي الجهود الخيرة والمبادرات الصالحة للتقدم والنجاح.

وأغتنم هذه الفرصة المناسبة لأوجه شكري للإدارة العامة للتعليم بالمنطقة الشرقية وإدارة مدرسة سعد بن عباد المتوسطة بالقطيف على مشاركتهم الطيبة في مواجهة هذا الخطر الوبيل بإقامة المعرض الثاني للتوعية بأضرار المخدرات ونأمل أن يؤدي هذا الجهد دوره المطلوب إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.





## صدر للمؤلف

### ١. الصوم مدرسة الإيمان

الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، دار التراث الإسلامي - بيروت.

### ٢. وكل أمة رسول

الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، منشورات مكتبة الإمام الصادق - الكويت.

الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.

### ٣. الرسول طريق إلى القمّة

الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ - ١٩٧٥م، منشورات مكتبة الرسول الأعظم العامة، مطرح - سلطنة عمان.

### ٤. الحسين ومسؤولية الثورة

الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، مطابع دار السياسة - الكويت.

الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، مطابع دار السياسة - الكويت.

الطبعة الثالثة: ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م - أمريكا.

- الطبعة الرابعة: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - فرنسا.  
 الطبعة الخامسة: ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م، طهران - إيران.  
 الطبعة السادسة: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار الحوراء - بيروت.  
 الطبعة السابعة: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، دار البيان العربي - بيروت.  
 الطبعة الثامنة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

#### ٥. أئمة أهل البيت رسالة وجهاد

- الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.  
 الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.  
 الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء - بيروت.

#### ٦. الإمام المهدي أمل الشعوب

- الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، منشورات مكتبة الرسول الأعظم العامة،  
 مطرح - سلطنة عمان.  
 الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.  
 الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ - ١٩٨٢م، طهران - إيران.  
 ■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (إمام مهدي اميد ملتتها)، المترجم  
 محمد علي مجيديان، دار آفاق، طهران، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، الطبعة الرابعة:  
 ١٤١٧هـ.

#### ٧. مسؤولية الشباب

- الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.  
 الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.  
 الطبعة الثالثة: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء - بيروت.  
 الطبعة الرابعة: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار البيان العربي - بيروت.  
 ■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (WAJIBU WA VIJANA)  
 ترجمة أبو أحمد حسين - دار المجد ١٤٠٥هـ.

**٨. المرأة مسؤولة وموقف**

- الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، طهران - إيران.  
 الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.  
 الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الزهراء - بيروت.

**٩. المرأة والثورة**

- الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.  
 الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.

**١٠. مسؤولية المرأة**

- الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.  
 الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء - بيروت.  
 الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار البيان العربي - بيروت.

**١١. الإمام الحسين رمز التضحية والفداء**

- الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، مكتبة الرسول الأعظم ﷺ، مطرح - سلطنة عمان.  
 الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - الكويت.

**١٢. رؤى الحياة في نهج البلاغة**

- الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.  
 الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.  
 الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.  
 الطبعة الرابعة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار الصفوة - بيروت.  
 الطبعة الخامسة: ٢٠٠٤م - دمشق.  
 الطبعة السادسة: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف - العراق.  
 ■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (تصوير زندكي در نهج البلاغه)، المترجم لطيف رشدي، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، انتشارات قدس، قم.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الطاجيكية تحت عنوان (аЙхIII Ҳасан Мўсо Саффор)، طبعة قم ٢٠٠٥م، الناشر فاضل.

### ١٣. حياة الأئمة والتاريخ المزيّف

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.  
الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مؤسسة الوفاء - بيروت.

### ١٤. رمضان برنامج رسالي

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الجزيرة، لندن - بريطانيا.  
الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء - بيروت.  
الطبعة الثالثة: الكويت.  
الطبعة الرابعة: طهران - إيران.  
الطبعة الخامسة: ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار البيان العربي - بيروت.

### ١٥. قراءة في فكر الإمام الخميني

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، باريس - فرنسا.

### ١٦. أعلننا الولاء بالدم

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.  
الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، طهران - إيران.

### ١٧. بصائر وهدى

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.

### ١٨. السجن أحب إليّ

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.

### ١٩. الشعب يتحدّى السجون

الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

### ٢٠. الثورة والإرهاب

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

### ٢١. كيف نتحدى الطغاة

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

### ٢٢. رمضان وقضايا الثورة

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.

### ٢٣. النضال على جبهة الثقافة والفكر

الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

### ٢٤. فلنحطم الأغلال

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار البداية، القاهرة - مصر.

### ٢٥. الجماهير والثورة

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

### ٢٦. خطر السُّقوط

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

### ٢٧. النفس منطقة الخطر

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء - بيروت.

الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مركز الجواد للطباعة، الأحساء - السعودية.

الطبعة الخامسة: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف - العراق.

٢٨. القلب حرم الله

الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٢٩. لكي لا نحتقر أنفسنا

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٠. رمضان دعوة إلى ضيافة الله

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣١. فئات العمل الرسالي

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٢. عن المثقفين وعطلة الصيف

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٣. رسالة المجانس الحسينية

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٤. الأناية وحب الذات

الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٥. معرفة النفس

الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، دار البيان العربي - بيروت.

٣٦. التغيير الثقافي أولاً

الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة الوفاء - بيروت.

■ تمت ترجمته الى اللغة الفرنسية تحت عنوان (POUR UN CHANGEMENT

CULTUREL) رابطة الأخوة الإسلامية - طهران ١٤٠٥هـ.

**٣٧. كيف نقهر الخوف**

- الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مركز الشباب المسلم، أميركا.  
 الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء - بيروت.  
 الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ، طهران - إيران.  
 الطبعة الرابعة: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء - بيروت.  
 ■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (غلبه بر خوف).  
 ■ تمت ترجمته إلى اللغة الأندونيسية، تحت عنوان (TAKUT) ترجمة الشيخ وردنا بلاثو، ٢٠٠٣م، جاكرتا - أندونيسيا.

**٣٨. كيف نقاوم الإعلام المضاد**

- الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الشهيد للثقافة والإعلام.  
 الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء - بيروت.  
 ■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (رويار وبي تبليغاتي)، المترجم سعيد خاكرند، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، نشر بقيق، طهران.

**٣٩. الثائر والسجن (دراسة في حياة الإمام الكاظم عليه السلام)**

- الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار البصائر.  
 الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء - بيروت.

**٤٠. يوم البقيع**

- الطبعة الأولى: ١٤١١هـ-١٩٩١م، مؤسسة البقيع لإحياء التراث - بيروت.  
 الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الجمعية الجعفرية - استراليا.

**٤١. مختصر الطفل بين الوراثة والتربية**

- الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء - بيروت.  
 الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ - بيروت.

**٤٢. الشيخ علي البلادي القديحي**

الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، مؤسسة البقيع لإحياء التراث - بيروت.

#### ٤٣. التعددية والحرية في الإسلام: بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب

الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار البيان العربي - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار الصفوة - بيروت.  
الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.  
■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (چندگونگی و آزادی در اسلام)، ترجمة حميد رضا آذير، نشر بقيع.

#### ٤٤. المرأة العظيمة: قراءة في حياة السيدة زينب عليها السلام

الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار البيان العربي - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.  
الطبعة الثالثة: ٢٠٠٠م، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت.  
الطبعة الرابعة: ٢٠٠٢م، مؤسسة الثقلين - بيروت.  
الطبعة الخامسة: ٢٠٠٧م، دار التآخي - دمشق - سوريا.

#### ٤٥. الوطن والمواطنة: الحقوق والواجبات

الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار الصفوة - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار الصفوة - بيروت.  
الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

#### ٤٦. التنوع والتعايش

الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الصفوة - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.  
الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الساقى، لندن - بريطانيا.  
الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م، دار التآخي - دمشق.



الطبعة الخامسة: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف - العراق.

٤٧. **التطلع للوحدة وواقع التجزئة في العالم الإسلامي**

الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، دار الكنوز الأدبية - بيروت.

٤٨. **علماء الدين قراءة في الأدوار والمهام**

الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، دار الجديد - بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

٤٩. **الشيخ محمد أمين زين الدين: تجربة في الإصلاح دون حضور الذات**

الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، دار الجديد - بيروت.

٥٠. **الكوارث ومسؤولية المجتمع: حديث في أربعين فاجعة القديح**

**الأليمة**

الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، مؤسسة البلاغ - بيروت.

٥١. **العمل والفاعلية طريق التقدم**

الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م، دار الكنوز الأدبية - بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار الهادي - بيروت.

الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٥٢. **شهر رمضان والانفتاح على الذات**

الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.

الطبعة الرابعة: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م، دار الصفوة - بيروت.

٥٣. **أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الأول)**

الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ - بيروت.

٥٤. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثاني)  
الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ - بيروت.
٥٥. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثالث)  
الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، مؤسسة البلاغ - دار الواحة - بيروت.
٥٦. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الرابع)  
الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ، مؤسسة البلاغ - بيروت.
٥٧. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الخامس)  
الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، مؤسسة البلاغ - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت،  
أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.
٥٨. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد السادس)  
الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مؤسسة البيان للمطبوعات - بيروت،  
أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.
٥٩. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد السابع)  
الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت،  
أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.
٦٠. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثامن)  
الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت،  
أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.
٦١. السلم الاجتماعي - مقوماته وحمايته  
الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار الساقى - بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

### ٦٢. التسامح وثقافة الاختلاف- رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة - بيروت.

### ٦٣. الإمام المهدي وبشائر الأمل

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة - بيروت.

■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (IMAM MAHDI NA MATARAJIO MEMA) ترجمة الأستاذ خلفان كيا - كينيا - ممباسا ٢٠٠٧م.

### ٦٤. الإمام الحسن ونهج البناء الاجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، دار الواحة - بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، دار الواحة - بيروت.  
■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (IMAM HASSAN NA MFUMO WA KUJENGA JAMII) ترجمة الأستاذ خلفان كيا - كينيا - ممباسا ٢٠٠٧م.

### ٦٥. كيف نقهر الوسواس

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء - بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ، دار المحجة البيضاء - بيروت.

### ٦٦. شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين

الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.

الطبعة الثانية: ٢٠٠٤م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.

الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧م، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

**٦٧. إحياء المناسبات الدينية بين الواقع والطموح**

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة - بيروت.  
الطبعة الثانية: ٢٠٠٤م، دار التآخي - دمشق.

**٦٨. الإمام الشيرازي ملامح الشخصية وسمات الفكر**

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، هيئة محمد الأمين ﷺ - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ، مؤسسة عاشوراء، قم - إيران.

**٦٩. رؤية حول السجال المذهبي**

الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت.

**٧٠. بناء الشخصية ومواجهة التحديات**

الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء - دار الواحة - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، أطيف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

**٧١. عن اللقاء الوطني للحوار الفكري**

(الذي انعقد في الرياض بتاريخ ١٥ - ١٨/٤/١٤٢٤هـ الموافق ١٥ - ١٨/٦/٢٠٠٣م)  
الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء - دار الواحة - بيروت.

**٧٢. الإمام علي عليه السلام ونهج المساواة**

الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م - دمشق.  
■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (إمام علي (ع) وراه برابري)،

ترجمة محمد رضا ضيايى .

### ٧٣. الحوار والانفتاح على الآخر

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الهادي - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م دار التآخي - بيروت.

### ٧٤. السلفيون والشيعية نحو علاقة أفضل

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الواحة - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت.  
الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧م، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (UHUSIANO BROA KATI TA SALAFI NA SHIA) ترجمة الأستاذ خلفان كيا - كينيا - ممباسا م. ٢٠٠٧.

### ٧٥. فقه الأسرة: بحوث في الفقه المقارن والاجتماع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الهادي - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار الهادي - بيروت.

### ٧٦. النادي الرياضي والمجتمع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.  
الطبعة الثانية: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف - العراق.

■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (KILABUTA MICHEZO NA LAMII) ترجمة الأستاذ خلفان كيا - كينيا - ممباسا م. ٢٠٠٧.  
الطبعة الثالثة: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م دار الصفوة - بيروت.

### ٧٧. الزواج أغراضه وأحكامه

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (NAOA HUKMU NA MALENGO YAKE) ترجمة الأستاذ خلفان كيا - كينيا - ممباسا ٢٠٠٧م.

#### ٧٨. السياسة النبوية ودولة الالاعنف

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار المحجة البيضاء - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ، مؤسسة المعارف - بيروت، أطيايف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

#### ٧٩. العمل التطوعي في خدمة المجتمع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة المعارف للمطبوعات - بيروت.  
الطبعة الثالثة: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، أطيايف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

#### ٨٠. كيف نقرأ الآخر؟

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الدار العربية للعلوم - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الدار العربية للعلوم - بيروت.

#### ٨١. الحضور في زمن الغيبة

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، البحرين.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار المحجة البيضاء - بيروت.  
الطبعة الثالثة: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، النجف الأشرف - العراق.

#### ٨٢. الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان

الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.  
الطبعة الثانية: ٢٠٠٧م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.

#### ٨٣. سلسلة (قوانين السعادة الزوجية وأبجديات الحب)

- الحب الحقيقي ( الزواج أحكامه وأغراضه).
  - قوانين الزواج من الألف إلى الياء ( من عقد الزواج إلى ليلة الزفاف).
  - مملكة الحب (الحقوق الزوجية).
  - الخطوات الذكية لاختيار النصف الجميل (اختيار الزوج).
  - تزوج وكن سعيداً (قرار الزواج).
  - صفاء المودة (العلاقات الزوجية).
  - البوابة الذهبية (عقد الزواج).
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م، مركز الياية للتنمية الفكرية - دمشق.

#### ٨٤. الاستقرار السياسي والاجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الدار العربية للعلوم - بيروت.

#### ٨٥. الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي

الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.

#### ٨٦. الإمام الحسين الشخصية والقضية

الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار المحجة البيضاء - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.  
الطبعة الثالثة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

#### ٨٧. المذهب والوطن: مكاشفات وحوارات صريحة مع سماحة الشيخ حسن

الصفار أجزاها الأستاذ عبدالعزيز قاسم.

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (MADHEHEBU NA)

(NCHI) ترجمة الأستاذ خلفان كيا - كينيا - ممباسا ٢٠٠٧ م.  
الطبعة الثالثة: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف -  
السعودية.

#### ٨٨. الشباب وتطلعات المستقبل

الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف -  
السعودية.

#### ٨٩. الأوقاف وتطوير الاستفادة منها

الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م - أطياف للنشر والتوزيع، القطيف -  
السعودية.

■ تمت ترجمته الى اللغة الفارسية تحت عنوان (وقف كا رآمد) ترجمة ونشر  
انتشارات أسوة ٢٠٠٨ م.

#### ٩٠. الإمام علي وقضايا الأمة

الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.  
الطبعة الثانية: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ م، دار الصفوة - بيروت.

#### ٩١. الحوار المذهبي والمسار الصحيح (محاضرة الشيخ حسن الصفار وحفل تكريمه في اثينية الشيخ عبدالمقصود خوجة)

الطبعة الأولى: ٢٠٠٨ م، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، أطياف للنشر  
والتوزيع، القطيف - السعودية.

#### ٩٢. الحسين في وجدان الأمة

الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

#### ٩٣. المؤسسات الأهلية وحماية الأمن الاجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف -



السعودية.

الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م، دار الصفوة - بيروت.

#### ٩٤. الأحادية الفكرية في الساحة الدينية

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الدار العربية للعلوم - بيروت.

#### ٩٥. الجمعة شخصية المجتمع الإسلامي

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطيايف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م، دار الصفوة - بيروت.

#### ٩٦. حضور المسجد والمشاركة الاجتماعية للمرأة

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطيايف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

#### ٩٧. المشكل الطائفي والمسؤولية الوطنية

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطيايف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

#### ٩٨. صلاة الجماعة مظهر الوحدة والتآلف

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مركز الناقد الثقافي - دمشق.

#### ٩٩. الانفتاح بين المصالح والهواجس

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطيايف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

#### ١٠٠. الإصلاح الديني والسياسي (حوارات مع سماحة الشيخ) الجزء الأول

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م، دار الصفوة - بيروت.

١٠١. الإصلاح الديني والسياسي (حوارات مع سماحة الشيخ) الجزء  
الثاني  
الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م، دار الصفوة - بيروت.

## الفهرس

٧	تقديم
١١	أول الحديث
١٧	نحو حياة عائلية سعيدة
٢٧	النجاح في العلاقات الاجتماعية
٣٥	الإنسان بين الانشداد المادي والسمو الروحي
٤٥	التعامل الإنساني في سيرة الإمام علي <small>عليه السلام</small>
٥٥	النهى عن المنكر شفقة وإصلاح
٦٧	رسالات الأنبياء إيمان وتطبيق
٧٧	البعد الاجتماعي في حياة الإمام الحسين <small>عليه السلام</small>
٨٧	الإمام المهدي بين العقل والنقل
٩٧	اختيار الزوج بين الفتاة وأهلها
١٠٧	شهر رمضان وعادات خاطئة

١١٧. .... (الشيخ منصور البيات - أنموذجاً) .....
١٢٧. .... شهر رمضان والانفتاح على الذات .....
١٣٧. .... حلم الإمام الحسن نهج للتسامح الاجتماعي .....
١٤٧. .... ليلة القدر: قرارات التحول والتغيير .....
١٥٧. .... الخصومة في الدين: هل لها مبرر؟ .....
١٦٧. .... التدبّر والتعقل .....
١٧٧. .... ذوو الرأي ومسؤولية الحوار .....
١٨٧. .... الفراغ الروحي: قلق واضطراب .....
١٩٧. .... تقدم الفرد وتقدم المجتمع .....
٢٠٧. .... المجتمع الراشد .....
٢١٩. .... منطلقات التجديد .....
٢٢٩. .... روح التجديد .....
٢٣٩. .... الاستطاعة للحج وتحديد الأولويات .....
٢٤٩. .... الكنيسة: تاريخ من الظلم باسم الدين .....
٢٥٩. .... الإمامة بين النص والشورى .....
٢٦٩. .... عاشوراء: تطلعات وآفاق .....
- ندوات**
٢٨١. .... موقع الفكر الشيعي من الحوار الإسلامي .....
٢٨٩. .... تأبين الشيخ عبد الحميد العلي .....
- مقابلات**
٢٩٧. .... الفكر الإسلامي بحاجة إلى التجديد في كل زمان .....
٣١٩. .... شهر الله .....

- الشيعية والعالم ..... ٣٢٧
- كُتَابَات
- تقديم كتاب (الكساء في معارف الأمة الإسلامية) .. ٣٤٧
- تقديم كتاب (الصديقة مريم العذراء: معجزة الأجيال) .. ٣٥١
- تقديم كتاب (عقدة الحقارة) ..... ٣٥٥
- تقريظ كتاب (أفغانستان: تاريخها - رجالاتها) .. ٣٥٩
- تقدير وإكبار .. ٣٦٥
- تقديم كتاب (شرح الشكوك) .. ٣٦٩
- تقديم كتاب (معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية) .. ٣٧١
- تقديم كتاب (تعال معي لنقرأ) ..... ٣٧٧
- رسالة إلى مواكب العزاء ..... ٣٨١
- الإعلام لأولياء الله .. ٣٨٥
- المشهد الثقافي الراهن في المملكة .. ٣٩٣
- آفاق أخرى للعمل الديني .. ٣٩٩
- تقديم كتاب (ما يريده الشباب: الطعم والبديل) .. ٤٠٧
- المخدرات: أخطارها وسبل الوقاية منها .. ٤١١
- صدر للمؤلف .. ٤١٧

